عبد الرحمن بن ابراهيم المطرودى

جامعة الملك سعود - كلية التربية

قسم الدراسات الإسلامية

الإنسان

وجوده وخلافته فى الأرض

فى ضوء القرآن الكريم

الناشر

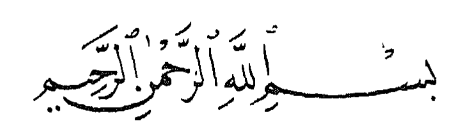
مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، الذى لاينطق عن هوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى ﴾ (١) .

وبعد ..

يشهد أهل العقول الراجحة أن الإنسان خُلِقَ لغاية سامية ، تتناسب مع ما له من خصائص التكوين ، وما سُخِّر له فى الكون ، مما يجعله فى قمة المخلوقات فى التكريم .

قال تعالى : ﴿ ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٢) .

ولذلك يندفع الإنسان إلى معرفة وجوده ، وغايته ، وتقييم ذاته وحياته، ليضع ذلك فى الميزان لتتفاعل مع خصائصه وما سُخِّر له ، بحثاً عن أمنه واستقراره بمنهج علمى يتناسب معه .

وإن تلك المعارف والمناهج الإنسانية تتفاعل مع الذات والحياة لتتشعب إلى شُعَب ، ولكل شُعبة ميزانها ومنهجها .

فهناك الاتجاهات المادية التى تصل إلى تأليه الإنسان ، وغروره بما يمتلكه أو تذهب به إلى احتقار الذات والحياة ، وأنه لايتعدى كونه آلة فى مصنع الحياة مما يجعله عبداً لعنصر من عناصر الكون .

(١) النجم : ٤ (٢) الإسراء : ٧٠

كما أن هناك اتجاهات دينية مُحرَّفة ومنسوخة ، أو موضوعة ، فاسدة أفسدت كيان الإنسان ، وأفسدت حياته .

وفى مقابل ذلك نجد القرآن الكريم والسُنَّة النبوية الصحيحة لهما نظرتهما للذات والحياة ، والتى تتميز بواقعيتها فى التعامل معهما بمنهج علمى يرفع القوى ، ويشد أزر الضعيف .

ولعل ما دفعنى إلى القيام بهذا البحث تلك الدوافع ، والاتجاهات المختلفة والمتداخلة ، وما للبيئة من أثر خفى وجلى فى بناء الذات الإنسانية ، وما للإسلام من نظرة تجاه الذات والحياة ، ومنهج علمى يتناسب معهما .

وذلك لنتعرف عن قرب على نظرة القرآن الكريم فى تقييم الذات ، وتقويم الإنسان ، وهدايته بما يوافقه ، وهذه النظرة تسمو على أى نظرة أخرى .

وإن هناك الكثير من الدراسات الإنسانية التى تدور حول هذا الموضوع من جوانب متعددة ، ولكن نجد أنها لا تتفق على منهجية واحدة أو معالجة واحدة .

فنجد مثلاً الدراسات المبنية على الثنائية فى التكوين مع التركيز على الجانب الروحى أكثر من الجانب المادى ، ومحاولة دراسته على أساس عنصرين منفصلين لكل عنصر خصائصه التى تخصه .

كما نجد محاولة دراسته على أساس مادى ، وأنه لا يتعدى كونه تفاعلاً كيميائياً وكهربائياً للجسد .

ولذلك نجد فى كل من الاتجاهين معضلتين يصعب حلهما وهما : معرفة خصائص التكوين لكل من العنصرين المنفصلين ككيانين . وكيف يصدر الوعى من الجسد الذى يتصف به ، ويُحيِّر العقول ، ولا يمكن تفسيره على أساس مادى؟

وفى النتيجة نصل إلى كلام يحوى فى طياته البلبلة والتخبط والبُعد عن المنهجية فيما يخص الإنسان كياناً وسلوكاً وتفسيراً للحياة ، بل الوجود كله .

كما أن الدراسات الإسلامية اللامنهجية لتقييم الذات تجد نفسها فى المشكلة

الأولى لتأثير الجانب الفلسفى للفكر اليونانى الذى ظل على ما هو عليه منذ سقراط وأفلاطون فى الغالب .

بينما نجد أن أُسلوب القرآن الكريم فى معالجته لهذا الموضوع يجعل الثنائية فى التكوين منطلقاً لكينونة واحدة ، ذات طبيعة مزدوجة فى كيان واحد ، له خصائصه فى التكوين .

قال تعالى : ﴿ ونَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

وكذلك نجد أن الدراسات فى علم النفس وعلم الاجتماع عن خصائص التكوين أقرب كمدخل إلى المنهجية ، وإن كان لهما انحرافاتهما لعوامل كثيرة كتقييم الذات ، وتقييم الحياة ، وغاية كل منهما ، ولما تُوحى به البيئة الخارجية ... وهى عوامل يقرون بها .

ولذلك أجد نفسى أمام مراجع كثيرة تطرّقت إلى جوانب من الموضوع ، لأن جوانبه كثيرة ، ومختلفة ، ومتداخلة سواء فيما يتعلق بالذات أو مناهج الحياة ، وأن الباحث كثيراً ما يجد الاضطراب عند الباحثين بل إن الاضطراب كثيراً ما يقع فيه الباحث الواحد مما يجعلنى فى حيرة من أمرى فى الخروج بنتيجة إلا بعد تأمل وتفكير .

ولذلك ركزتُ فى معالجة بعض المواضع على بعض الجوانب العلمية ، لأنها تعمل على التوضيح للعقل البشرى فى مسار التأمل والتفكير فى الموضوع ، ولتكون أقوى وسيلة لتقويم العقل والعاطفة .

ولقد عمدتُ فى دراسة هذا الموضوع إلى تقسيمه إلى الأبواب والفصول التالية :

---

(١) الشمس : ٧ - ١٠ .

- الباب الأول : التكوين .
  - الفصل الأول : آدم عليه السلام والتكوين .
  - الفصل الثانى : خلق ذرية آدم عليه السلام .
  - الفصل الثالث : فرضية التطور والتكوين .
- الباب الثانى : عناصر التكوين .
  - الفصل الأول : الجسد .
  - الفصل الثانى : الروح .
  - الفصل الثالث : العلاقة بين الروح والجسد .
- الباب الثالث : خصائص التكوين .
  - الفصل الأول : خصائص الحياة النفسية .
  - الفصل الثانى : خصائص الحياة القلبية .
  - الفصل الثالث : خصائص الحياة العقلية .
- الباب الرابع : الإنسان والدوافع .
  - الفصل الأول : الدوافع الفطرية .
  - الفصل الثانى : الدوافع المكتسبة .
  - الفصل الثالث : تعديل الدوافع .
- الباب الخامس : الإنسان والخلافة .
  - الفصل الأول : الخلافة .
  - الفصل الثانى : الإنسان والخلافة .

ولقد إعتمدتُ فى دراستى على القرآن الكريم والسُنَّة النبوية وبعض المؤلفات والدراسات والبحوث التى تدور حولهما ، كما اطلعت على بعض المؤلفات

والدراسات العلمية والنظرية التى لها مساس بهذا الموضوع ، بالاستقراء والاستنباط والتحليل مما يُظهر مدى الإعجاز العلمى والمعرفى للقرآن الكريم فى معالجته له .

ولقد استشهدتُ بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى سياقها دون العمل على تبيين وجه الاستشهاد إلا إذا كان هناك غموض فيه .

وختامًا .. أرجو من اللّه تعالى أن يتقبل بحثى هذا عملاً صالحاً لوجهه الكريم ، وأن يجزينى به خير الجزاء ، ويجزى به والدىّ وأهلى ، وكل من ساعدنى على القيام به ، وكل المسلمين ... إنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

عبد الرحمن بن ابراهيم المطرودى

* * *

الباب الأول

التكوين

- آدم عليه السلام والتكوين
- خلق ذرية آدم عليه السلام
- فرضية التطور والتكوين

الفصل الأول

آدم عليه السلام والتكوين

● خلق آدم عليه السلام :

إن الآيات القرآنية الكريمة التى تتحدث عن خلق الإنسان الأول - آدم عليه السلام - تشير إلى أن الله تعالى خلقه من تراب .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ (٣) .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ، وبين ذلك ، والسهل والحَزَن ، والخبيث والطيب » (٤) .

كما جاء فى القرآن الكريم أن عناصر التكوين لآدم عليه السلام هى عناصرالتكوين لذُرِّيته .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً ، وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) آل عمران : ٥٩ (٢) الروم : ٢٠ (٣) الحج : ٥

(٤) رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن ، سورة البقرة ، وقال : حديث حسن صحيح . سنن الترمذى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر العربى ببيروت - ط ١٤٠٠هـ - جـ ٤ ص ٢٧٣ (٥) الأنعام : ٢

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ منْهَا خَلَقْنَاكُمْ وفيها نُعيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٢) وقد أثبت التحليل المخبرى المعاصر ، أنّ عناصر التكوين للإنسان هى عناصر تكوين التراب (٣) ... وذلك بعد قرون من الزمان على نزول القرآن الكريم ، مما يدل على إعجازه العلمى ، والمعرفى بصفة عامة .

كما يشير القرآن إلى أن التكوين قد مرّ فى مرحلة الطين ، الذى يتكوّن من التراب ، مضافاً إليه الماء .

قال تعالى : ﴿ إذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئكَة إنِّى خَالقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئكَة اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ قَالَ أأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فى قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذى أحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الإنْسانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ ، قَالَ أنَاْ خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٨) .

ولقد جاء وصف الطين بأنه « طين لازب »

---

(١) المؤمنون : ١٢ (٢) طه : ٥٥

(٣) د. خالص جلبى : الطب محراب الإيمان . مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م) جـ ١ ص ٢ ، ص ٤٧ (٤) سورة ص ٧١ - ٧٢ (٥) الإسراء : ٦١

(٦) المؤمنون : ١٢ - ١٣ (٧) السجدة : ٧ - ٨ (٨) الأعراف : ١٢

قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [١] .

واللازب فى اللُّغة الثابت ، الشديد التماسك بين الأجزاء [٢] .

ومنه قول النابغة [٣] :

لا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازبٍ [٤]

فـ « طين لازب » بمعنى لزج متماسك ، فهو لا سائل ولا صلب [٥] وقيل : « طين لازب » بمعنى لاصق ... يقال : لزب يلزب لزوباً إذا لصق [٦] ، وبعد ذلك يتحوَّل الطين اللازب إلى حماٍ مسنون .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [٧] .

فـ « حماٍ مسنون » أى « طين مصوَّر على هيئة إنسان من سن الوجد أى صوَّره وصقله [٨] » .

أو « مسنون » بمعنى متغير [٩] ، فهو طين منتن أسود [١٠] .

---

(١) الصافات : ١١

(٢) محمد بن على بن محمد الشوكانى : فتح القدير ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ط ٢ ، ١٣٨٣ هـ (١٩٦٢) م ، جـ ٤ ص ٣٨٨

(٣) النابغة الذبيانى : شاعر جاهلى ، من أصحاب المعلقات ، عُرف بدقة الوصف ، وبراعة الاعتذار ، وعاش فى بلاط اللخميين فى الحيرة ثم فى بلاط الغساسنة توفى عام ٦٠٤ م .

منير البعلبكى : موسوعة المورد ، دار العلم للملايين ببيروت ، ط ١ (١٩٨٠ م) جـ ١ ض ٨٦

(٤) النابغة الذبيانى : ديوان النابغة ، جمعه وعلَّق عليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور . الشركة التونسية للتوزيع ، تونس - والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر ، ١٩٧٦ م ، ص ٥٠ .

(٥) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية . ملتزم الطباعة والنشر دار الفكر العربى ، ص ٤١٣

(٦) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٣٨٨

(٧) الحجو : ٢٨

(٨) محمد إسماعيل ابراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٢٥٤

(٩) الراغب الأصفهانى (أبى القاسم الحسين محمد) المفردات فى غريب القرآن . المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، تحقيق محمد سيد كيلانى ص ٣٤٥

(١٠) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ١٢٩

كما قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَة وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِه اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ، قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ، قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ، وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

فمعنى « لم يتسنه » لم يتغير (٢) .

ويُصرِّح القرآن الكريم إلى أن الحمإ المسنون يتحول إلى صلصال كالفخار .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٣) .

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِـنْ نَارٍ ﴾ (٤) .

« وأصل الصلصال تردد الصوت من الشيء اليابس ، ومنه قيل : صل المسمـار » (٥) .

والصلصال : « طين يابس ، يصلصل ؛ أى يُصَوِّت إذا نقرته ، ولو طُبِخَ فى النار لصار فخاراً .. » (٦) .

ويتضح أنه فى مرحلة « صلصال كالفخار » بهذه الوصف تنتفى عنه مظاهر الحياة .

فهل يكون المراد بهذه المرحلة – صلصال كالفخار – وما سبقها من مراحل ،

---

(١) البقرة : ٢٥٩

(٢) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٣٤٥
مجمع اللُغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم . دار الشروق بالقاهرة ، ص ٣١٤

(٣) الحجر : ٢٦ (٤) الرحمن : ١٤ – ١٥

(٥) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٢٨٤

(٦) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٢٩٤

هو المراد بقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾ (١) .

كما جاء فى الحديث الشريف عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لما صوَّر الله آدم فى الجنة ، تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يُطيف به ، ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خُلِقَ خلقاً لا يتمالك » (٢) .

« الأجوف صاحب الجوف ، وقيل : هو الذى داخله خال ، ومعنى « لا يتمالك » لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات ، وقيل : لا يملك دفع الوسواس عنه ، وقيل : لا يملك نفسه عند الغضب ، والمراد جنس بنى آدم » (٣) .

وعن أبى هريرة قال : قالوا : يا رسول الله ؛ متى وجبت لك النبوَّة ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » (٤) .

« فإن الله بعد خلق جسد آدم ، وقبل نفخ الروح فيه ، كتب وأظهر ما سيكون من ذريته ، فكتب نبوَّة محمد وأظهرها ، كما ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ قال : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أُمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مُضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملَكاً فيُؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد ، ثم يُنفخ فيه الروح » (٥) .

فقد أخبر ﷺ أنه بعد أن يُخلق بدن الجنين فى بطن أُمه وقبل نفخ الروح فيه،

---

(١) الإنسان : ١

(٢) رواه مسلم فى كتاب البر والصلة - صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار التراث العربى ببيروت ط ٢ (١٩٧٢ م) - حديث ١١١ ، جـ ٤ ص ٢٠١٦ .

(٣) النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ، دار الفكر ببيروت ، لبنان ، ط ٢ ، جـ ١٦ ص١٦٤

(٤) رواه الترمذى فى كتاب المناقب ، باب : ما جاء فى فضل النبى ﷺ ، وقال : حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه . جـ ٥ ص ٢٤٣

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، المكتبة الإسلامية ، استانبول - جـ ٤ ص ٧٨

يُكتب رزقه ، وأجله وعمله ، وشقى أم سعيد ؟ فهكذا كتب خبر سيد ولد آدم ، وآدم منجدل فى طينته ، قبل أن يُنفخ الروح فيه [1] .

وبعد تسوية صورته عليه السلام فى الملإ الأعلى . نفخ اللّه فيه من روحه . فكانت الحياة التى أهّله اللّه بها لسجود الملائكة تكريماً واحتراماً لا سجود عبادة . فالعبادة للّه وحده .

كما أن فى ذلك القبول والإذعان لأمره تعالى إظهاراً وإجلالاً للقدرة الإلهية.

قال تعالى : ﴿ وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنُفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ روحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [3] .

وليست حياته عليه السلام حياة حيوانية بحتة ، بل فيها سر لطيف من سر النفخة الإلهية ، التى منحها اللّه إليه عليه السلام وحققت ما يرجع إليه الفضل فى تقييم الإنسان ، من الصفات والقيم والمُثل ، والمعارف ، والقدرات ، والاستعدادات ، والتى تتكافأ مع ما أُسند إليه كخليفة فى هذه الأرض .

عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ :« لما خلق اللّه آدم ، ونفخ فيه الروح عطس ، فقال : الحمد للّه ، فحمد اللّه بإذنه ، فقال له ربه : رحمك اللّه يا آدم ، اذهب إلى أُولئك الملائكة - إلى ملأٍ منهم جلوس - فقال : السلام

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف، الرباط ، جـ ١٨ ص ٢٦٩

(٢) الحجر : ٢٨ - ٣٠.

(٣) سورة ص ٧١ - ٧٢

عليكم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه ، فقال : إن هذه تحيتك ، وتحية بنيك بينهم » [(١)] .

كما يشير المؤمنون فى مقام الشفاعة يوم القيامة إلى خصوصية آدم عليه السلام فى الخلق .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيهتمون لذلك - وقال ابن عبيد : فيلهمون لذلك - فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يُريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيأتون آدم ﷺ فيقولون : أنت آدم أبو الخلق ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ... » [(٢)] .

* * *

● خلق حواء :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [(٣)] .

إنه من المتفق عليه أن المراد بـ « نفس واحدة » فى قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ هو آدم عليه السلام [(٤)] .

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن سورة المعوذتين ، جـ ٥ ص ١٢٣ ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه .

انظر : موارد الظمآن . المطبعة السلفية ، ط ١ ، فى كتاب علامات النبوة ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .

الإمام الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه) : المستدرك على الصحيحين . حيدر آباد الدكن - الهند ، ١٣٣٤ هـ ، جـ ١ ص ٦٤ ، جـ ٢ ص ٣٢٥ ، جـ ٤ ص ٢٦٣

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ٣٢٢ ، جـ ١ ص ١٨٠.

(٣) النساء : ١

(٤) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤١٧

=

(٢ - الإنسان)

والمتأمل فى هذه الآية قد يظهر له سؤال ، وهو : كيف خلق الله الخلق من نفس واحدة ؟

فكان التعقيب - كجواب - بقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ .

فالله تعالى خلق حواء من آدم عليه السلام ، وخلق ذريتهما من نسلهما .

ولعل مثل ذلك ما هو موجود فى مخلوقات الله تعالى ، مما يُلقى الضوء أو التقريب لفهم المراد .

فالحيوان الإسفنجى [1] يتكاثر ويتناسل عن طريق الانقسام ، وذلك بإبداع الذكر أو الأُنثى ، ثم التزاوج بينهما ، فيكون له طريقتان فى التكاثر ، وهما الانقسام والتناسل عن طريق التزاوج بين بعضها ، واستمرار الانقسام فى البعض الآخر [2] ... وهكذا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خُلِقَتْ من ضِلَعٍ ، وإن أعوج شىء فى الضِلَعِ أعلاه ، فإن ذهبت تُقيمه كسرته ، وإن تركتَه لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » [3] .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت ، واستوصوا بالنساء ، فإن المرأة خُلِقَتْ

= أبو السعود (محمد بن محمد العمادى) : تفسير أبى السعود . دار إحياء التراث العربى ببيروت ، لبنان . جـ ٢ ص ١٣٨

الزمخشرى (أبى القاسم جار الله محمود بن عمر) : الكشاف . دار الفكر ، طـ ١ ، ١٣٩٧ هـ ، جـ ١ ص ٤٩٢

(١) حيوان بحرى شبيه بالإسفنج .

(٢) د. أحمد زكى : مع الله فى الأرض . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ م . ص ١٥٥ ، ١٦٣

(٣) رواه البخارى فى كتاب الأنبياء ، باب : خلق آدم عليه السلام وذريته - صحيح البخارى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، إستانبول ، ١٩٨١ م - جـ ٤ ص ١٠١

من ضِلَعٍ ، وإن أعوج شيء في الضِلَعِ أعلاه ، إن ذهبت تُقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، استوصوا بالنساء خيراً » [١] .

وبهذا يتضح أن حواء خُلقَتْ من ضلع آدم عليه السلام ، وأنها في عواطفها ومشاعرها تُحاكي ذلك الضلَع الذي خُلِقَتْ منه [٢] .

فالله خلق حواء - أم البشر - لملء فراغ وجداني في نفس آدم عليه السلام ، فهي مكملة لوجوده المعنوي والحسي ، بعد وحشته ووحدته في الملإ الأعلى ، ولتحيا مع زوجها عليه السلام حياة المعارف والقيم والتشريف [٣] .

فخَلَقَ الله تعالى حواء له عليه السلام زوجة ملائمة ، وعناصرها من عناصره ، لها ما يجب أن تكون عليه من خصائص الأنوثة ، خلافاً لما ذهب إليه بعض النصارى ، من أنها خُلقَتْ من عنصر خبيث وشيطاني ، وغلب على آرائهم أنها جسم نجس ، وليس لها روح [٤] ، وأن تفكيرها ليس عملية عقلية ، وإنما عملية غريزية [٥] ، وأنها مدخل للشيطان ، ولا يُستثنى من ذلك إلا العذراء أُم المسيح عليه السلام [٦] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فَسلِّم على أُولئك النفر من الملائكة ، جلوس،

---

(١) رواه مسلم في كتاب الرضاع ، حديث ٦٠ ، جـ ٢ ص ١٠٩١

(٢) محمود شلبي : حياة آدم . دار الجيل ، بيروت . ط ٢ ، ص ٦١

(٣) البهي الخولي : آدم عليه السلام . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) ص ١٦٩

(٤) عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن . دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٢ (١٩٦٧م) ص ٧٦ - ٨٠

(٥) باسمة كيال : تطور المرأة عبر التاريخ . مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠١ هـ ، ص ٦٣ - ٦٥

محمود الجوهري : الأخت المسلمة . دار الأنصار . القاهرة ، ص ٥٥ - ٥٦

(٦) عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن (مرجع سابق) ص ٧٦

فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك ، وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن » [١] .

فالصورة التى يدخل فيها الرجل إلى الجنة هى صورة آدم عليه السلام ، فلا بد أن تكون الصورة التى تدخل فيها المرأة إلى الجنة هى صورة حواء ، لا صورة آدم ، والمرأة التى تدخل الجنة أجمل من حور العين ، فلا بد أيضاً أن تكون حواء أجمل من الحور العين [٢] .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « لَرَوْحةٌ فى سبيل الله ، أو غَدوة ، خير من الدنيا وما فيها ، ولَقَابُ قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعنى سوطه - خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحاً ، ولنصيفُها [٣] على رأسها خير من الدنيا وما فيها » [٤] .

* * *

• فى الملإ الأعلى :

إن الله تعالى قد أخبر ملائكته فى الملإ الأعلى بقراره خلق آدم عليه السلام ، خليفة فى الأرض ، وأنه سيكون له ذرية فيها ، ليكون الاحتفاء بمقدمه عليه السلام ، لا من باب طلب المشورة والرأى .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٥].

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الاستئذان ، باب : بدء السلام جـ ٧ ص ١٢٥

(٢) محمود شلبى : حياة آدم (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥

(٣) نصيفها : يعنى خمارها .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجهاد ، باب : الحور العين ، جـ ٣ ص ٢٠٣

(٥) البقرة : ٣٠.

والملائكة بفطرتهم التى خلقها اللّه تعالى هم عباده المقربون الذين يفعلون ما يؤمرون ، فهم لا يتصورون إلا الخير والنقاء والتسبيح والتقديس للّه تعالى ، وأن هذا هو الغاية المطلقة للوجود ، وأن هذه الغاية تتحقق بوجودهم ، فكانت الحيرة والدهشة منهم بأن الخليفة ليس منهم ، لعدم معرفتهم بحكمة خلق هذا المخلوق الجديد [1] .

ولعل مما زاد دهشة الملائكة وحيرتهم ، معرفتهم بمخلوقات اللّه تعالى على الأرض ، من الجان ، والحيوانات ، وما حدث بينهم من إفساد وسفك للدماء ، أو أن اللّه تعالى أطلعهم أن هذا الخليفة سيكون له ذرية ، وأنه سيقع بينهم إفساد ، وسفك للدماء [2] .

قال تعالى : ﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [3] .

فكأن الملائكة يُزكُّون أنفسهم لشرف الخلافة ، إذا كانت الغاية من وجود الخليفة ، هو التسبيح والتقديس للّه تعالى .

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [4] .

فعلمه تعالى محيط بمخلوقاته ، وحكمته بالغة ، وعلم الملائكة قاصر على ما أخبرهم اللّه تعالى به ، فكان التسليم واليقين من الملائكة .

كما يُشير المؤمنون فى مقام الشفاعة يوم القيامة إلى خصوصية آدم عليه السلام فى الخلق .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط٥ ، ١٣٩٧ هـ ، (١٩٧٧ م) جـ ١ ص٥٦-٥٧

القرطبى (أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى) : الجامع لأحكام القرآن . دار الشعب ، القاهرة ، جـ ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٥

أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) . جـ ١ ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٣

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٣٥

(٣) البقرة : ٣٠.

(٤) البقرة : ٣٠.

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وقال : ابن عبيد فيلهمون لذلك - فيقولون : لو شفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيأتون آدم ﷺ فيقولون : أنت آدم أبو الخلق ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربك حتى يُريحنا من مكاننا هذا ... » (١) .

فكان أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام إجلالاً واحتراماً له، عند خلقه ، لما منحه الله تعالى من سر النفخة الإلهية .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

وحينما خلق الله آدم عليه السلام يرى الملائكة ساجدين له ، احتراماً وإجلالاً لمقدمه ، كما يرى في المقابل إبليس - لعنه الله - رافضاً الاستجابة ، لأمر الله تعالى بالسجود ، بل ويحاج ربه ، بكل عناد وغرور بفضله على آدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ، قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ... ﴾ (٤) .

قال تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ،

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث ٣٢٢ ، جـ ١ ص ١٨ .

(٢) الحجر : ٢٨ - ٣٠ . (٣) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٤) الأعراف : ١١ - ١٢

أَسْتَكْبرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (١) .

فكان تفضيله عليه السلام على إبليس - لعنه الله - النار التى أحرقت جوفـه ، بالحقد ، والحسد ، وهو يتمتع بالحرية ، والإرادة ، والمسؤولية لتبعيات عمله ، ولذلك كان عصيانه ، وكان الجزاء .

قال تعالى : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً ، لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢) .

فكان الغرور ، والعناد ، والعصيان من إبليس - لعنه الله - فى الملإ الأعلى ، والإصرار على رفع لواء العصيان ، وأنه سيستغل كل ما أُوتى من استعداد وقدرة من أجل أن يضم إليه آدم عليه السلام ، وذريته ، عن طريق الإغواء وتزيين المعصية ، انتقاماً منه بسبب تفضيله عليه ، وما حكم الله تعالى عليه لعصيان أمره تعالى بسببه (٣) .

فكان من الله تعالى أن حذَّر آدم عليه السلام من إبليس وعرَّفه أنه عدوه .

قال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾ (٤).

---

(١) سورة ص : ٧٣ - ٧٦ (٢) الأعراف : ١٣ - ١٨

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٦٠٩ - ٢٦١٢

البيضاوى (ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل . دار الجيل . ص ٢٠١

محمد أحمد جاد المولى وآخرون : قصص القرآن ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط.١ (١٩٧٩ م) ص ٣

(٤) طه : ١١٧ - ١١٩

يتلقى آدم عليه السلام وزوجه أول أمر من اللّه تعالى ، وهما يتمتعان بالحرية والإرادة والمسؤولية لتبعيات عملهما .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

عاش آدم عليه السلام وزوجه فى الجنة ، حلّ لهما جميع أشجارها إلا شجرة واحدة ، عُرِّفا بها ونُهيا عنها ، فكانت حياتهما حياة ملؤها السعادة ، والطمأنينة ، والأمان ، والنعيم ، وكان جلساؤهما من الملائكة ، فكانا يريانهم ، ويكلمانهم ، ويخاطبانهم (٣) .

ويحصل آدم عليه السلام على فيض ، ونعمة جديدة من ربه .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (٤) .

أى مسميات المخلوقات سماوية ، أو أرضية ، مما يلزمه فى حياته ، وخصائصها ، وكيفية الاستفادة منها ، واستغلالها (٥) ، بما وُهِبَ من قدرة على التمييز ، وبهذا يحصل آدم عليه السلام على قدرات واستعدادات جديدة ، فكان من اللّه تعالى أن أظهر لآدم عليه السلام وملائكته سر تكريمه عليه السلام ، وحكمة خلقه ، وأنه خلق جديد يكمن فيه الخير والشر ، وأن لديه الحرية ، والإرادة ، والمسئولية ، وأن لديه القدرة على التعامل مع الأشياء ، والاستفادة منها ، بفضل ما أعلمه اللّه به ، (٦) وما أودعه فيه .

---

(١) البقرة : ٣٥ (٢) الأعراف : ١٩

(٣) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٦٤

(٤) البقرة : ٣١

(٥) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٤

(٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٧

سميح عاطف الزين : آدم والتكوين - دار الكتاب اللبنانى ببيروت . ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)ص٥٦

محمد إسماعيل إبراهيم : قصص الأنبياء والرسل . دار الفكر العربى بالقاهرة ط ٢ ، ص٢٦

أحمد بهجت : أنبياء اللّه . دار الشروق بالقاهرة وبيروت ، ط ٧ ص ٣٩

فكانت المناظرة بين آدم عليه السلام والملائكة ، التى عرفوا فيها أين يكمن سر التكوين ، وكان الفوز فيها لآدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَاَ عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَاَ تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١) .

وإنه إذا كان كل من الملائكة وإبليس يعرفون أن آدم عليه السلام وذريته استخلفهم اللّه تعالى فى الأرض كما سبق ، وأن مقامه فى الجنة إلى أجل معلوم عند اللّه تعالى .

فهل آدم عليه السلام عرف ذلك من شمولية قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ؟ (٢)

ومن قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُواْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٣) .

وحديث أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لما خلق اللّه آدم ، مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نَسمة هو خالقها من ذريته ، إلى يوم القيامة ، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصاً ونوراً ، ثم عرضهم على آدم فقال : أى رَبِّ ؛ مَنْ هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال : أى رَبِّ ؛ مَنْ هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود ، فقال : رَبِّ وكم جعلتَ عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أى رَبِّ ؛ زده من عمرى أربعين سنة ... » (٤) .

---

(١) البقرة : ٣١ - ٣٣ (٢) البقرة : ٣١ (٣) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣

(٤) رواه الترمذى فى كتاب التفسير ، سورة الأعراف ، جـ ٤ ص ٣٣١ - ٣٣٢

من خلال ذلك يتضح أن آدم عليه السلام قد أطلعه ربه على أن مصيره فى الأرض التى استخلفه فيها ، هو وذريته ، وأن بقاءه فى الجنة مؤقت إلى أجل معلوم ، وأن وجوده فى الأرض فيه حياة وموت ، وطاعة ومعصية ، ومعرفته بأنه يملك الحرية ، والإرادة والمسؤولية .

وإن هذه الآيات وهذا الحديث من الآيات والأحاديث التى أشكلت على كثير من العلماء ، مما اضطرهم إلى كثير من التأويل فى النصوص ، ولعله بتوضيح ظواهر طبيعية لمخلوقاته تعالى فى الأرض ما يقرِّب ذلك للأذهان .

فالحيوان الإسفنجى - كما سبق - يتكاثر عن طريق الانقسام ، بإبداع الذكر أو الأُنثى ، ثم التزاوج بينهما ، ومن هنا يكون له طريقتان فى التكاثر ، هما الانقسام أحياناً ، والتزاوج أحياناً أُخرى [1] .

والإنسان لا يعدو فى أساس تكوينه خلية واحدة ، تتخلق من اتحاد حيوان منوى للذكر مع بويضة للأُنثى .

كما أن ذلك غير متحقق قبل خلق حواء ، وأن ظهور كل نَسمة إنما هو من ظهر آدم عليه السلام .

فمن المحتمل أن خلايا أبناء آدم عليه السلام خرجوا من صلبه ، ثم ظهرت ذريتهم عن طريق التزاوج لقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ واللّه أعلم .

وإن من عجائب خلقه سبحانه أن جرثومة [2] الكوليرا تستطيع أن تخلف ذرية تغطى الكرة الأرضية فى خلال ثلاثين ساعة ، إذا لم يكن هنالك عائق لتكاثرها [3] .

---

(١) د . أحمد زكى : مع اللّه فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٥٥ - ١٦٣

(٢) الجرثومة كائن حى وحيد الخلية لا يُرى بالعين المجردة .

(٣) د . عبد المحسن صالح : الميكروبات والحياة ، دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ٣٥ - ٣٦

فكان أمر الله تعالى لآدم عليه السلام وزوجه بالسكن فى الجنة - كما سبق- وهما يعرفان أن ذلك مؤقت إلى أجل معلوم عند الله تعالى .

وكان حب الخلود والتملك عندهما غريزتين فطرهما الله تعالى عليهما ، فكانتا طريق إبليس - لعنه الله - للإيقاع بهما ، وذلك بالاقتراب من الشجرة التى نهاهما الله عنها .

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُرِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى * فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٢) .

فكان أمر الله تعالى لهما بالنهى عن الاقتراب من الشجرة ويعرف آدم عليه السلام وزوجه أن المقصود بالنهى الأكل منها .

ولعل آدم عليه السلام وزوجه لما سمعا مقالة إبليس - لعنه الله - وتأكيداته لهما بأنه من الناصحين ، وتكرار ذلك ، اقتربا من الشجرة يتأملانها ، ويذكران ما أمرهما الله تعالى به ، ويذكران تحذير الله تعالى لهما بأن إبليس عدوهما ، ولكن نفسيهما الأمارة بالسوء تذكرهما بما قاله إبليس ، وتردده فى وجدانهما لحبهما للخلود والتملك .

فكانت لحظة غفلة ونسيان ، وقربهما من الشجرة ، فأكلا منها ، فكانت المعصية .

---

(١) الأعراف : ٢٠ - ٢٢

(٢) طه : ١٢٠ - ١٢١

قال تعالى : ﴿ فَأَكَلاَ منْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَان عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّة ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌ مُبِينٌ ﴾ (٢) .

وهكذا تمت المعصية لأمر الله تعالى ، وتم الإيقاع بهما من قِبَلِ الشيطان ووسوسته لهما فى نفسيهما .

وذلك لأنهما واجها حياتهما البشرية دون أن يكون لهما رصيد من التجارب، حيث إنهما لم يزاولا خصائصهما البشرية بعد ، وربما لم يحسا بوجود غرائز لديهما فطرهما الله تعالى عليها كحب الاستطلاع ، فلم يجدا ضرورة لمجاهدة النفس وردع الغرائز ، وتقدير خطر إبليس ، للمحافظة على هذه المنزلة العالية (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٤) .

« فغوى » تفيد معنى آخر غير « فعصى آدم ربه » ، ولعل المقصود بذلك فسد عيشه (٥) فى الجنة ، واضطربت نفسه ، ومزاجه ، وتعكر صفوه ، والجنة لا تصلح لمن هذه صفاته ، وإنما الأرض التى سيستخلفه فيها ، هى مقره ، التى هى من طبيعته ، وعناصره من عناصرها ، وأُعطى الإمكانيات والاستعدادات

---

(١) طه : ١٢١ (٢) الأعراف : ٢١ - ٢٢

(٣) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٦٣

أحمد بهجت : أنبياء الله (مرجع سابق) ص ٤١

سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١٦ ص ٢٣٥٣ - ٢٣٥٥

(٤) طه : ١٢١

(٥) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٤٢٩٧

للتعامل معها ، وللقيام بأدوار الحياة فى الأطر المرسومة له فى هذه الأرض ، بعد أن يكون قد أخذ رصيداً من التجارب التى تؤهله للخلافة ، وهنا ينتهى الأجل المعلوم عند اللّه تعالى لبقائه عليه السلام وزوجه فى الجنة .

عن أبى أيوب الأنصارى عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها اللّه لكم ، لجاء اللّه بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم » [1] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لو لم تُذنبوا لذهب اللّه بكم ، ولجاء بقوم يُذنبون ، فيستغفرون اللّه فيغفر لهم » [2] .

فإن اللّه تعالى أراد أن يُعطى آدم عليه السلام بابتلائه إياه - امتحاناً لعزيمته - مراحل من التجارب واللّه يعلم أنه سيعصيه ، ولكن أراد اللّه تعالى أن يكون نزوله من الجنة بسببه ، من حيث إنه مخلوق مُكلّف ، ذو حرية وإرادة ومسئولية ، وليرى هذا الإنسان المكان والمآل الذى يؤول إليه بالمعصية ، ومكان الطائعين ، وقيمة التوبة بالنسبة للتائبين .

فكانت الفتنة ، وكان التردى من آدم عليه السلام وزوجه ، ولكنهما ندما وتابا إلى اللّه تعالى ، بما تلقياه منه سبحانه .

قال تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [3] .

ولعل المراد بهذه الكلمات ما ورد فى قوله تعالى : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [4] .

فكانت المعصية والندم ، وكان التعليم من اللّه تعالى بطريق الخلاص من المعصية ، وكانت الاستجابة والقبول من آدم عليه السلام وزوجه بطلب التوبة . وهنا عرفنا أين يكمن الخير ، وأين يكمن الشر .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب التوبة ، حديث ١٠ ، جـ ٤ ص ٢١٠٦ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب التوبة ، حديث ١٠ ، جـ ٤ ص ٢١٠٦ .

(٣) البقرة : ٣٧ — (٤) الأعراف : ٢٣

« لأن مشيئة الله - سبحانه - اقتضت أن يترك الكائن البشرى ، يشق طريقه بما رُكِّب فى فطرته من استعداد للخير والشر ، وبما وهبه من عقل مرجح ، وما أمد به من التذكير ، والتحذير على أيدى الرسل ، ومن الضبط والتقويم بهذا الدين ، كما اقتضت أن يتلقى الهداية والغواية ، وأن يصطرع فى كيانه الخير والشر ، وأن ينتهى إلى إحدى النهايتين ، فتحق عليه سُنُة الله ، وتتحقق مشيئته بالابتلاء ، سواء اهتدى أو ضَلَّ ، فعلى سُنُّة الله الجارية وفق مشيئته الطليقة يتحقق الهُدى والضلال » [١] .

❊ ❊ ❊

• الهبوط إلى الأرض :

هبط آدم عليه السلام وزوجه من الجنة فى الملإ الأعلى إلى الأرض بعد المعصية ، وقبول توبتهما بأمره تعالى .

قال تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [٣] .

وقد تَبدَّلت حال آدم وزوجه بعد الهبوط عن حالهما وهما فى الملإ الأعلى ، فلم يعد آدم عليه السلام الذى يخالط الملائكة ، ويكلمهم ويكلمونه ، ويخاطبهم ويخاطبونه ، بل ويعلمهم ، وذلك لما يتمع به من خصائص روحية عالية كما سبق. وإنما صار إلى الحال التى ورثناها عنه عليه السلام [٤] .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٨ ص ١٢٦٧

(٢) البقرة : ٣٨ - ٣٩ (٣) طه : ١٢٣ - ١٢٤

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٦٤ - ١٨٨

فالقرآن الكريم لم يذكر بعد هبوط آدم عليه السلام أنه يرى الملائكة ، أو يسمعهم ، أو يكلمهم ، ويكلمونه ، أو يرى إبليس الذى أوقعه فى المعصية .

وهكذا هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ، ولكنه هبط خليفة للّه فيها ، حاملاً النبوة لأبنائه ، فنزلت عليه صحف [1] ، لا كتب مقدسة ، ولم يكن من بين أولى العزم من الرسل .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [2].

وعن أبى ذر قال : قلت : يا رسول اللّه ؛ أى الأنبياء كان أول ؟ قال : « آدم » قلت : يا رسول اللّه ؛ نبى كان ؟ قال : « نعم نبى مُكَلَّم » [3] .

« وقال بعض العلماء ، فى إنزال آدم عليه السلام إلى الأرض ، عقاباً له : إن هذا الإنزال لم يكن إنزال إهانة ، بل إنزال كرامة ، فإن كان آدم يعبد اللّه فى الجنة بالتعريف والتشريف ، فإنه أنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف ، فلما توفرت العبوديتان ، استحق أن يكون خليفة فى الأرض » [4] .

ونزل معهما إبليس - لعنه اللّه - إلى الأرض حاملاً لواء المعصية والشر ، ليضم إليه من استطاع من بنى آدم عن طريق التزيين والإغواء لتكتمل عناصر الابتلاء والامتحان .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً ، وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [5] .

---

(١) محمد إسماعيل إبراهيم : قصص الأنبياء والرسل (مرجع سابق) ص ٣٠.

(٢) طه ١١٥

(٣) رواه أحمد - المسند وبهامشه منتخب كنز العمال ، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر - جـ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٦٥

(٤) محمد إسماعيل إبراهيم : قصص الأنبياء والرسل (مرجع سابق) ص ٢٩

(٥) الأعراف : ٢٦ - ٢٧

وكان التكليف الإلهى إبتلاءً وامتحاناً للإنسان ، لما يتمتع به من الحرية والإرادة ، وهو يعنى ترشيد حياة الإنسان عن طريق الرقابة الذاتية (الداخلية) ، والرقابة الخارجية (السلطة) ، وهما لا غنى للإنسان عنهما فى بناء الحياة علـى مستوى الفرد والمجتمع ، لتحقيق السعادة فى الدارين على أساس العمل الصالح .

قال تعالى : ﴿ الَّذى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُم أحْسَنُ عَمَلاً ، وَهُوَ العَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (١) .

وهبط آدم عليه السلام إلى الأرض وتصف الأخبار أن طوله ستون ذراعاً وعرضه سبعة أذرع ، ولا شك أن زوجه - حواء - تقارب هذا الطول والعرض (٢) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال : اذهب فسَلِّم على أُولئك من الملائكة ، فاستمع ما يحيونك ، تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . فزادوه : ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » (٣) .

وعلماء الطبيعة يرون أنه قد حدث قُبيل وجود الإنسان انقراض لبعض الحيوانات الكبيرة برية أو بحرية أو برمائية عن وجه الأرض ، ويجعلون ذلك بسبب وجود عصر جليدى أو غيره حين ذاك (٤) ، ونحن نعلم أن الله تعالى قد استعمل عدة طرق فى علمية الإهلاك ، ولا ننكر وجود مثل ذلك .

---

(١) الملك : ٢

(٢) محمود شلبى : حياة آدم (مرجع سابق) ص ٦٣

(٣) رواه البخارى فى كتاب الاستئذان ، باب : بدء السلام ، جـ ٧ ص ١٢٥

(٤) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان . سلامة موسى للنشر والتوزيع - القاهرة ط ٣ (١٩٥٧ م) . ص ١٥٤

ولكن ننكر أن يكون له أثر فى عملية وجود الإنسان عن طريق التطور ، بسبب ذلك ، ولنسأل عن مهمتها قبل وجود الإنسان ، وبهذا الحجم ، ثم انقراضها عند ظهور الإنسان ، وهل هنالك مخلوقات مُكلَّفة على الأرض قبل الإنسان ؟

وإن الجن قد سبقوا الإنسان فى الوجود على الأرض ، وهم مُكلَّفون بالعبادة لله تعالى .

فهل ذلك يعود إلى طبيعة وخصائص الجن ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه « أنه كان يحمل مع النبى ﷺ إداوة [1] لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها فقال : من هذا ؟ فقال : أنا أبو هريرة ، فقال : « ابغنى أحجاراً أستنفض بها ، ولا تأتنى بعظم ولا بروثة » ، فأتيته بأحجار أحملها بطرف ثوبى حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيتُ معه فقلت : ما بال العظم والروثة ، قال : « هما من طعام الجن ... » [2].

ومهما يكن من أمر فإن إرادة الله تعالى نافذة فى ملكه .

قال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّـهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [4] .

وإن كان الله تعالى لم يرد مثل ذلك للإنسان رحمة منه بمشيئته تعالى ، فليس هنالك مانع من أن يكون أراد مثل ذلك لغيره من المخلوقات .

والله سبحانه وتعالى سَخَّر الأرض للإنسان . وقد يكون ذلك من التسخير الذى أراده تعالى تهيئة لآدم عليه السلام ولذريته على الأرض .

---

(١) أداوة : اداة أى إناء وضوئه .

(٢) رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار ، باب : ذكر الجن ، جـ ٤ ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٣) الواقعة : ٦٠ - ٦١ (٤) فاطر : ١٦ - ١٧

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وإن من المحتمل أن تكون هنالك تغييرات أخرى فى الكون غير الأرض مع ظهور الإنسان على سطح الأرض .

قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) الحج : ٦٥ (٢) الجاثية : ١٢ (٣) الجاثية : ١٣

الفصل الثانى

خلق ذرية آدم عليه السلام

يتبع خلق آدم وزوجه عليهما السلام ، خلق ذريتهما ، ونسلهم من ماء مهين، ومن عناصر تكوينهم التراب ، لوراثتهم الصفات الجسمية والعقلية والنفسية ، واصطفاهم اللّه تعالى ، ونفخ فيهم من روحه .

قال تعالى : ﴿ الَّذى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ،وَبَدَأَ خَلْقَ الإنْسَانِ من طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ منْ سُلاَلَة منْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فيه مِنْ رُوحِه وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ منْ سُلاَلَة منْ طين * ثُمَّ جعلْنَاهُ نُطْفَةً في قَرَارٍ مَكينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالقينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثيراً وَنِسَاءً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ ، قَدْ فَصَّلْنَا الآيات لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (٥) .

---

(١) السجدة : ٧ - ٩ (٢) المؤمنون : ١٢ - ١٤ (٣) النساء : ١

(٤) الأنعام : ٩٨ (٥) الأعراف : ١٨٩

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ (١).

لقد جعل اللّه تعالى التناسل وسيلة لبقاء النوع الإنسانى على الأرض عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى ، وأنشأ بينهما المودّة والرحمة .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

ولقد جعل اللّه الغريزة الجنسية فطرة إنسانية ، لا ترجع إلى إرادة الإنسان نفسه ، بل جعلها غريزة مستمرة مطردة مع الإنسان ، وتتطلب على الدوام إشباعها بعد البلوغ ، على العكس من بعض الحيوانات كالبقر والخيل ... التى تشعر فى وقت معين بميل جنسى فى حاجة إلى إشباعه (٣) وذلك لما يتمتع به الإنسان من الإرادة فى عملية تنظيم إشباع هذه الغريزة ، بطريقة محدّدة ومشروعة - النكاح الشرعى - الذى من ثمراته النسل المُحبّب إلى النفس والمُرغّب فيه .

قال تعالى : ﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً * قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَاءِى وَكَانَت امْرَأَتِى عَاقِراً فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (٦) .

---

(١) فاطر : ١١ (٢) الروم : ٢١

(٣) خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ص ٦٨ - ٦٩

(٤) مريم : ١ - ٦ (٥) الفرقان : ٥٤ (٦) النحل : ٧٢

إن لعملية التزاوج بين الذكر والأنثى أهمية كبيرة فى الحياة الإنسانية ، لما يترتب عليه من وجود إنسان يختلف حتى عن والديه وإخوانه فى الصفات الجسمية والعقلية والنفسية فى بناء الحياة الإنسانية وإثرائها (١) .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِه خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ (٣) .

كما أن لعملية التزاوج غاية عظيمة فى بناء الحياة الاجتماعية ، لما تقوم به من تقسيم للمجتمع إلى وحدات إدارية صغيرة - الأسرة - تُبنى فى داخلها الكثير من العواطف والقيَم والمُثل المتوازنة داخل الأُسرة من جهة ، وفى علاقة هذه الأُسرة بالمجتمع من جهة أُخرى .

ونحن نرى الوظائف المختلفة التى يحتاج إليها المجتمع فى شتَّى جوانبه ، والتى تتطلب أن يُوضَع الإنسان المناسب فى المكان المناسب ، حسب قدراته واستعداداته .

والتشريع السماوى الصحيح يُطالِب بذلك ، ويغمر النفوس بتقوى اللّه ، لتقتدر على القيام بواجبها ، بل ويُطالِب كل فرد على حدة بأن لا يضع نفسه فى غير مكانه المناسب .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٥) .

---

(١) د . عبد الحافظ محمد حلمى : الوراثة . دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص ٧٧

(٢) الروم : ٢٢ — (٣) الشورى : ٤٩ - ٥٠ .

(٤) الحجرات : ١٣ — (٥) النساء : ١

وعن ابن عمر أنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته - والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته - قال : وحسبتُ أن قد قال : والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته - وكلكم راع ومسئول عن رعيته »[1] .

وإن الإنسان يرى فى عملية الخلق عن طريق التزاوج الكثير من العبر والمواعظ ، حيث تجعله يرى مراحل خلقه على أطوار متلاحقة ، وبديعة ، الأمر الذى يجعل إعادة هذا الخلق بعد الممات أهون وأيسر من ابتدائه وإنشائه .

قال تعالى : ﴿ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَهُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِىءُ اللَّهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [6] .

* * *

• مراحل خلق ذرية آدم :

من خلال تتبع الآيات القرآنية المتصلة بهذا الموضوع نجد أن القرآن الكريم حدَّد مراحل الخلق الأساسية فى ثلاث :

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن ، جـ ١ ص ٢١٥

(٢) عبس : ١٧ - ٢١ (٣) الواقعة : ٥٨ - ٥٩ (٤) الروم : ٢٧

(٥) العنكبوت : ١٩ (٦) يونس : ٣٤

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ (١) .

حيث تنص الآية على مرحلة النطفة والعلقة والمضغة .

١ - مرحلة النطفة :

وهى أول مرحلة فى خلق ذرية آدم عليه السلام ، والتى تتكون بالتزاوج بين الذكر والأنثى ، عن طريق تلقيح الحيوان المنوى للبويضة . فتتحد الخليتان -الحيوان المنوى والبويضة - فى خلية واحدة ، تتكون من (٤٦) من الصبغيات ، أو الجسيمات الملوّنة ، لكل من الذكر والأنثى (٢٣) من الصبغيات (٢) ، فهذه الخلية هى النُطفة والأمشاج ، حيث إنها تتكون من اختلاط الصبغيات لكل من الذكر والأُنثى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (٣) .

فـ « أمشاج » بمعنى أخلاط (٤) .

وعن طريق تضاعف المواد المكوِّنة للصبغيات فى الخلية (النطفة) ، ينشطر كل جسم إلى قسمين متماثلين ، ثم تنقسم الخلية إلى خليتين ، ثم إلى أربع ، ثم إلى ثمان ، ... وهكذا (٥) . دون زيادة فى حجم البويضة ، وتسير فى البوق إلى الرحم ، بفعل تيارات مصلية (٦) .

---

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٤

(٢) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٢

(٣) الإنسان : ٢

(٤) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ، ص ٤٦٩

(٥) د . عبد الغنى عبود : الإنسان فى الإسلام والإنسان المعاصر . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، ط ١ ، فبراير ١٩٧٨ م ، ص ٢٠ .

(٦) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٢

وتظل هذه النطفة حرة فى الرحم ، حتى نهاية الأسبوع الأول منذ بدء عملية التلقيح ، لتنتهى بمرحلة العَلَقة [١] .

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإنْسَانُ أنْ يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [٣] .

وقد كانت العرب ، وبعض الأمم ، تعتقد أن تكوين الجنين إنما يكون من الرجل ، وليس للمرأة إلا الحمل والرعاية ... وليس كذلك ، بل إن الجنين يتكوَّن من عملية التلقيح بين الحيوان المنوى للرجل والبويضة للأنثى ، ليُكوِّنا خلية واحدة – كما سبق – تحمل الصفات الوراثية لكل منهما ، وهى النُطفة التى جاء وصفها فى القرآن الكريم بـ « نُطفةٍ أمشاجٍ » [٤] .

ويحسن أن نقوم بشىء من التوضيح لكل من الحيوان المنوى والبويضة ، قبل أن نواصل الحديث فى مراحل الخلق .

(أ) **الحيوان المنوى** : إن الرجل يقذف فى القدفة الواحدة فيما بين

---

(١) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان . دار المعارف ، القاهرة ، جـ ١ ص ١٠ .

(٢) القيامة : ٣٦ – ٤٠ . (٣) الحج : ٥

(٤) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن . الدار السعودية للنشر والتوزيع ، طـ ٢ ، ١٤٠١ هـ ، (١٩٨١ م) ، ص ٨٦

۲۰۰ – ۳۰۰ مليون حيوان منوى [١] ، وله رأس مُصفَّح مُدبَّب من الأمام ، وذيل طويل يُساعده على السباحة ، والحركة ، فى شق طريقه فى السائل المنوى القلوى إلى أحد قناتى الرحم ، مكان وجود البويضة [٢] .

والحيوان المنوى يبلغ حجمه (٥٥ ميكرون) [٣] ، ويكون التلقيح مع حيوان منوى واحد غالباً ، ورأسه (٥ ميكرون) ، وهو المهم فى عملية التلقيح [٤] .

وسبب كثرة الحيوانات المنوية ، أنها ليست كلها صالحة للتلقيح ، وما يتعرض إليه الكثير منها من الموت ، بسبب وجود الإفرازات الحامضية فى مهبل المرأة ، فلا يصل منها سالماً معافى إلى قناة الرحم إلا خمسمائة حيوان منوى تقريبًا [٥] .

كما يجب الإشارة إلى أن السائل المنوى للرجل قلوى ، يُغذِّى الحيوانات المنوية ، ويحميها من الموت بسبب الإفرازات الحامضية لمهبل المرأة قبل عملية التلقيح ، كما يساعد على انتقالها من الخُصية إلى الرحم [٦] .

(ب) البويضة : وهى أكبر حجماً من الحيوان المنوى ، لما ستتحمله من تغذية للجنين فى مرحلة « النطفة الأمشاج » حتى تصل إلى مرحلة العَلَقة .

وفى كل من الخُصية والمبيض تتكون خلايا تحتوى (٤٦) من الصبغيات ، ثم تقوم بانقسام اختزالى إلى خليتين ، تحتوى كل خلية على (٢٣) من الصبغيات،

---

(١) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) ط ٢ ، عالم الكتب ، ١٩٧٢ م ، ص ٧٦

(٢) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٣

(٣) الميكرون : ١ على . . . ر. . ١ من المتر .

(٤) خالص جلبى ، الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٣

(٥) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٧٧

(٦) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٧٦

بحيث إذا التقى الحيوان المنوى مع البويضة عند التلقيح ، يتكوّن منهما خلية تحتوى على (٤٦) من الصبغيات ، وتحمل الصفات الوراثية لهما بالتساوى [١].

وإذا لم يكن التلقيح فى مدة أقصاها (٢٤ ساعة) منذ خروج البويضة من المبيض فإنها تموت ، ويبدأ المبيض فى الإعداد لإخراج بويضة أخرى [٢].

وهذه الصفات الوراثية المختلطة بين الرجل والمرأة ، التى تنتقل إلى الأبناء دون تماثل بين الأُصول والفروع ، بل إن كل من الأبناء تجده متميزاً عن الآخر على الرغم من أنهم جميعاً من أب وأُم ولو كانوا توأمين [٣].

وبما أن البويضة واحدة ، والحيوانات المنوية كثيرة جداً ، وهى ذات صفات وراثية مختلفة ، جسمياً ، وعقلياً ، ونفسياً ، فإننا نُدرك مدى تدخل القُدرة الإلهية فى الاختيار بين هذه الحيوانات المنوية التى تُعَد بالملايين ، ليقع التلقيح مع واحد منها فقط غالباً [٤].

عن ابن عباس رضى اللّه عنهما عن النبى ﷺ قال : « أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال : بسم اللّه ، اللّهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فرُزقا ولداً لم يضره الشيطان » [٥].

---

(١) د . عبد الحافظ محمد حلمى : الوراثة (مرجع سابق) ص ٧٧

د . فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو (من الطفولة إلى الشيخوخة) . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٧٥ م ، ص ٣٧

(٢) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٢

(٣) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٢

د . عبد الحافظ محمد حلمى : الوراثة (مرجع سابق) ص ٧٧

د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٠

(٤) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٧٨

د . فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو (مرجع سابق) ص ٣٧ - ٣٨

د . عبد الحافظ محمد على : الوراثة (مرجع سابق) ص ٧٧

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، صفة إبليس وجنوده ، جـ ٤ ص ٩١

كما وجد علم الأجنة - أن الحيوان المنوى هو الذى يُحدِّد جنس الجنين ، وأن رأس الحيوان المنوى المذكر يتصف باللمعان [1] كما تتصف البويضة بأنها كالبدر ، وذو تاج مُشعٍ [2] .

فالحيوان المنوى يحتوى على (٢٣) من الصبغيات ، منها (٢٢) من الصبغيات تتعلق بالصفات الجسمية ، و (١) من الصبغيات يتعلق بجنس الجنين ولقد رمز علم الأجنة لصبغة المذكر (Y) ، والأُنثى (X) ، أما البويضة فلا تحمل إلا جنساً واحداً من الصبغيات (X) فإذا اتحد حيوان منوى يحمل صبغة المذكر (Y) مع بويضة كان الجنين مذكراً ، وإذا اتحد مع البويضة حيوان منوى ذو صبغة (X) كان الجنين مؤنثاً ، فالخلية المكوِّنة للمذكر يُرمز لها ب (XY) ، والمؤنثة بـ (XX) [1] .

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى ﴾ [4] .

ويحسن هنا أن نتساءل عن المراد بـ « مَنِيٍّ يُمْنَى » هل المراد به السائل المنوى للرجل الذى يحمل الحيوانات المنوية من الخصية إلى الرحم ، ويُغذيها ؟ وهل للمرأة سائل منوى له علاقة فى الحمل ؟ وكما سبق فإن إفرازات المهبل الحامضية ليس لها علاقة فى تكوين الجنين ، وإنما أهميتها تكمن فى حماية المهبل والرحم من الجراثيم وفى تسهيل عملية ولوج قضيب الرجل ، وعلى ذلك فإن تكوين النطفة ليس له علاقة فى إفرازات المهبل ، كما أن إفرازات عنق الرحم القلوية

---

(١) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

(٢) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٩

(٣) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٧ بتصرف

(٤) القيامة : ٣٦ - ٤٠ .

ليس لها علاقة فى تكوين الجنين ، وإن كانت تُساعد وتُغذِّى الحيوانات المنوية بالإضافة إلى إفرازات الرجل القلوية [١] ، حيث لا يلزم وجودها .

ولذلك نستبعد أن تكون مرادة فى نص الآية فى قوله تعالى : ﴿ نُطْفَةً مِنْ مَّنِيٍّ يُمْنَى ﴾ .

وعلى هذا يكون المراد بها السائل المنوى للرجل فقط ، لأنه هو الذى يحمل ويُغذِّى الحيوانات المنوية من الخصية إلى الرحم ، والتى سيتحد واحد منها غالباً مع البويضة ، وتكون هنالك إشارة إلى مَنِّى الرجل حيث إنه لا يمكن التكوين لواحد منهما دون الآخر ، فاكتُفِىَ بذكر ماء الرجل ، ويكون المراد بالمنِّى فى الآية السائل المنوى للرجل والضمير فى قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾ . يعود إلى السائل المنوى للذكر ، وعلى هذا فهو الذى يرجع إليه تحديد جنس الجنين ، كما ثبت ذلك فى علم الأجنة .

وقد يقول قائل : إن البويضة تخرج من المبيض بفعل انفجار حويصلة إجـراف [٢] ، المليئة بالماء الأصفر ، عند نموها وامتلائها بسائل هرمونى ، ليساعد البويضة على الانتقال إلى بوق قناة الرحم ، وهذا السائل يساعدها على الانتقال والحركة ، ويُغذِّيها ، فمهمته هى مهمة السائل المنوى للرجل [٣] .

وإنه يجب معرفة أن هذا السائل المندفق من المبيض يكون لمرة واحدة فى الشهر ، وأن هذا السائل يندفق إلى نسمة البطن ، ويثير الميل الجنسى لدى المرأة [٤] ، وعلى هذا فإن هنالك لكل من الرجل والمرأة ماءً دافقاً يتعلق

---

(١) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٣٩ .
د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٦

(٢) حويصلة إجراف : كيس يمتلىء بالسائل بين البويضة والخلايا المحيطة بها ، وينمو حتى ينفجر فتخرج منه البويضة . انظر : د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧ .

(٣) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٢
د . عبد الوهاب حمودة : القرآن وعلم النفس . دار القلم بالقاهرة ، ١٩٦٢ م ص ٤٩ - ٥٣

(٤) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧ .

بالحيوان المنوى والبويضة اللّذين منهما يتكوّن الجنين ، ويمكن أن يُستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (١) .

ولكن فى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ ﴾ (٣) .

فإن فى « جعل » المراد بـ « خلق منه الزوجين الذكر والأنثى » ماء الرجل يكون له معنى زائد ، وهو أن الرجل هو الذى يُحدِّد جنس الجنين ، وهوما يتفق مع علم الأجنة .

وإن وصف الماء بـ « مهين » فى قوله تعالى : ﴿ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ لا يمكن أن يلحق ماء المرأة الذى يخرج فى كل شهر مرة ، ولا علاقة له بالجماع ، كما أن الإنسان لا يراه ، بحيث يكون مهين أو محتقر عنده ، إنما الذى يراه ، ويحتقره ، ويسكبه بفعله ، هو السائل المنوى للرجل ، أما سائل المهبل الحامضى للمرأة ، والذى يظهر أثناء الجماع فلا علاقة له فى تكوين الجنين .

ومن هنا نُرجِّح أن يكون المراد بـ « الماء المَهين » ماء الرجل ، وكذلك « مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى » لما يتضمنه من معنى زائد ، وصحيح .

كما يجب الإشارة إلى أن مصدر تكوين الحيوان المنوى والبويضة الخصية والمبيض ، اللّذان يرتبط شريانهما ، ووريدهما ، وأعصابهما فى موضع بين الصلب (العمود الفقرى) والترائب (الأضلاع) ، ومنهما يكون تغذيتهما ،

---

(١) الطارق : ٥ - ٧ (٢) القيامة : ٣٦ - ٤٠. (٣) المرسلات : ٢٠ - ٢٣

وإدارة شؤونهما [1] ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [2] .

وذكر الإمام القرطبى فى تفسيره أن الحسن قال : المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ، ومن صلب المرأة وترائب المرأة [3] .

وإن بعض المفسرين قد جعلوا المقصود بـ « الصلب » صلب الرجل ، و « الترائب » أضلاع المرأة ، إلا أن هذا سببه يرجع إلى أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه العلم الحديث فى علم وظائف الأعضاء [4] .

ولكن يظل القرآن فى إعجازه لكل زمان ومكان ، فيما ورد فيه من جوانب علمية ، والذى يثبت أنه من لدن حكيم خبير ، ولم يكن من صنع البشر .

٢ - العلقة :

وهكذا تم التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة فى خلية واحدة ، وقامت بالانقسام المتتالى ، إلى أن تصبح كثمرة التوتة تسمى بالكرة الجرثومية ، وحجمها لا يزيد عن رُبع مم [5] ، وعندئذ يأتى دور العلقة ، حيث تعمل على العلوق والتشبث [6] ، فى جدار الرحم الخلفى ، وبالذات فى النصف العلوى منه [7] ، وذلك فى نهاية الأسبوع الأول من عملية التلقيح [8] .

---

(١) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) الطارق : ٥ - ٧

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٨ ص ٦٤

(٤) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٢٤١

أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٤١

(٥) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٧

(٦) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٣٤٣

(٧) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٣

(٨) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٠٠

وهنا تتميز الخلايا أو الكرة الجرثومية إلى طبقتين [١] :

(أ) طبقة خارجية : وتتكوّن من خلايا أكلة ومغذية على شكل زغابات ، لتقوم بعملية قضم الجدار الرحمى الخلفى ، لتصل إلى الدم الغليظ ، لتأمين غذائها وغذاء الجنين ، مما يحتاجان إليه من الماء ، والسكريات والنشويات .... إلخ ، وينسكب الدم على شكل برك حول هذه العَلقة .

(ب) طبقة داخلية : وهى جزء صغير من العلقة ، يتكون منها الجنين .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [٢] .

فإن هناك من علماء التفسير من جعل ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ صفة للنُطفة [٣] أى نُطفة مُخَلّقة وغير مُخَلّقة .

فهل يكون المراد : أن النُطفة تتميز عند العلوق بجدار الرحم إلى قسمين ، جزء مُخلّق ، وهو الطبقة الداخلية ، والتى يكون منها تكوين الجنين ، والجزء الآخر غير مُخلّق ، وهو الذى يتكون من الخلايا الآكلة والمغذية ، إلا أننى أميل إلى أن ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ صفة لُمضغة كما سيأتى إن شاء اللّه .

ومن هنا يرى العلم الحديث أن كل خلية ، أو طائفة من الخلايا ، من الطبقة الداخلية ، تختص فى بناء جزء معين فى تكوين الجنين ، والتى كان مجموعها من خلية واحدة [٤] .

---

(١) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٥ .
د . محمد على البار : خلق الانسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٩
(٢) الحج : ٥
(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٤٣٦
(٤) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٨٢ - ٨٥
ويلارد أولسون : تطور نمو الاطفال ، ترجمة د . إبراهيم حافظ وآخرين ، عالم الكتب ، ١٩٦٢م ، ص ٧٧

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ (٢) .

« والعَلقة فى اللُّغة : علق الشئ بالشئ : نشب فيه ، واستمسك به ، وعلق فلاناً : تمكن حبه فى قلبه ... والمُعَلَّقة : التى لا يعاشرها زوجها ولا يُطلقها » (٣) .

فالمفسرون حينما يُفسرّون العَلقة بالدم الجامد ، أو الدم الغليظ (٤) إنما يعتمدون على التشخيص بالعين المجردة ، والعَلقة فى بداية نموها لا تُرى بالعين المجردة ، وتكون محاطة بالدم الغليظ كما سبق .

والعلم الحديث عندما يكشف الحقيقة ، بما أُوتى من وسائل التشخيص الدقيقة ، فإنه لا يستطيع أن يلوم المفسرين على تشخيصهم ، خاصة أنهم لم يبعدوا كثيراً عن الحقيقة ، ولكن يظل الإعجاز للقرآن الكريم (٥) .

٣ - مرحلة المُضْغَة :

إن الجنين يواصل نموه ، وكل حلقة تليها حلقة أُخرى متواصلة دون انفصال ، والمُضغة تختلف بحسب الماضغين (٦) ، كما أن حجم الجنين فى هذه المرحلة يختلف من جنين لآخر ، وذلك للاختلاف فى عملية النمو من إنسان لآخر .

فالجنين حتى بداية الأسبوع السادس - منذ بدء عملية التلقيح - يشبه كثيراً

---

(١) الانفطار : ٦ - ٨ (٢) آل عمران : ٦

(٣) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٣٥٢

(٤) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٥

البيضاوى : أنوار التنزيل واسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٤٣٩

(٥) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٧

(٦) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٤٦٩

جنين الزواحف والقردة والخنازير والأرانب .... وغيرها [1] ، وطوله فى هذه المرحلة (٥ مم) تقريباً [2] .

وفى بداية الأسبوع السابع تتضح المعالم الرئيسية للجنين ، الرأس والعينان ، وبراعم الأطراف [3] .

وفى الأسبوع السابع والثامن يبدأ ظهور مراكز العظام بطريقتين وهما [4] :

(أ) عظام غضروفية : وهى تتكوّن فى البداية من الغضاريف ، ثم يحل محلها بالتدريج العظام ، عن طريق القيام بامتصاص الغضاريف ، مثل عظام الأطراف ، والعمود الفقرى ، وجزء من قاع الجمجمة .

(ب) عظام غشائية : حيث تنمو العظام على رقاق غشائى ، دون أن يسبقه مرحلة ظهور الغضاريف ، مثل عظام الجمجمة .

وهكذا تظهر العظام وتنتشر ، ثم يكسوها اللّحم (العضلات) ، وتتصل العضلات بالأعصاب .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [5] .

---

(١) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٦
د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٣٨
سميح عاطف الزين : آدم والتكوين (مرجع سابق) ٤١ - ٤٢

(٢) د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٧

(٣) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٤١ .
عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٠٢ - ١٠٣

(٤) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٤٨-١٥٣
د . خالص جلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٥

(٥) الحج : ٥

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ، فَلَمَا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٢] .

ويتضح من الآية الثانية ، أن بداية مرحلة المُضغة تسبق ظهور عظام جسم الجنين ، فهل يكون المراد من وصف المضغة بـ ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ ما قبل الأسبوع السابع ؟ والتى يكون فيها الجنين يشبه جنين الزواحف والخنازير ... إلخ بحيث يكون المراد بـ « مُخلَّقة » أنها مرحلة من مراحل الخلق ، فـ «مُخلَّقة» فيها معنى الكثرة ، فما تتابع عليه الأطوار فقد خُلِق خلقاً بعد خَلْق ، وإن كان نُطفة فهو مخلوق ، « وغير مُخلَّقة » من جهة التصوير ووضوحه [٣] .

ولعل فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ [٤] ، ما يشير إلى المرحلة التالية فى الأسبوع السابع والثامن ، والتى تتضح فيها المعالم الرئيسية للجنين ، وتميزه عن تلك المرحلة السابقة ، فيما قبل الأسبوع السابع ، وذلك لأن حسن الخلق والتصوير تبدأ وتتحدد من هذه المرحلة إلى خروجه طفلاً [٥] .

فكأن فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ إشارة إلى ظهور الصورة المميزة للإنسان عن غيره من الحيوانات والطيور ... وأى صورة أحسن من هذه الصورة ! فالنُطفة ، والعَلقة ، والمُضغة كل منها مُخلَّقة وطور من أطوار

---

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٦ (٢) البقرة : ٢٥٩
(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٤٣٦
(٤) المؤمنون : ١٤
(٥) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٨

الخلق[1] . فإن فى ظهور العظام وكسوها باللّحم تمييزاً واضحاً للإنسان عن تلك الصورة السابقة ، وإن علم الأجنة - فى العصر الحديث - حينما يكتشف أن بداية التصوير للجنين تقع فى الأسبوع السابع منذ بداية التلقيح ، فإن السُنَّة النبوية قد جاء فيها ما يُثبت ذلك .

عن حذيفة بن أُسيد الغفارى رضى اللّه عنه أنه قال : ... سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث اللّه إليها مَلَكاً فصوَّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : ياربِّ ؛ ذكر أم أُنثى ؟ فيقضى ربُّك ما يشاء ... » [2] .

ولقد تعرَّض القرآن الكريم إلى مراحل خلق الإنسان بأساليب مختلفة ، فمرة يذكر المراحل الثلاث ، وأُخرى يذكر مرحلتين ، أو مرحلة واحدة منها ، ومن هذه المراحل إلى مرحلة تمام الخلق ، فالقرآن تناول الخلق فى كل مرة من زاوية لتكتمل الصورة ، وذلك لحكمة بيانية وبلاغية ، لما يُحققه هذا الأسلوب من العبرة والموعظة فى إثبات القدرة الإلهية فى مخلوقاته ، والتى يرفضها الملحدون ، لقصور عقلى أو عناد أو غرور .

فالعبرة والموعظة هى هدف القرآن الأول ، إذ ليس هو كتاب أحياء أو طب ، وإنما يذكر شيئاً من ذلك للتحدى .

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدتُ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَداً ﴾ [3].

ففى هذه الآيات نقلتان رائعتان فى الخلق ترسم فى الذهن ثلاث مشاهد فى مراحل خلق الإنسان : تراب ، ونُطفة ، ورجل .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٤٤٠١.

(٢) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ٣ ، جـ ٤ ص ٢٠٣٧.

(٣) الكهف : ٣٦ - ٣٨

فالتراب - الجماد - الذى يمشى عليه ، ويُباع بأبخس الأثمان .. إنه هو أصل الإنسان ، لأنه يتغذى منه ، عن طريق النباتات والحيوانات ، حيث إن النباتات تمتص عناصرها من التراب . كما أن الحيوانات تتغذى على النباتات ، وبالتالى فإن عناصر الإنسان هى عناصر التراب (١) .

فهذه العناصر المتمثلة فى الغذاء تمتصه المعدة ، والأمعاء ، ثم يتحوّل إلى دم ، ثم غذاء لجميع أجزاء الجسم بما فيه الخصية والمبيض ، والذى فيهما يتكوّن الحيوان المنوى والبويضة ، فانظر إلى هذا التراب كيف تحوّل إلى حيوان منوى وبويضة ، وانظر إلى النُطفة التى تتكوّن من اتحاد الحيوان المنوى والبويضة فى خلية واحدة لا تُرى بالعين المجردة ، هذه النطفة التى لم ترس بعد فى مقر لها فى الرحم ، ثم انظر إلى الإنسان التام الخَلق .

كيف تحوّلت هذه الخلية الواحدة التى لا تُرى بالعين المجردة إلى إنسان ، ذى خلايا مختلفة ، خلايا عصبية ، وخلايا عظمية ، وخلايا عضلية ... (٢) إلخ ، كيف تميزت هذه الخلايا المختلفة من خلية واحدة ذات صفات جسمية مختلفة .

إن العلم الحديث رغم ما أُوتى من وسائل التشخيص لم يصل حتى الآن إلى تعليل علمى دقيق (٣) ، مع أنها أمور تقع عليها الحواس ، وإنما يقفون أمام ذلك مشدوهين ، فهذا الإنسان من جانبه المادى ، فما موقفهم أمام جانبه الروحى ، الذى لا تقع عليه الحواس ؟ إن العبرة والموعظة ستكون أكبر بكثير .

وكقوله تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾(٤) .

---

(١) الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف ببيروت ، ١٩٧٤ م ، ص ١٠٥

(٢) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٧٩

(٣) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٠٤

(٤) السجدة : ٧ - ٩

كما أن فى هذه الآيات نقلة رائعة فى الخلق ، من الماء المهين الذى يسكبه الإنسان ، ويحتقره ، فإذا سوّاه اللّه تعالى ونفخ فيه من روحه ، فإذا هو بعد ذلك إنسان ، يتصف بالسمع والأبصار والأفئدة ...

فمن الحالة التى كان عليها الإنسان قبل تكون النطفة « ماء مهين » إلى حالة تمام الخَلق ، فتأمل ... وستجد الكثير الكثير مما يُحيِّر العقول ، وستجد العبرة والموعظة فى ذلك ، والتى هى هدف القرآن .

كما أن السجع فى « من طين » و « ماء مهين » يؤدى إلى حسن فى النغم الموسيقى للعبارة ، والذى له أثر فى البيان ، لوقوعها موقعها ، لأن علو الفواصل القرآنية فى البلاغة أنها واقعة فى موقعها .

فالمعانى هى المقصود الأول ، والألفاظ يحسن نغمها وموسيقاها لأنها تابعة لذلك .

وكقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً* إنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ (١) .

فهذه النطفة الأمشاج أو الأخلاط (٢) ، التى تتكوّن من (٢٣) من الصبغيات من الذكر ، و (٢٣) من الصبغيات من الأنثى ، فأين السمع والبصر وغيرهما قبل التقاء الحيوان المنوى مع البويضة ، هل هى مع الحيوان المنوى أم مع البويضة أو معهما ؟

ولكن من هذه النُطفة الأخلاط من الذكر والأُنثى نجد الإنسان التام الخَلق فى أحسن صورة ، فتبارك اللّه أحسن الخالقين .

---

(١) الإنسان : ١ - ٣

(٢) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٤٩٨

وكقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ، تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا ، لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٢) .

فهذه النُطفة لم تستقر بعد فى الرحم ، وهى تبدأ من خلية واحدة ، إلى أن تصبح عدة خلايا كالكرة الجرثومية ، وغذاؤها معها ، ولكن سينفد خلال أسبوع من عملية التلقيح ، من ذا الذى هداها إلى أن ترسو فى النصف العلوى من جدار الرحم الخلفى ، لتواصل مسيرة النمو ؟ (٣) .

إن فى هذا التحول من النطفة إلى رجل يخاصم فى أمر ربه بعد أن كمل نموه، وينكر فضل الله تعالى عليه ، ما يرشده إلى أن يبحث فى أصله فى مرحلة النُطفة ، أين كانت قدراته الجسمية ، والعقلية ، والنفسية ، التى يتمتع بها الآن ؟

وكقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٤) .

فالآيات الكريمة تذكر مرحلة من مراحل الخلق ، وتطوى المراحل الأُخرى بهدف إظهار القدرة الإلهية ، وفضل الله تعالى على عباده .

وذلك بأن ينظر الإنسان بين مرحلة تمام الخَلق ، ومرحلة العَلَقة ، فالعَلَقة الصغيرة فى الحجم (٥ مم) (٥) وتتشبث فى جدار الرحم الخلفى لتنمو وتتميز إلى خلايا مختلفة ، خلايا عصبية ، وعضلية ، وعظمية ... (٦) ... إلخ ، مَنْ

---

(١) النحل : ٣ - ٥ (٢) يس : ٧٦ - ٧٨

(٣) د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص ١٠٣

(٤) العلق : ١ - ٥

(٥) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ، ص ٧٧

(٦) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٧٩

ذا الذى هداها إلى هذا ؟ فتخرج إنساناً كاملاً ، ذا إمكانيات هائلة فى الإدراك والتعلـم ... وإن ذلك يرجع إلى إمكانيات كامنة فى العَلَقة .

وإن الجُناس بين « خلق » و « علق » يؤدى إلى حسن فى النغم ، والموسيقى، مما يكون له زيادة فى البيان فى هز القلوب ، لتحقيق العبرة والموعظة ، فهو يُكمِّل هدف الآيات .

وليست الموسيقى والنغم هى الهدف ، حيث إن بلاغتها وسموها فيه إنما هو بوقوعها فى موقعها .

* * *

● فى ظلمات ثلاث :

قال تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأنْعَامِ ثَمَانِيةَ أزْوَاجٍ ، يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ﴾ (١) .

لقد اختلف المفسرون فى تحديد المراد بـ « ظلمات ثلاث » - قديماً وحديثاً - فمنهم من حدَّد الظلمات بعد علمية التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة ، ولعل أهمها (٢) :

(أ) ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة .

(ب) ظلمة المشيمة ، والرحم ، والليل .

(جـ) ظلمة غشاء السلى ، والمشيمى ، والساقط (٣) .

---

(١) الزمر : ٦

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٥٦٨ .
الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٣٨٨

(٣) د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ، ص ٨ .

وإن بعضهم حدّدها من مرحلة ما قبل عملية التلقيح إلى ما بعدها ، ولعل أهمها :

(أ) ظلمة صلب الرجل ، والبطن ، والرحم [1] .

(ب) ظلمة المبيض ، وقناة الرحم ، والرحم [2] .

فـ « فى بطون » متعلق بـ « يخلقكم » وكذلك الجار والمجرور فى « فى ظلمات ثلاث » [3] ، ومن هنا يكون المعنى المراد بـ « من بعد خلق » أحد الاحتمالات التالية :

(أ) إنه خُلِقَ فى مراحل متتالية بعد عملية التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة : نُطفة ، عَلَقة ، مُضغة ... فى ظلمات ثلاث ، وهى : ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة .

والمشيمة فى مرحلة النُطفة وجزء من مرحلة العلقة تتمثل فى الطبقة الخارجية منهما ، حيث يتكوَّن منها الغشاء المشيمى ، والتى سبق وأن أوضحناها فى مرحلة العَلَقة .

ويمكن أن يكون المراد : أنه خُلِق خلقاً متتالياً فى مراحل قبل وبعد عملية التقليح فى ظلمات متفرقة ، وهى ظلمة صلب الرجل ، والبطن ، والرحم ، أو القول بأنها ظلمة المبيض ، وقناة الرحم ، والرحم .

(ب) إنه خَلْقٌ سابق لمرحلة الخلق فى بطون الأمهات ، وهو خلق الحيوان المنوى والبويضة ، ثم خلق الجنين فى ظلمات ثلاث وهى : ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٥٦٨ .

(٢) عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٨٥ حاشية .

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٤٥ .

(جـ) أن الخلق فى بطون الأُمهات فى ظلمات ثلاث تسبقه مرحلة من الخلق، وهى النُطفة ، وجزء من مرحلة العَلَقة ، قبل ظهور هذه الظلمات ، وهى غشاء السلى ، والغشاء المشيمى ، والغشاء الساقط . وهى تتكوَّن بالتعاون بين الطبقة غير المُخلَّقة فى العَلَقة والرحم .

بل هل يجوز أن يكون الجار والمجرور « فى ظلمات ثلاث » متعلق بـ «خلق» فى « من بعد خلق » وتكون الظلمات الثلاث سابقة للخلق فى بطون الأمهات ، وأن يكون الحيوان المنوى والبويضة فى ظلمات ثلاث مع بعضها ، أو متفرقة حيث تكون مراحل للتكوين وكل مرحلة فى ظلمة كالخصية للرجل ، والمبيض للمرأة ، والصلب والترائب والقلب لهما مثلاً .

والراجح - والله أعلم - أن المراد بالظلمات الثلاث : ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة ، لأنها ظلمات للجنين من بداية الخلق فى بطون الأمهات ، ولأن بداية خلق الإنسان إنما هو بالتقاء الحيوان المنوى بالبويضة ، ليكوِّنا النطفة ، ثم تتحوَّل إلى علقة ثم مُضغة ... فهو خلق فى مراحل متتالية .

وليس هنالك مانع من أن يكون فى قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ إشارة إلى أن هذه الظلمات يسبقها خلق للحيوان المنوى والبويضة قبل خلق الجنين فى هذه الظلمات .

أما الأقوال الأخرى فمرجوحة لما يأتى :

(أ) إن ظلمة اللَّيل ليست خاصة بالجنين ، وأنها ليست دائمة .

(ب) أما القول بأن الظلمات الثلاث هى ظلمة صلب الرجل ، والرحم ، والبطن ، فإنه يوزع الظلمات بين ما قبل عملية التلقيح وما بعدها .

كما أن صلب الرجل جزء من الخلق ، وماذا عن صلب المرأة وترائبها ، أو المبيض ؟

وكذلك القول بأن المراد بها ظلمة المبيض ، وقناة الرحم ، والرحم ، فإنه خص الخلق فى تكوين وخروج البويضة ، وهو جزء من الخلق ، فماذا عن الحيوان المنوى ؟

ولقد تعرفنا فى الفصلين السابقين على وجهة نظرة القرآن الكريم والعلماء المخبريين فى تكوين الإنسان .

فما هى وجهة نظر بعض علماء الطبيعة من الماديين ؟

* * *

الفصل الثالث

فرضية التطور والتكوين

إن فرضية التطور ترى أن جميع الأنواع المختلفة من الأحياء ترجع إلى أصل واحد ، أو أصول متعددة [١] .

وإن الأحياء تطوَّرت من أحياء بدائية ذات خلية واحدة كالأميبة والجرثومة إلى أحياء مختلفة ، تحتوى على ملايين من الخلايا .

فالأحياء كلها - النباتات ، الحيوانات - تتكوَّن من خلية واحدة ، أو من مجموعة خلايا ، وإن هذه متطورة من الأُولى .

والإنسان لا يتعدى فى تكوينه عن مجموعة من الخلايا التى لا تُحصى [٢] .

فالأحياء تطوَّرت - عند التطوريين - من خلية إلى أحياء ذات خلايا ، إلى أن وصلت إلى الثدييات ، ثم إلى حيوان شبيه بالإنسان (الحلقة المفقودة) ، ثم إلى الإنسان الحالى [٣] .

فالأحياء تتطوَّر من مادة غير عضوية إلى أحياء مائية ، ثم إلى أحياء برمائية، ثم أحياء برية ، ثم إلى الإنسان [٤] .

---

(١) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الإسلامية - دار الكتاب اللبنانى ، دار الكتاب المصرى ، ط ١ ، ١٩٧٧ م ، ص ١٠٥

(٢) تشارلز داروين : أصل الأنواع ، ترجمة إسماعيل مظهر . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، جـ ١ ص ٣٩

(٣) د . أنور عبد العليم : قصة التطور . دار القلم ومكتبة النهضة ، ص ٣٤

د . عادل العوا : الإنسان ذلك المعلوم . منشورات عويدات ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٠٤

(٤) د . أحمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع ، دار القلم ، الكويت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) ، ص ١٩

وإن هذه الأحياء قد تطوَّرت فى الحواس ، من ذى حاسة إلى أن وصلت إلى الحيوان ، بما فيه الإنسان ذو الحواس الخمس (١) .

وكذلك الدماغ تطوَّر فى حجمه إلى أن وصل إلى ما وصل إليه عند الإنسان، مما ترتب عليه زيادة فى القدرات العقلية ... (٢) .

وتعتمد نظرية التطور على قانون أساسى وهو « قانون تنازع البقاء » وثلاثة قوانين ثانوية وهى :

(أ) قانون الملاءمة بين الحى والبيئة الخارجية .

(ب) قانون استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها تحت تأثير البيئة .

(جـ) قانون الوراثة (٣) .

فكانت الأحياء ذات الخلية الواحدة بحجم كبير فى التعداد ، بينما الغذاء قليل بالنسبة إلى عددها ، مما جعلها تتقاتل من أجل البقاء فى الاستحواذ على الغذاء ، وبالتالى فإن الفائز منها هو الأقوى ، وهو الأصلح للبقاء (انتخاب طبيعى) .

كما أن فقر الأرض فى الغذاء جعل الأقوى هو الذى يستطيع أن يتنقل بحثاً عن الغذاء ، فكان هو الأصلح للبقاء .

وكذلك الأسماك فإن جفاف الأنهار فى وقت دون وقت جعل البقاء للأصلح ، وذهب الضعيف ، فمن كانت رئته أكبر كان أصلح للبقاء ، لاختزانه الماء فى رئته حتى عودة المياه إلى الأنهار .

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ١٤٣ - ١٤٥

(٢) د . حسن زينو : التطوُّر والإنسان ، دار الدعوة ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ ، ص ١١٥ - ١١٦

(٣) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة . دار المعارف ، القاهرة (ج . م . ع) ، ١٩٥٧ م ، ص٣٣٩

كما أن السمكة - أو نسلها - التى كبرت رئتها - وتحملت نقصان الماء بنفس الأسلوب يجعلها مع السنين تستطيع أن تخرج تزحف خارج الماء كحيوانات برمائية .

وإن التى خرجت من الماء ، أو جف النهر عنها ، تتنازع فى البقاء ، لمن تستطيع أن تتحمل البقاء فى اليابسة كحيوانات برية [1] .

فـ « الحيوانات التى نزلت الماء نشأت لها زعانف ، وذيول ، وخياشيم . والتى اقتحمت الهواء نشأت لها أجنحة ، وريش ، وأجسام انسيابية خفيفة . والحيوانات التى اختارت الأرض لتدب عليها نشأت لها أذرع ، وأرجل ، وأصابع .

وهكذا تعدَّدت الأنواع ، ونشأت تصانيف مختلفة من الحيوانات ، كل منها مجهَّز ليواجه بيئته ، وتطوَّرت الحياة التى بدأت بخلية واحدة تقوم بكل الوظائف إلى حيوانات عديدة الخلايا راقية متخصصة ، ونشأ الحيوان الذى يستطيع أن يواجه بيئته الصعبة المعقدة ، ويعيش فيها ، ويصارعها .

وفى أثناء هذا الصراع الطويل كانت الأنواع التى تعجز عن التكيف تموت ، وكانت الأنواع التى تثبت صلاحيتها وملاءمتها تعيش ، وبهذا قامت الطبيعة بنفسها بعملية اختيار الأصلح ، والأنسب ، واستبعاد الأضعف ، والأقل ملاءمة » [2] .

« وبديهى أننا لا ننتظر أن نرى هذه الآثار ظاهرة قوية ، أى بقوة ما نرى من

---

(١) لهنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة د . فؤاد زكريا ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٩ م ، ص ١١ .

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٧ .

روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية . دار الطليعة ببيروت ، ط ٤ ، ١٩٨١ م ، ص ١٩٣، ٥٣٦

(٢) د . مصطفى محمود : لغز الحياة . دار النهضة العربية ، ط ٤ ، ١٩٧٣ م ص ٧٩ - ٨٠ .

الآثار التى يتركها الأب للابن ، فآثار الوراثة تضعف ، وتكاد تتلاشى بنسبة بعد الفرد الذى نرث عنه شيئاً فى جسمنا ، أو ذهننا ، وعلّة هذا الضعف ليست تقادم الزمن ، وإنما طروء الأجيال جيلاً بعد جيل ، وطبع كل جيل سماته فى عقبه ، بحيث تظهر هى ، وتستتر سمات الأجيال السابقة .

فالكفايات الوراثية للإنسان تتمثل فيما ورثه عن أبويه ، ثم تستتر طبقة وراء أخرى ، وتتضاءل هذه الطبقات حتى تصل إلى عهد الخلية الأولى ، التى نشأت منها جميع أنواع الحيوان ، والنبات ، ومنها الإنسان » [١] .

* * *

• أدلة التطوريين :

ولعل أهم أدلة التطور التى يعتمد عليها التطوريون فى أصل الإنسان والأحياء بشكل عام ما يأتى :

١ - الخلية :

إن سائر الأحياء بما فيها الإنسان لا يتعدى من أن يكون ذا خلية أو مجموعة من الخلايا [٢] .

فالإنسان ذو الخلايا التى لا يمكن حصرها ، لا تختلف الخلية عنده عن خلية الجرثومة أو الأميبة [٣] ، أو أى حيوان من جهة التركيب [٤] .

كما أن عناصر المادة فى الحيوان - العضلية ، والعظمية ، والعصبية - هى نفس عناصر التركيب لدى الإنسان [٥] .

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٤

(٢) تشارلز داروين : أصل الأنواع (مرجع سابق) جـ ١ ص ٣٩

(٣) كائن حى وحيد الخلية لا يُرى بالعين المجردة .

(٤) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢
سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٦

(٥) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦٨
سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٤

« وعلى هذه المشابهة ، بل القرابة ، أمكن التعالج بأعضاء الحيوان ، فنحن نتعالج بالغدة الدرقية ، المستخرجة من الفرس إذا مرضت غدتنا ، ونحن نتعالج بإفرازات البنكرياس المستخرجة من العجل إذا أصبنا بالديابيطس - البول السكرى - ، فلو لم نكن نحن والفرس والعجل من أصل واحد ، تجرى أجسامنا جميعاً على نظام واحد ، لما أمكن التعالج بهذه الأشياء ، أى لو كان الإنسان قد خُلِق على حدة لكان له نظام آخر فى وظائف أعضائه ، يختلف عن النظام الذى نراه فى سائر الحيوان » (١) .

وإن الإنسان يبدأ خلقه كجنين من خلية واحدة كسائر الحيوانات ، وكذلك فإن سر الحياة فى الخلية عند سائر الأحياء (٢) .

٢ - حياة الجنين :

إن الجنين يبدأ تكوينه من خلية واحدة ، ثم تنقسم هذه الخلية إلى خليتين ، ثم إلى أربع ... وهكذا .

وإن الجنين فى مراحله الأُولى يشبه مراحل جنين الأسماك ، والأرانب ، والقردة ... إلى بداية الأسبوع السابع كما سبق .

وعلى هذا يكون تكوين الجنين يحاكى مراحل خلقه السابقة فى الماضى السحيق ، فهو يتكوّن فى البداية من خلية واحدة كالجرثومة والأميبة ، ثم إلى هيئة السمكة ، ثم إلى هيئة حيوان مشعر ذى أربع وله ذيل ، ثم إلى إنسان(٣).
كما أن فترة الحمل عند الإنسان والقردة العليا تسعة أشهر ، وفترة الرضاع لهما سنتان (٤) .

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٤ - ٧٥
(٢) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون ، دار الفكر العربى ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، ص٣٤-٣٥
(٣) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٧
د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٧٤
(٤) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦

« وعندما يولد الجنين البشرى يبقى مدة من الزمن وجمجمته لا تلتحم من أعلاها الأمامى ، إذ هى جلدة طرية .

وهذه الجلدة الطرية تعود بنا إلى مئات الملايين من السنين الماضية ، حين كنا من الزواحف الصغيرة الدنيئة تزحف على الأرض ، ونخشى الهجوم علينا من أعلى ، فكانت لنا عين ثالثة مكان هذه الجلدة ، ننظر بها إلى أعلى ونحذر الأعداء .

وقد استحالت هذه العين القديمة إلى الغدة الصنوبرية .

ولا تزال فى أستراليا زاحفة تشبه العظاية - السحلية الكبيرة - تمتاز بهذه العين الثالثة ، وتدعى تواتارا » (١) .

٣ - الأعضاء الأثرية :

وهى التى يحملها الإنسان كأعضاء أثرية فى جسمه ، مما ورثه عن أجداده الحيوانات وهى :

(أ) المعى القصير : إن له أهمية كبيرة بالنسبة للحيوان الذى يرعى الأعشاب فى عملية الهضم ، حيث يُحوِّل المواد الخشبية إلى سكر .

أما بالنسبة للإنسان الذى تغيَّر أسلوب اختياره للأطعمة ، ولم يعد من رعاة الأعشاب ، فأصبح ليس له قيمة فضمر وضعف عن مقاومة الأمراض ، مما جعله مصدراً مؤذياً للإنسان ، يتطلب استئصاله ، ولو كان مفيداً لضر استئصاله (٢).

(ب) العصعص : وقد يتكوَّن من أربع فقرات مكتنزة فى نهاية العمود

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧١

(٢) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٣

د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٧٦

الفقرى السفلى ، وصار عظماً واحداً ملتحماً ، لعدم وجود وظيفة له عند الإنسان ، وهو يمثل ما ورثه الإنسان عن الحيوانات ذات الذيول [1] .

(جـ) عضلات الأذن : إن العلم الحديث يكتشف عضلات ضامرة ، وضعيفة عن الحركة للأذن ، وذلك لأن الإنسان اعتمد فى سلوكه على الرؤية بالعين أكثر من اعتماده على السمع بالأذن [2] .

٤ - التشابه :

إن هناك أوجه شبه بين الإنسان والحيوانات ، وخاصة القردة العليا ، فدم الإسنان يشبه فى تركيبه دم القردة العليا ، وخاصة الشمبانزى والغوريلا من أوجه كثيرة ، مما يدل على أن الإنسان والقردة يرجعان إلى أصل واحد [3] .

وكذلك القلب ، والدورة الدموية ، والشرايين ، والأوردة ، والخصية ، والمبيض فى الإنسان والحيوان متشابهة [4] ... والخلايا العظمية والعصبية والعضلية فى كل منهما متشابهة [5] .

وإن هناك تشابهاً ظاهرياً بين الإنسان والقردة ، ففى اليد والقدم لكل منهما خمسة أصابع [6] .

---

(١) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٣٥١

د . سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ٧٤ - ٧٨

(٢) د . حسن هويدى : الوجود الحق ، المكتب الإسلامى ببيروت ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ، ص٧٦

د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٧٦

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٩٠

(٣) لهنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١١٥

(٤) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦٨

(٥) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٤

(٦) د . مصطفى محمود : لغز الحياة (مرجع سابق) ص ٦٦

بل إن البعض يقول : « إن دم الإنسان يحتوى على اليود ، وملح الطعام ، مما يشهد على ملوحة البحر الذى عاش فيه أسلافه » [(١)] .

« وإننا عندما نجد شخصين متشابهين نفترض وجود قرابة بينهما ، وعلى ذلك فعندما نكتشف أوجه شبه فى التركيب أو الوظيفة بين أنواع مختلفة كالبشر والقرود مثلاً ، فمن المنطقى أن نشتبه فى وجود أصل مشترك » [(٢)] .

٥ - الحفريات :

لقد عثر العلماء على مجموعة قليلة من الجماجم والأسنان والفكوك ... فى عصور قديمة فى الحقب الرابع (منذ مليون سنة) ، تعود لسلالات قردية ، وسلالات شبيهة بالإنسان [(٣)] .

ويرى التطوريون أنه « منذ مليون سنة بدأت إحدى سلالات القردة تتطور تطوراً بطيئًا وئيداً انتهى بإنجاب الإنسان الشبيه بالقرد ، الذى ظهر منذ نحو (٢٠٠ ألف سنة) ، وامتاز عن أجداده بقدرته على التفكير ، والابتكار ، وعلى النطق والكلام ، وعلى المشى منتصباً على قدميه [(٤)] .

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [(٥)] .

« ولقد عثر فى تشوكوتيان على جماجم للإنسان الصينى فى بداية البليستوسين السفلى من الحقب الرابع . فـ « عُثِرَ على أول جمجمة عام ١٩٣٥ ، وقد

---

(١) سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٥ بتصرف .

(٢) لهنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١٠٤

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٦

(٤) سميح عاطف الزين : طريق الإيمان ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ط ٢ ، ص ٧٨

(٥) الملك : ٢٢

عزاها بلاك [١] إلى شاب ، وفايد نرايش [٢] إلى طفل ذكر عمره (٨ - ٩ سنوات) ... وجمجمة - آخر - ... وقد عزاها بلاك إلى بالغ ، وفايد نرايش إلى شاب عمره (١٤ - ١٨ سنة) ، وقد اكتشفت جماجم ثلاث أُخر عام ١٩٣٦ ، اثنتان منها لذكر وأنثى بالغين ، والثالثة لشاب ذكر ، وهى مجردة كلها من الفك .

قدَّر بلاك السعة الدماغية للجمجمة الأولى بـ ٩٦٠ سم^3 ولا تبلغ حسب تقرير فايد نرايش سوى ٩١٥ سم^3 ، فشكل القالب الدماغى قريب من الشمبانزى ، ولكن المنطقة الجبهية إنسانية ، درس فايد نرايش القالب الدماغى، وتوَّصل إلى أن الدماغ يزداد بالتوالى من الشمبانزى إلى الإنسان الصينى ، ويظهر ذلك من الإنسان الصينى إلى الإنسان الحالى .

وتصل السعة الدماغية فى جماجم أُخرى فى موقع آخر ١٠١٥ سم^3 للأُنثى، و ١٠٣٠ و ١٢٢٥ سم^3 للذكر ، وهذه الأرقام تقريبية لفقدان قاعدة الجمجمة[٣] .

« وعثر عام ١٩٣٦ فى موجوكرتو (فى جزيرة جاوة) على جمجمة طفل فى طبقات جنيس البحيرية البركانية ، وينقص هذه الجمجمة قسم من قاعدتها ،

---

(١) أ . بلاك : عالم طبيعة أمريكى ، قام برحلة بحث علمى إلى الصين لدراسة الآثار الإنسانية فى النصف الأول من القرن العشرين ، وقد اكتشف الإنسان الصينى ، الذى سُمى باسمه : الإنسان العملاق بلاكى . وسمى أيضاً : الإنسان القردى العملاق .

د . حسن زينو : الإنسان والتطور (مرجع سابق) ص ٩١

(٢) فايد نرايش : عالم طبيعة أمريكى قام برحلة بحث علمى إلى الصين لدراسة الآثار الإنسانية ، بناء على اعتقاده بأن الصين هى منبع وجود الإنسان ، وذلك فى النصف الأول من القرن العشرين . ولقد قام بنقل عيناته إلى نيويورك قبيل استيلاء اليابانيون على الصين ، ومن مؤلفاته « الرجل البدائى العملاق » و « القردة والعمالقة والإنسان » .

د . حسن زينو : الإنسان والتطور (مرجع سابق) ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان . دار الدعوة ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ ، ص ٩٩ - ١٠٠ بتصرف .

انظر : قيس القرطاس : نظرية التطور . مؤسسة الرسالة ، ١٣٩١ هـ ، ط ١ ، ص ٨٣ -٨٥

وكل الوجه ، وقد استدل من رقة عظامها على أنها لطفل عمره (٤ - ٥ سنوات) ، لكن دوبوا [١] يقول إن عمره ١٢ سنة ، ولا تتجاوز سعتها ٧٠٠ سم٣ ، بحيث تعطى للبالغ ٩٠٠ سم٣ ، الجبهة أكثر تراجعاً من جبهة الطفل الحالى من نفس العمر ، وقد بدا فيها ظهور مشارف فوق العينين فى الأقسام الجانبية ، وهى تحتوى بالإجمال على صفات بدائية ، وأخرى حديثة كالإنسان » [٢] .

« وقد عُثِرَ فى عام ١٩٠٧ فى قرية ماور على بعد ١٠ كم جنوب غرب هايدلبرج [٣] على فك سفلى على عمق ٣٤ متراً تحت سطح الأرض ، وهو كبير، وتاجه عريض ، وليس له بروز ذقنى ، وفمه إنسانى ، وأسنانه أكبر من أسنان الإنسان الحالى » [٤] .

« وعُثِرَ بين عامى (١٩٣٤ - ١٩٣٩) فى هونج كونج على ثلاثة أسنان طاحنة بشرية كبيرة مع أسنان أورونج وستفودون ، وتابير ، أحد هذه الأسنان البشرية كبير ، بحيث ينبغى أن يكون فكه ضعف فك الأورانج الحالى ، وقد أُطلق على صاحبه اسم القرد العملاق ، وسُمى نسبة إلى مكتشف الإنسان الصينى « بلاك » اسم القرد العملاق بلاكى ، حجم هذا السن ضعف أسنان الغوريلا ، وست أمثال الإنسان الحالى ...

قرر فايد نرايش أنه سن بشرى ، ولذلك غيَّر تسمية صاحبه إلى الإنسان العملاق ، وقد تخيَّل فايد نرايش شجرة السلالة ، فافترض أن الإنسان العملاق

---

(١) دوبوا : عالم بكتير يولوچى أميركى ولد عام ١٩٠١ فى فرنسا ، وقام بعدة دراسات هامة فى حقل المناعة والسل ، واكتشف الغراميسيدين عام ١٩٣٩ ، وحرر لسنوات طويلة مجلة الطب التجريبى ، ومن أشهر كتبه « باستور والطب الحديث » .

انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٢٥

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٧

(٣) هايدلبرغ : مدينة ومركز صناعى فى الجزء الجنوبى الغربى من ألمانيا الغربية ، تقع على نهر نيكر.
انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٨٦

(٤) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١٠١ بتصرف .

هذا قد هاجر إلى جاوه ، ونشأ منه الإنسان الكبير ، ثم الإنسان الصيني ، كما نشأ من الإنسان الكبير في جاوة الإنسان القردي الشديد ، الذي أصبح سلف الإنسان القردي من ترينيل ، فالإنسان تسلسل إذن من أشكال عملاقة ذات جماجم شديدة ، وبذا تميز تطورنا بالنقص التدريجى فى الطول » [1] .

فمعدل متوسط سعة الدماغ للرجل ١٤٥٠ سم^3 ، والحد الأدنى ١٢٥٠ سم^3 ، والحد الأعلى ١٧٥٠ سم^3 ، ومعدل متوسط سعة الدماغ للمرأة ١٣٠٠ سم^3 ، والحد الأدنى ١١٠٠ سم^3 ، والحد الأعلى ١٥٥٠ سم^3 ، والحد الأدنى للغوريلا ٤٥٠ سم^3 ، والحد الأعلى ٥٠٠ سم^3 ، والحد الأدنى للأورانج ٣٥٠ سم^3 ، والحد الأعلى ٤٠٠ سم^3 .

أما بالنسبة للإنسان الشبيه بالقرد - الحلقة المفقودة - فالحد الأدنى ٧٠٠ سم^3 ، والحد الأعلى ١١٠٠ سم^3 ، وقيل ١٢٢٥ سم^3 [2] .

ومن هذه الأرقام يتضح أن هناك تدرجاً فى سعة الدماغ من القرود إلى الإنسان ، فالحد الأدنى كما سبق للإنسان ١٢٥٠ سم^3 للرجل ، و ١١٠٠ سم^3 للمرأة .

والحد الأعلى للإنسان القردى ١١٠٠ سم^3 ، وقيل ١٢٢٥ سم^3 ، والحد الأدنى ٧٠٠ سم^3 ، والحد الأعلى للغوريلا ٥٠٠ سم^3 .

فهناك فرق ٢٠٠ سم^3 بين الغوريلا (فى الحد الأعلى) والإنسان القردى (فى الحد الأدنى) ، ويتلاشى الفرق بين الإنسان (فى الحد الأدنى) مع الإنسان القردى (فى الحد الأعلى) .

* * *

---

(١) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩١ - ٩٢ بتصرف .

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١١٥

- نقد الفرضية :

لعل تلك الأدلة السابقة هى أهم أدلة التطوريين على التطور فى المخلوقات من الأدنى إلى الأعلى ، سواء فى التكوين الجسمى ، أو فى تكوين الحواس .

والفرضية باعتراف الكثير من أصحابها ينقصها الدقة والموضوعية فى إثباتها، لأنها لم تقع على أسس علمية تجريبية وإنما يعتريها الكثير من الشكوك ، والظنون ، لأنها بُنيت على كثير من التخيل فى الربط بين مراتب المخلوقات المتدرجة من الأدنى إلى الأعلى فى تكوينها .

وآراء التطوريين متشعبة داخل الفرضية ، وخاصة فى موضوع الإنسان حيث نجد أن منهم من يُرجع أصل الإنسان إلى أصول متعددة ، فالمغوليون والأورانج من أصل واحد ، والزنوج والشمبانزى والغوريلا من أصل آخر .

كما أن هناك من جعل الإنسان والقرد من أصل واحد ، ولكن الإنسان سار فى مسار تطورى إلى الأعلى ، أما القردة فلم تستطع ذلك فسارت فى الانحدار إلى الأدنى بالنسبة للأصل .

وإن هناك من يجعل أصل الإنسان القردة العليا مع وجود حلقة مفقودة بينهما فى مسار التطور ، ومنهم من يجعل أصل القردة إنسان ولكن مُسِخَت إلى قردة، وهناك من يرى أن الإنسان قد سبق وجوده وجود القردة بآلاف السنين (١) .

والتطوريون يختلفون كثيراً فى وراثة الصفات المكتسبة ، ولعل ذلك راجع إلى أن علم الوراثة لم يصل إلى ما وصل إليه فى العصر الحاضر (٢) . ولعل أهم أوجه المعارضة للفرضية ما يأتى بإيجاز :

---

(١) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن . الناشر : الرشاد الحديثة ص ٧٦

(٢) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان ، ترجمة محمد صالح الفلكى ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٦٥ م ، ص ١٤٧

١ - الحياة :

لقد سبق أن من أسس الفرضية تحول المواد غير العضوية إلى مواد عضوية ، حيث إن تكوين الخلية الأولى - الأميبة مثلاً - خرجت من مواد خامدة ، ثم حدث التطور .

والعلم الحديث يدل على استحالة تحول المواد غير العضوية إلى مواد عضوية، « وأن الأحياء الدقيقة تنشأ من خلايا مماثلة لها ، موجودة من قبل » (١) .

ولذلك جاء الهروب من بعض علماء التطور إلى أن الحياة انتقلت من كواكب أخرى دون تعيين ، عن طريق ذرات دقيقة حملتها الشهب الصغيرة التى تقع على الأرض ، من الغبار الكونى (٢) .

فلغز الحياة أشد وأعمق من مجرد بناء الزلاليات ، أو ظواهر طبيعية وكيميائية خاصة ، بل يقول العلماء : يبدو أن مجرد وجود النواة والكترون لا يهبان الحياة » (٣) ، وإن ذلك ليس كما يتصوره هيجل فى قوله : « أعطنى هواءً ، ومواد كيميائية ، ووقتاً ، وأنا أصنع إنساناً » (٤) .

وأعتقد أنه لو كانت الحياة تخرج من مواد خامدة - أى مواد غير عضوية بحيث تكون عضوية ، لأمكن العلماء إيجاد البيئة الملائمة لمثل ذلك كما يتصوره هيجل (٥) ، ولم يأت التحدى فى القرآن الكريم .

---

(١) ويليام بوين سارلز : علم الأحياء الدقيقة ، ترجمة د . صلاح الدين طه وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ م ، ٥٣٢

(٢) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الإسلامية ، (مرجع سابق) ص ١٠١
د . عبد المحسن صالح : الميكروبات والحياة (مرجع سابق) ص ٢٧ - ٢٨
د . أنور عبد العليم : قصة التطور (مرجع سابق) ص ٢١

(٣) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون (مرجع سابق) ص ٣٤

(٤) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٥٠

(٥) هيجل ، أرنست عالم : بيولوجى وفيلسوف نشوئى ألمانى عاش فيما بين (١٨٣٤ -١٩١٩) أيد فرضية دارون تأييداً حماسياً ، ووفق إلى اكتشافات فى علم الأجنة ، وفى علم الحيوان .
منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٥٤

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [١].

« لقد وُضعتَ فرضيات عديدة لكى تفسر لنا كيف نشأت الحياة من عالَم الجمادات ، فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من القيروس [٢] ، أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة ، وقد يُخيَّل إلى بعض الناس أن هذه الفرضيات قد سدَّت الفجوة التى تفصل بين عالَم الأحياء وعالَم الجمادات ، ولكن الواقع الذى ينبغى أن نُسلِّم به ، هو أن جميع الجهود التى بُذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بخذلان وفشل ذريعين ، ومع ذلك فإن من ينكر وجود اللّه لا يستطيع أن يُقيم الدليل المباشر للعالَم المتطلع على أن مجرد تجمع بعض الذرَّات والجزئيات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يؤدى إلى ظهور الحياة ، وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها فى الخلايا الحية ، وأن للشخص مطلق الحرية فى أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ، فهذا شأنه وحده ، ولكنه يُسلِّم بأمر أشد إعجازاً وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود اللّه ، الذى خلق هذه الأشياء ودبرها » [٣] .

٢ - وراثة الصفات المكتسبة :

كما سبق فإن من الأُسس التى تقوم عليها الفرضية - حتى يحدث التطور - أن يكون هناك صفات جديدة مكتسبة للأحياء ، يمكن أن تؤثر فى تواليها خلال ملايين السنين على عقبها [٤] ، بحيث يكون هناك تطور فى الجسم ، والإدراك .

---

(١) الحج : ٧٣ - ٧٤ (٢) القيروس : الجرثومة .

(٣) نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض : اللّه يتجلى فى عصر العلم - أشرف على تحريره جون كلوفر مونسما ، ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مؤسسة الحلبى وشركائه ، ط ٣ ، ١٩٦٨ م ، ص ٧٧ بتصرف .

(٤) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان ، تعريب د . نبيل صبحى الطويل ، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١ ، ١٩٧٩ م ، (١٣٩٩ هـ) ص ٩٨

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان (مرجع سابق) ص ٧٣

وكان الاعتقاد بوراثة الصفات المكتسبة شائعاً فى القرن التاسع عشر [١] ، ولكن علم الوراثة الحديث أبطل هذا الاعتقاد .

« فينبغى التمييز بين نمط النشأة ، ونمط المظهر ، حيث يتعلق نمط النشأة بالتركيب الأصلى للبويضة (النطفة) ، ويتألف من عناصر ثابتة من جيل لآخر أى أنه ينتقل وراثياً .

أما نمط المظهر فهو تفاعل خاص بكل فرد لنمط النشأة على الشروط الخارجية ، وهو يشمل الأسباب الداخلية بفعل الأعضاء والوظائف الناجمة عن نمط النشأة ، والأسباب الخارجية من تأثير الوسط والتغذية ، كما هو الشأن لدى التوائم الحقيقية التى تتربى فى شروط مختلفة » [٢] .

فـ « الحياة فى كل الأحياء منظمة ومحددة فى تكوين شجرة ، أو كرمة عنب ، أو فيل ، أو إنسان فى اتفاق تام مع خطة مرسومة محددة بالچينات » [٣] .

فـ « كل خلية – ذكراً كانت أم أنثى – تحتوى على كروموزومات وچينات (وحدات الوراثة) ، والكروموزومية تكوِّن النوية (نواة صغيرة) المعتمة التى تحتوى على الچينة ، والچينات هى العامل الرئيسى الحاسم فيما يكون عليه كل كائن حى أو إنسان ، والسيتوبلازم هى تلك التركيبات الكيماوية العجيبة التى تحيط بالاثنتين ، والچينات (وحدات الوراثة) هى المسؤولة عن المخلوقات البشرية جميعاً التى على سطح الأرض من حيث خصائصها الفردية ، وأحوالها النفسية ، وألوانها ، وأجناسها » [٤] .

« وإن الصفات المميزة الأساسية للمليارات الثلاثة والنصف من الكائنات البشرية التى تعمر الأرض تحدَّدت منذ البداية ببضعة سنتيجرامات من هذا

---

(١) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٣

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٤٣

(٣) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٤٧ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ص ١٣٩ بتصرف .

الحامض « الديزوكسيريبونووى » ، وتطابق هذه السنتيجرامات عدداً لا يُحصى من المورثات ، وهى جزئيات بوسعها أن تنتج نسخاً طبق الأصل عنها مندمجة فى صبغيات الخلايا التناسلية ، فتؤمِّن التشابه بين الأجيال المتعاقبة . وتجرى الأمور كما لو كانت الصبغيات تحتوى على رسالة يبعث بها جيل إلى جيل لاحق مع تعليمات دقيقة رامية إلى توجيه تكوين الأفراد وفقاً لقوانين النوع ، وإذا اتبعنا الاستعارة نستطيع القول إن ثمة نصاً مرموزاً ، أو دليلاً كيميائيًا ، يتعلق معناه بطبيعة الموروثات ، التى تتحكم أولاً بتركيب البروتينات الملائمة » [1] .

ويقول الأستاذ كاترفاج مدير متحف التاريخ الطبيعى بباريس : « إننا لا نعلم كيف تكوَّنت الأنواع الحية ، إننا نعلم فقط أنها غير قابلة للتحول ، وإننا على يقين بأن داروين [2] . ولامارك [3] لم يكتشفا الناموس الحقيقى لطريقة تكوينها » [4] .

يقول الدكتور أ . كريسى موريسون [5] : « إن القائلين بالتطور

---

(١) أوجين شريدر : البيولوچية الإنسانية ، ترجمة د . خليل الجر ، سلسلة المنشورات العربية « ماذا أعرف » المطبعة البولسية . جونية ، ص ١٥ .

(٢) دارون ، تشارلز روبرت : عالم طبيعة إنجليزى بجامعة كامبردج ، عاش فيما بين (١٨٠٩ - ١٨٨٢) ، وقام برحلة بحرية (١٨٣١ - ١٨٣٦) زار خلالها جزر الرأس الأخضر ، وآزار وسواحل أميركا الجنوبية ، وكانت هذه الرحلة منطلقاً لفرضيته المعروفة بـ « النشوء والإرتقاء » ، وأشهر آثاره كتاب « أصل الأنواع » .

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٣ ص١٥٥

(٣) لامارك ، جان باتيست : عالم بيولوچى فرنسى ، عاش فيما بين (١٧٤٤ - ١٨٢٩ م) ، وهو يرى أن الصفات المكتسبة تُحدث فى الحيوانات والنباتات تغيرات عضوية .

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٦ ، ص ٨٣ - ٨٤

(٤) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ١١٤

(٥) أ . كريسى موريسون : هو الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك ورئيس المعهد الأمريكى لمدينة نيويورك ، وعضو المجلس التنفيذى لمجلس البحوث القومى بالولايات المتحدة ، وعضو مدى الحياة فى المعهد الملكى البريطانى .

أ. كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٢ - ١٣

(النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة (الچينات)، وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقاً ، أعنى عند الخلية ذلك الكيان الذى يحتوى الچينات ويحملها » [1] .

وحيث إن الفرضية تقول بالتطور فإنه يجب أن تنقرض الأحياء ذات الخلية الواحدة بناء على قانون تنازع البقاء .

ولكن ما نشاهده أن المخلوقات ذات الخلية الواحدة جنباً إلى جنب مع المخلوقات ذات الخلايا المتعددة [2] .

ولعل ذلك ما دفع دارون نفسه إلى أن يقول : « إن التطور لا يعنى بالضرورة تطوراً من نوع إلى آخر ، بل قد يكون تطوراً داخل النوع يتمكن به من التكيف مع البيئة » [3] .

والأرض تعج بآلاف المخلوقات - حيوانات ونباتات - ولم يثبت أن هناك شيئاً منها قد تحوّل إلى نوع آخر طفرة وكان له الحياة أو تطوّر تدريجياً إلى نوع آخر [4] ، « وكل التغيرات التى يمكنها أن تحدث سطحية لا تمس التركيب الجوهرى للحيوان ، أو النبات ، وبعضها باثولوچية (مرضية) تقود إلى انقراض النوع ... وإن الاختبار الاصطناعى الذى جرّبه بنو الإنسان فى خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية دارون » [5] .

وإن الصفات الوراثية إما أن تكون سائدة أو متنحية ، والأمراض المتنحية تظهر بنسبة أكبر فى زواج الأقارب ، لأنهم يحملون كثيراً من الصفات الوراثية

---

(١) كريسى موريسون : العلم يدعو للإيمان (مرجع سابق) ص ١٤٧

(٢) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون (مرجع سابق) ص ٥ .

(٣) تشارلز داروين : أصل الأنواع (مرجع سابق) ص ٣٧٣ - ٣٧٥

(٤) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١١٠-١١١
عمر سليمان الأشقر : العقيدة فى الله (مرجع سابق) ص ٧٦

(٥) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ١١٤ بتصرف .

المشتركة والمتنحية ... وإن الطفرات الكبيرة تمنع نمو البويضة المخصبة أو تؤدى إلى موت الفرد [١] .

« وإن الحلقة المفقودة ناقصة بين طبقات الأحياء ، وليست بالناقصة بين الإنسان وما دونّه فحسب ، فلا توجد حلقات بين الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، والحيوانات ذوات الخلايا المتعددة ، ولا بين الحيوانات الرخوة والمفصلية ، ولا بين الحيوانات اللافقرية والفقرية ، ولا بين الأسماك والحيوانات البرمائية ، ولا بين الأخيرة والزحافات والطيور ، ولا بين الزحافات والحيوانات الثديية ، وقد ذكرت على ترتيب ظهورها فى العصور الچيولوچية » [٢] .

أما بالنسبة للتهجين بين نوعين من الأحياء التى يمكن أن يقع بينها تهجين كالخيل والحمير ، فهجينها بغل عقيم [٣] .

قال تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] .

وربما كان فى قوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ إشارة إلى مخلوقات كثيرة تظهر كهجين لنوعين من الأحياء .

وإن ما يردده بعض الأمريكيين عن إمكانية التهجين بين الإنسان والقرد ، ومحاولة نسبة ذلك إلى سلالة زنوج إفريقيا [٥] تعدياً ، ينمى عن نزعة عنصرية ، فإنه من الثابت علمياً أن التهجين بين نوعين من المخلوقات يُولَد عقيماً بمعنى أنه يلاقى حتفه فى نفسه ، وليس له ذُرِّية .

أما بالنسبة لمن مُسخوا من اليهود فقد قال تعالى فيهم : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَنْ مَا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [٦] .

---

(١) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٤٧

(٢) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ١١٤ - ١١٥

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٥٠

(٤) النحل : ٨

(٥) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٥١

(٦) الأعراف : ١٦٦

وعن عبد اللّه بن مسعود قال : ... فقال رجل : يا رسول اللّه ؛ القردة والخنازير هى مما مُسِخ ؟ ، فقال النبى ﷺ : « إن اللّه عز وجل لم يُهلِك قوماً ، أو يُعذِب قوماً ، فيجعل لهم نسلاً ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » [١] .

فإذا كان اللّه تعالى لم يجعل لمن مُسِخوا ذرية رحمة وتكريماً للإنسان ، فمن باب أولى أن لا يكون الإنسان بشكل عام أبناء عمومة للقردة ، وأن والدهم حيوان ، كما يزعمه التطوريون .

٣ - الحفريات :

إن من الملاحظ اختلاف علماء الحفريات كثيراً فيما بينهم حول ما عُثِرَ عليه من الجماجم والفكوك والأسنان ... فنجد من العلماء من يجعلها للإنسان ، وهناك من يجعلها للقردة .

وإننى أرى أنه يجب أن يكون هناك تناسب بين بعض المخلوقات وآدم عليه السلام ، الذى طوله ستون ذراعاً ، وعرضه سبعة أذرع كالخيل مثلاً ، وهى التى اختارها له ، ولا شك أنها لم تكن بحجمها الحالى .

وبالتالى هل حجم رأس آدم عليه السلام هو حجم رأس الإنسان الحالى ؟ وهل حجم رأس القرد أيام آدم عليه السلام هو حجم رأس القرد فى الوقت الحالى ؟

وعلى هذا فتلك الجماجم ، أو الأسنان ، أو الفكوك التى عثر عليها الإنسان من الحفريات بين أمرين :

- إما أن تكون لقردة وإن كانت أكبر فى الحجم من أعضاء القردة الحالية .

- وإما أن تكون للإنسان وإن كانت أكبر فى الحجم من أعضاء الإنسان الحالى ، وهو ما يُسمى فى بعض الكتب بالإنسان العملاق أو الكبير [٢] .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ٣٣ ، جـ ٤ ، ص ٢٠٥١ - ٢٠٥٢

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٠ - ٩٣

« وكثيراً ما لم يحصل التمييز بين تأخر الحضارات والتأخر البيولوجى ، والمثل المفضل هو مثل السكان الأستراليين الأصليين ، الذين يُوحِى نمط حياتهم بماض سحيق ما داموا لم يختلطوا بالخارج ، ومن ناحية أخرى تبدو فى الجمجمة الأسترالية خاصيات تسترعى انتباه المراقب ، فقبتها المستطيلة ، والحاجبان البارزان تَذكِّر على الفور بالأحافير البشرية ، ومما لا ريب فيه أنها أقرب الجماجم الحالية من الجمجمة النيندرتالية [١] .

ومع ذلك إذا وُضِعَت أمام أعيننا جماجم نيندرتالية حقيقية ، وجماجم أوروبية حديثة ، وطُلِب أنَ نُصَنِّف جمجمة أسترالية فإننا سنُصنِّفها دون تردد بين الجماجم الأوروبية » [٢] .

ولقد قام العالِم السويسرى جوهانس هورذمر بإجراء الدراسات والتجارب الواسعة على الهياكل والجماجم ، فأثبتت له معارضتها لفرضية التطور ، فأعلن فى ١ مارس ١٩٥٦ أنه لا يوجد دليل (واحد من ألف) على أن الإنسان من سلالة القردة ، وأنه يعيش منفرداً وبعيداً عن القردة منذ عشرة ملايين سنة .

ولقد اكتشف خلال أبحاثه فك إنسان داخل قطعة من الفحم يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين عام ، وقدَّمها للمتحف الطبيعى فى مدينة بال فى سويسرا ، وموجودة فيه حتى الآن ، وهى أقدم قطعة عن الإنسان فى العالَم [٣] .

كما قام الدكتور ليكى مدير المتحف الوطنى فى كينيا بأبحاث فى هذا المجال

---

(١) النيندرتالية نسبة إلى واد النيندرتال على مقربة من مدينة دوسلوف فى ألمانيا الغربية ، الذى وجدت فيه بقايا هيكلية للإنسان عام ١٨٥٦ ، وقد عُرِفت بالإنسان النياندرتالى الذى سكن أجزاء واسعة من أوروبا والمناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط فى أواخر البليستوسين .

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٧ ص ١٠٩

(٢) أوچين شريدر : البيولوچية الإنسانية (مرجع سابق) ص ٤٤ بتصرف .

وانظر : د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ٢٨

(٣) عبد الرزاق نوفل : الله والعلم الحديث ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ص ٢٢٨

قيس القرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٧٥ - ٧٦

انتهت عام ١٩٤٦ ، واكتشف - خلال مدة بحثه - جمجمتين ، وقيس عمرهما بأجهزة الإشعاع الذرِّى فبلغ عمرهما مليونين وستمائة ألف سنة ، وحجم مخها ضعف حجم مخ القرد .

كما اكتشف فى عام ١٩٧٦ جمجمة لإنسان كان يمشى على قدميه يرجع عمرها إلى ٨ر١ مليون سنة .

وأن هذه الاكتشافات وغيرها تدعو العلماء إلى إعادة النظر فى التاريخ الحقيقى لعمر الإنسان على الأرض [١] .

وأما ما يُقرره علماء التطور من أن طول أناسى البليستوسين الأوسط ، أو ما يسمونه بالإنسان القردى القائم - قبل ظهور الإنسان الحالى - ١٦٠ - ١٧٠ سم [٢].

وما يقررون من أن طول أناسى البليستوسين العلوى (منذ ٢٠٠ ألف سنة) ، أو ما يسمونه بالإنسان المفكر أو الحالى ١٦٦ - ١٧٤ سم [٣] .

فإن المعروف أن آدم عليه السلام طوله ستون ذراعاً ، وأن الخلق لم يزل ينقص حتى الآن ، وهذا يجعلنا نقول إن تقدير العمر الحقيقى للإنسان لا يزال مجهولاً كما سبق فيما عُثِرَ عليه من آثار .

ومن المعلوم أن الإنسان الحالى من سلالة نوح عليه السلام بعد الطوفان ، وأن السلالات الأُخرى قد انقرضت .

---

(١) د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ٢٨
قيس القرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٩١ - ٩٢
مجلة المنهل السعودية ، السنة ٥٠ ، المجلد ٤٦ ، رجب ١٤٠٤ هـ ، ص ١٢٦

(٢) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١٠٤

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١٠٧

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (١) .

وإن ذلك يجعلنى أفترض أمراً لتقريب الموضوع وهو : أنه لو هلك الإنسان الحالى بجميع شعوبه وقبائله ما عدا سلالة فرد واحد من الأجناس البشرية ، ويكون له ذرِّية مع آلاف السنين ، وتتفرق فى الأرض وتعمل العوامل الخارجية عملها فى تقسيمهم إلى شعوب ، وقبائل ، وأجناس مختلفة .

فماذا سيقولون عن جماجم الإنسان الحالى بشعوبه المختلفة والمتنوعة ... ؟ وخاصة مع ملاحظة أن طول الإنسان يتناقص كما سبق .

وإن سر العقل عند الإنسان ليس كبر دماغه ، فيقول فايدنرايش : إن وزن الدماغ ليس مقياساً للذكاء ، وإلا لكان الفيل الذى يحتوى دماغه على . . . ٥ سم٣ وأكبر فظ (٢) . الذى يحتوى على ضعف كبر الدماغ الإنسانى ، لكان كلاهما أذكى من الإنسان ، وكذلك لو كانت نسبة وزن الدماغ إلى وزن الجسم هى المقياس لرجح ذكاء القرد أبو قبعة (الكابوتسينى) بنسبة ١ جرام من الدماغ إلى ١٧٫٥ من وزن الجسم على ذكاء الإنسان بنسبة : ١ : ٤٠ (٣) .

وكذلك فإن حجم مخ القردة الجنوبية أكبر حجماً من مخ القردة العليا ، ولم تكن مثلها فى درجة الذكاء ، وإنما أقل منها (٤) .

كما أن مقاييس الذكاء لم تأخذ بوزن أو حجم الدماغ كمقياس للذكاء رغم ما نعرفه من عيوب كثيرة لها .

---

(١) الصافات : ٧٥ - ٧٧

(٢) حيوان بحرى شبيه بالفقمة .

(٣) د . حسن زينو : التطور والإنسان (مرجع سابق) ص ١١٦

وانظر : قيس قرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٧٥

د . يسرى عبد الرزاق الجوهرى : السلالات البشرية . دار المعارف بالقاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٧م ، ص ١٤

(٤) قيس قرطاس : نظرية التطور (مرجع سابق) ص ٧٥

٤ - التشابه :

إن التشابه بين الأحياء يفرضه التشابه بينها فى قوانين الخلق ، وسُنَن الكون، والنمو ، وأثر البيئة ، فالخلق كله يحكمه نظام موحّد وتدبير الخالق سبحانه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وِمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

فالأحياء انحدرت جميعها من أصل واحد ، فالنباتات تتغذى على مواد غير عضوية (التراب + الماء) ، والحيوانات تتغذى على النباتات كما أن بعضها يتغذى أيضاً على بعض ، والإنسان يتغذى عليهما (٣) .

فليست الأحياء كلها تتغذى مباشرة على مواد غير عضوية ، ولكن ذلك للنباتات ، ثم عليه يتغذى الإنسان والحيوان .

فليس من الغرابة إذن أن تتشابه ، وهى تتشابه فى قوانين حيوية عامة ، ولكن الغرابة أن لا تتشابه ، ولعل من أوضح ذلك نظام التغذية ، الذى يدعو إلى وجود تشابه فى الخلايا التى تتكوّن فى الحيوان والإنسان ، لأن الغذاء عامل رئيسى فى تكوينها (٤) .

وإن التنوع فى المخلوقات التى لا حصر لها وبالذات فى الحيوانات جعل من المستحيل أن يتصور الإنسان مخلوقاً من مادته يمكن أن يُقال عنه إنه مخلوق مستقل .

وإن اللّه تعالى جعل التشابه والتنوع دليلاً على القُدرة على الخلق .

---

(١) الأنعام : ٣٨ (٢) يس : ٣٦

(٣) د . أحمد زكى : مع اللّه فى الأرض (مرجع سابق) ص ٣٤٢ - ٣٤٣

(٤) د . حسن هويدى : الوجود الحق (مرجع سابق) ص ٧٤

د . أحمد زكى : مع اللّه فى الأرض (مرجع سابق) ص ٣٤٢ - ٣٤٣

قال تعالى : ﴿ واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

والإنسان لا يمكن أن يتعامل أو يتفاعل إلا مع المخلوقات التى خُلقت من مادته ، ومن هنا جاء الاعتراض الإلهى على أن يرسل مَلَكاً فى الرسالات السماوية (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ (٤) .

وقد سجل العلماء قبل دارون التدرج والتشابه بين المخلوقات كقدماء اليونانيين ، وعلماء الإسلام .

« ومما يشبه القول بتطور الكائنات وتدرجها قول الفارابى (٥) فى شرحه

---

(١) النور : ٤٥ (٢) الأنعام : ٩٩

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٣٩ .

(٤) الأنعام : ٨ - ٩

(٥) أبو نصر الفارابى ، محمد بن محمد طرخان (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ) ويُعرف بالمعلم الثانى ، ومن أكبر فلاسفة المسلمين وأحد أوائل المفكرين الذين عرّفوا المسلمين بفلسفتى أفلاطون وأرسطو ، وحاول التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية ، وله نحو مائة كتاب ، ومنها كتاب «إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها » و « مبادىء الموجودات » و « السياسة المدنية » و « جوامع السياسة » و « النواميس » .

خير الدين الزركلى : الأعلام ، دار العلم للملايين ببيروت ، ط ٥ (١٩٨٠م) جـ ٧ ص ٢٠ .

لأقوال المعلم الأول [1] من كتاب « آراء أهل المدينة الفاضلة » أن « ترتيب هذه الموجودات ، هو أن تُقدِّم أولاً أخسها ثم الأفضل فالأفضل ، إلى أن تنتهى إلى أفضلها الذى لا أفضل منه ، فأخسها المادة الأُولى المشتركة ، والأفضل منها الإسطقات ، ثم المعدنية ، ثم النبات ، ثم الحيوان غير الناطق ، وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه » [2] .

ويقول القزوينى [3] : « إن أول مراتب هذه الكائنات تراب ، وآخرها نفس ملكية طاهرة ، فإن المعادن ، متصلة أولها بالتراب أو الماء ، وآخرها بالنبات ، والنبات متصل أوله بالمعادن ، وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل أوله بالنبات ، وآخره بالإنسان ، والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان ، وآخرها بالنفوس الملَكية ، واللّه تعالى أعلم بالصواب » [4] .

« أما الحيوان ففى المرتبة الثالثة من الكائنات ، وأبعد المولدات عن الأمهــات ، لأن المرتبة الأولى للمعادن ، وهى باقية على الجمادية لقربها من البسائط ، والمرتبة الثانية للنبات ، فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشوء والنمو وفوات الحس والحركة فى المرتبة الثالثة ، فإنه قد جمع بين النشوء والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة فى جميع أفراد الحيوان » [5].

---

(١) أرسطوطاليس ، وقد عاش فيما بين (٣٨٤ - ٣٢٢ قبل الميلاد) ، وهو فيلسوف يونانى ، وتتلمذ على أفلاطون ، وأستاذ الإسكندر المقدونى ، وجرت فلسفته فى اتجاه مغاير لمثالية أفلاطون، ومن أشهر مؤلفاته كتاب « السياسة » ، وكتاب « ما وراء الطبيعة » ، وكتاب « الطبيعة » ...

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٥٩

(٢) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٩

(٣) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (٦٠٥ - ٦٨٢ هـ) وهو مؤرخ ، وجغرافى ، وقاضى ، ومن أشهر كتبه « آثار البلاد وأخبار العباد » .

خير الدين الزركلى : الأعلام (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٤٦

(٤) القزوينى (زكريا بن محمد) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، مكتبة التقدم بمصر، ص ٢٤١

(٥) المرجع السابق ، ص٣٣٧ - ٣٣٨ .

« ومقتضى الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ، ونوعه ، لا زائداً ولا ناقصاً ، ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها ، وتنوَّعت أنواعها بأنواع كثيرة » [١] .

ويقول إخوان الصفا [٢] : « واعلم يا أخى - أيّدك الله وإيانا بروح منه - أن البارىء جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع الكائنات جعل أصلها كلها من هيولى (مادة) واحدة ، وخالَف بينها بالصورة المختلفة ، وجعلها أجناساً وأنواعاً مختلفة متفننة متباينة ، ثم قوّى ما بين أطرافها ، وربط أوائلها وأواخرها ، بما قبلها (وما بعدها) رباطاً واحداً على ترتيب ونظام لما فى ذلك من إتقان الحكمـ حكام الصنعة ، لتكون الموجودات كلها عالَماً واحداً منتظماً نظاماً واحداً وترتيباً واحداً ، ولتدل على صانع أحد » [٣] .

« فمن أجل تلك الموجودات المختلفة الأجناس المتباينة الأنواع المربوطة أوائلها بأواخرها،وأواخرها بما قبلها فى الترتيب وانتظام المولّدات الكائنات التى دون فلك القمر ، وهى أربعة أجناس : المعادن والنبات والحيوان والإنسان . وذلك أن كل جنس منها تحته أنواع كثيرة ، فمنها ما هو بين الطرفين فأدون المعادن مما يلى التراب الجص ... والطرف الأشرف الياقوت والذهب الأحمر ...

وهكذا حكم النباتات فإنها أنواع متباينة ، ولكن منها ما هو فى أدون الرتبة مما يلى رتبة المعادن وهو خضراء الدمن (والكمأة وأنواع الفطر) وخضراء الدمن ليست بشىء سوى غبار يتلبد على الأرض والصخور والأحجار ، ثم يصيبها المطر

---

(١) القزوينى (زكريا بن محمد) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (مرجع سابق) : ص ٣٣٨

(٢) جمعية إسلامية فلسفية باطنية تألفت على نحو سرى فى البصرة أواخر القرن العاشر للميلاد ، اسمها الكامل « إخوان الصفا وخلان الوفا » ... من مؤسسيها زيد بن رفاعة وأبو الحسن الزنجانى ، وأبو سليمان المقدسى ، وأبو أحمد المهرجانى .

منيرالبعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٣) د . عمر فروخ : إخوان الصفا - دار الكتاب العربى - بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ، ص ٨٨

فتصبح بالغداة كأنها نبت زرع . ومن أجل أن هذا النوع ليس له ثمرة ولا ورقة وأنه يكون فى التراب كما تكون المعادن صار من هذه الجهة يشبه المعـادن ، ومن جهة أُخرى يشبه النبات ... وأما النخل فآخر المرتبة النباتية مما يلى الحيوانية ، وذلك أن النخل نبات حيوانى لأن بعض أحواله مباين لأحوال النبـات ، وإن كان جسمة نباتاً ... والدليل على ذلك أن أشخاص الفحولة منه مباينة لأشخاص الإناث .

وأما أدون الحيوان وأنقصه فهو الذى ليس له إلا حاسة واحدة ، حاسة الّلمس فحسب ، كالأصداف وما كان كأجناس الديدان (وهذه) كلها تتكوَّن فى الطين أو فى الماء أو فى الخل أو فى لُبِّ الثمر ... أو فى أجسام الحيوانات الكبار الجثة ... وهذا النوع من الحيوانات أجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجسمه رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه بالقوة الجاذبية ويحس اللّمس ، وليس له حاسة أُخرى ، لا الذوق ولا الشم ولا السمع ولا البصر ... وهو سريع التكون وسريع الهلاك والفساد والبِلى . ومنها ما هو أتم بنية وأكمل خِلقة كالدود المتكوِّن على ورق الشجر والنبات ، ولها ذوق ولمس ... ثم منها ما هو أكمل أيضاً وهو كل حيوان له لمس وذوق وشم ... وهى الحيوانات التى تعيش فى قعر البحار والمواضع المظلمة .. ثم تأتى الهوام والحشرات التى تدب فى المواضع المظلمة ولها لمس وذوق وسمع وشم ولكن ليس لها بصر ...ثم يأتى ما هو أتم بِنية وأكمل صورة وهو كل حيوان بدنه مؤلّف من أعضاء مختلفة الأشكال إذ كل عضو مركّب من عدة قطعات من العظام ...

ثم إن رتبة الحيوانية مما يلى رتبة الإنسانية هى ليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه ، فمنها ما قارب رتبة الإنسانية بصورته الجسدانية مثل القرد » [١] .

« وإن الحيوانات التامة الخِلقة الكبيرة الجثة العظيمة الصورة كلها كُوِّنت فى

(١) د . عمر فروخ : إخوان الصفا (مرجع سابق) ص ٨٩ - ٩٠.

بدء الخلق ذكراً وأنثى من الطين تحت خط الاستواء [١] ومعنى ذلك أن الله تعالى خلق منذ بدء الخلق ذكراً وأنثى من الإبل ، وذكراً وأنثى من الخيل ، وذكراً وأنثى من الأسود والفيلة والنعام ... إلخ » [٢] .

ويقول ابن خلدون [٣] : « انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج ، فآخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يُوجد لهما إلا قوة اللّمس فقط ، ومعنى الاتصال فى هذه المكوّنات أن آخر أفق منها مسْتعد بالاستعداد الغريب لأن يصير أول أفق الذى بعده ، واتسع عالم الحيوان ، وتعددت أنواعه ، وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروّية ترتفع إليه من عالم القدرة الذى اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الرّوية والفكر بالفعل ، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده وهذا غاية شهودنا ...» [٤] ، وإن العلماء

---

(١) ويرى بعض علمائهم « أن المدبر تعالى حرّك الفلك فصعدت البخارات الحادثة من صفو المعادن والنبات والحيوان ، فصارت غيوماً ، ثم انهلت على وجه الأرض أمطاراً صافية معتدلة ، وخددت الأرض خدوداً غير عميقة ، وقد صفا ذلك الماء فى عمقها ، ثم بخاراً على أشرف وألطف من الأول ، فانهل مطراً كثيراً نظير منّى الرجل ، فوقع فى تلك المغارات والخُدد الشبيهة بأرحام النساء ، فمازج الماء الكائن فيها المشاكِل لماء المرأة ، فصار واحداً » .

فنشأ أولاً الذكور ، ثم الإناث من فضلات تلك المياه .

وهذا قول باطل ، ومعارض لصريح القرآن والسنة الصحيحة ، وإنما ذكرته لشىء من الإحاطة .

د . مصطفى غالب : مفاتيح المعرفة . مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ببيروت ، ١٤٠٢هـ ، ص ٨٢

(٢) د . عمر فروخ : إخوان الصفا (مرجع سابق) ص ٨٧

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) : مؤرخ وفيلسوف مسلم يُعتبر من أعظم المفكرين العالميين وُلدَ ونشأ فى تونس ، وارتحل إلى مصر وتولّى فيها قضاء المالكية ، ومن أشهر كتبه « العبر وديوانَ المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » و « مقدمته » التى اعتُبرت تأسيساً لفلسفة التاريخ ولعلم الاجتماع .

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٦١

(٤) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربى ، ببيروت ، ط٤، ص٩٦

السابقين لم يجعلوا هذه المراتب المتدرجة دليلاً على التطور من الأدنى إلى الأعلى فى التكوين الجسمى والإدراك .

وإنما جاء العالِم الفرنسى لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩) ثم العالمان الإنجليزيان شارل دارون (١٨٠٩ - ١٨٨٣) وزميله والاس [١] (١٨٢٣ - ١٩١٣) [٢] ليفتحوا الأبواب بين هذه السلسلة من المخلوقات المتدرجة والمتنوعة فى التكوين الجسمى والإدراك كدليل على التطور ، ومحاولة تقنين ذلك ولو بالخيال والظنون والشكوك دعماً لهذه الفرضية .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إلاَّ ظَنّاً ، إنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئاً ، إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [٣] .

وأما بالنسبة لما يسمونه بالأعضاء الأثرية ، والتى لها قيمة عند الحيوان وليس لها قيمة عند الإنسان ، وإنما هى مما ورثه الإنسان عن سَلَفه ، فهو ادعاء لأن عدم معرفة الفائدة أو عدم الضرر من استئصالها ، لا يعنى عدم وجود فائدة لها .

- فالمعى القصير (ما يُسمى بالزائدة الدودية) لوحة بلغمية تزيد فى الدفاع عن الأمعاء [٤] ، وكذلك فإن « الأبحاث والدراسات والتحاليل الحديثة أكدت أن للزائدة وظيفة غاية فى الأهمية ، فإن النسيج الليمفاوي الذى يبُطنُ الجدار الداخلى للزائدة هو الذى يتولى إخراج خلايا المناعة المسماة (ليمفوسيت ب)

---

(١) والاس ، من أكبر علماء البيولوجيا فى إنجلترا ، عاش فيما بين (١٨٢٣ - ١٩١٣) ، وكان ممن أسهموا فى وضع الجغرافيات الحيوانية .

محمد خليل الباشا : التقمص وأسرار الحياة والموت . دار النهار للنشر ببيروت ، ١٩٨٢ م ص ٣١١

(٢) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧ .

(٣) يونس : ٣٦

(٤) د . حسن هويدى : الوجود الحق (مرجع سابق) ص ٧٦

أثناء تكوين الجنين فى رحم أمه ، وتقوم هذه الخلايا بدورها بفرز الأجسام المضادة للعدوى ، ووقاية الجنين » [١] .

- وعضلات الأذن الضامرة يمكن أن يكون لها أهمية كبيرة فى عملية نصب صيوان الأذن أثناء تخلق الجنين فى بطن أمه ليكون فى هذه الصورة الجميلة [٢].

- والجفن الثالث له أهمية فيما يهبه من الوقاية الباطنية للعين [٣] .

٥ - آدم والتكوين :

مما سبق يتضح ضعف فرضية التطور فى تفسير تكوين الأحياء بشكل عام .

ونترك ذلك لنعود إلى الإنسان بالذات ، لنُضيف ما يمكن من أدلة تتعلق به :

١ - إن خلق آدم عليه السلام تم فى الجنة من مادة هذه الأرض ، وليس فى جنة أرضية ، وأنه هبط إليها بعد المعصية للأسباب التالية :

(أ) إن آدم عليه السلام قد حصل - وهو فى الجنة - على صفات أهل الجنة بعد خلقه فيها ، فهو يرى ويتكلم ويسمع ويخالط الملائكة ، كما حصل هو وزوجه على ستر من اللّه تعالى لسوءاتهما .

(ب) إن المؤمنين يوم القيامة فى مقام الشفاعة يذكرون خصوصيته عليه السلام فى الخلق ، وسكن الجنة .

(جـ) إن أهل الجنة يدخلون الجنة يوم القيامة على صفة آدم عليه السلام ، مما يشير إلى أن مثل ذلك ما يناسب المقام فى الجنة .

(د) إن اللّه تعالى أمر جميع ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام عند خلقه ، وتصور ما هى الأرض ، أو جنة فيها بالنسبة لجميع الملائكة فى ملكه تعالى ؟

---

(١) طبيك الخاص ، العدد ١٦٩ - السنة الخامسة عشرة ، يناير ١٩٨٣ ، ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) (٣) د . حسن هويدى : الوجود الحق (مرجع سابق) ص ٧٦

فهل يمكن أن تكون مكان لسجود جميع الملائكة ؟ والملائكة مُكلَّفون بمهام كبيرة وعظيمة عند اللّه تعالى .

(هـ) إنه من سُنَن اللّه تعالى أن رفع إليه بعض أنبيائه عليهم السلام إلى السماء كالإسراء والمعراج بالنبى محمد ﷺ وآدم أبى البشر ، ونبى من أنبيائه، والمقام مقام تشريف ، وتكريم له عليه السلام ولِذُرِّيته ، واحتفالاً بالإنسان ، فأعتقد أنه من الأولى أن يكون خلقه فى السماء بين ملائكته ، وأن لا يهبطوا إلى الأرض لأن المقام كما قلنا مقام تشريف وتكريم ، وهما يكونان عند المكرم وصاحب التشريف .

(و) هل جنة أرضية يمكن أن يتمسك فيها آدم عليه السلام ، ويطلب فيها الخلود ومُلك لا يُبلى ، ويندم على خروجه منها إلى جميع الأرض بعد معصيته وقبول توبته ، وهل جزاء المعصية الخروج من جنة أرضية إلى الأرض كلها ؟ وهل تجعل إبليس - لعنه اللّه - يبنى فى نفسه كل هذا الحقد والحسد لآدم عليه السلام ؟ [1] .

إننى أعتقد أنه من الأولى أن تكون جنة فى الملإ الأعلى .

٢ - إن مراحل خلق آدم عليه السلام تراب ، ثم طين ، ثم حمإ مسنون ، ثم صلصال كالفخار .

فالصلصال بهذا الوصف يُشير إلى انعدام الحياة فيه - كما سبق - بينما فرضية التطور أو بعض المسلمين ممن يفسرون القرآن حسب فرضية التطور من مرحلة « حمإ مسنون » [2] وإنه من هذا الحمإ المسنون خرجت الخلية الأولى ، ثم بدأت فى التطور .

وهذا غير صحيح لأن مرحلة « حمإ مسنون » تلتها مرحلة « صلصال كالفخا ر» .

---

(١) محمود شلبى : حياة آدم (مرجع سابق) ص ١٢٢ - ١٢٥

(٢) د . مصطفى محمود : القرآن ..محاولة لفهم عصرى (مرجع سابق) ص ٦٥ - ٦٦

٣ - قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ، يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى ، أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ، يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ، ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

يتضح من هذه الآيات أن نسل آدم عليه السلام هم الذين خُلقوا من ماءٍ مهيـن ، وفى ظلمات ثلاث ، وأن آدم عليه السلام وزوجه لم يُخْلَقا كذلك .

كما يدل عليه سياق الآيات الأولى ، فإنها فى معرض بيان مخلوقات اللّه تعالى وقُدرته وتعددها وفضله (٣) .

أما حسب فرضية التطور فإنه عليه السلام وزوجه يجب أن يكونا من ماء مهين ، وخُلِقا فى ظلمات ثلاث ، ووالداهما حيوانان شبيهان بالإنسان ، أو حيوانان شبيهان بالقرد .

٤ - إن منطوق فرضية التطور أن الإنسان يسير إلى الأفضل بينما العكس هو الصحيح ، لا من ناحية التكوين الجسمى والصحة والعافية والقوة ، فآدم عليه السلام عاش ألف سنة ولا شك أنه يمتاز بما يجب أن يكون عليه من ذلك لمثل هذا العمر .

ولا من ناحية الجمال ، فأهل الجنة يدخلونها على صورته - كما سبق - فالخلق إذن يتناقص من ناحية التكوين الجسمى والجمال ...

---

(١) الزمر : ٥ - ٦ (٢) السجدة : ٧ - ٩

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) ج ٤ ص ٤٥ .

٥ - فرضية وليست حقيقة علمية :

إن فرضية التطور (النشوء والارتقاء) فرضية ، وليست حقيقة علمية لا تقبل النقاش ، والأدلة على بطلانها كثيرة ، وخاصة على مستوى براهينها الحالية .

« والعلم عندما يخوض فى هذه المسائل ، التى تتعلق بأصل الكون ، وأصل الأرض ، وأصل الإنسان ، وغيرها من الأصول ، إنما يخرج على المنهج العلمى ذاته ، لأن المنهج العلمى إنما يهتم بما هو كائن أمامه لا بما لم يره ، وإذا توفّر لديه علم على ما لم يره فإن هذا العلم لا يتوفر لديه إلا مما هو قائم أمامه ، وحينئذ يقول : يُظن ، ويُحتمَل ، وغيرها من الألفاظ التى تدل على الشك ، لا على اليقين » [١] .

« ولست أتردد فى التصريح بأن احترام العقل البشرى ذاته يُوجب عليه أن يُفسح للمجهول مجاله ، وأن يحسب له حسابه ، لا عن طريق الإيمان الدينى ، ولكن عن طريق التفكير العلمى ، وإن العقل البشرى ليسقط احترامه حين يدّعى أنه يعلم كل شىء ، وهو لا يعلم نفسه ، ولا يدرى كيف يُدرك المدركات ...

وليس فى هذا إنكار للفكر الإنسانى وحريته ، ولكن فيه احترام لهذا الفكر ، بمعرفة قدرته ومجاله .

وإذا كان رجال الدين فى أوروبا - لا الدين ذاته - قد وقفوا فى طريق حرية البحث العلمى - حتى فى العالَم المادى - فنشأت عداوة جارفة بين رجال الفكر ورجال الدين ، فلا يجوز أبداً أن ننقل الموضوع برمته إلى الشرق وإلى الإسلام ، فيكون مظهر حرية الفكر الوحيد عندنا ، هو التهجم والتقحم بلا سند إلا هذا السند الذى يتجاوز دائرته . فهذا هو نفسه التقليد المعيب ، الذى يدل على أن حرية الفكر هذه زى من أزياء (المودة) نُقلّده تقليد القرود » [٢] .

---

(١) د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون (مرجع سابق) ص ٩٥

(٢) سيد قطب : التصوير الفنى فى القرآن - دار الشروق ، ط ٦ ، ١٤٠٠ هـ ، (١٩٨٠ م) ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧

وإن فرضية التطور مُعارَضة - كما سبق - على مستوى عريض من علماء الأحياء أهل الاختصاص .

كما أنها تُدرس - عند أكثر الأساتذة - فى الغرب على أنها فرضية من أقرب الفروض ، ولم يقولوا عنها إنها حقيقة علمية ، وقد صدرت تعليمات على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام (١٩٨٢ - ١٩٨٣) أن يُشار إليها فى الكتب المدرسية على أنها فرضية وليست حقيقة علمية ، وقد سبقت فى ذلك ولاية كاليفورنيا الأمريكية حيث « قرر المجلس التعليمى الحكومى بولاية كاليفورنيا الأمريكية فى عام ١٩٧٣ أن تُشير جميع الكتب المدرسية للعلوم أن نظرية الارتقاء الداروينية نظرية افتراضية ، وليست حقيقة علمية » (١).

ولا شك أن ذلك انتكاس للفرضية فى مجال البحث العلمى ، وذلك بعكس ما نلاحظه فى العالَم العربى والإسلامى الذى تُدرس فيه بكل تحمس من بعض أساتذتها ، وكأنها من الحقائق المُسلَّم بها .

والمؤمنون بالخالق من أصحاب الفرضية يجعلونها دليلاً على وجود الخالق المبدع للمخلوقات .

« وقد قال والاس فى كتابه « عالَم الحياة » متحدثاً عن عقيدة داروين : « إنه على ما يظهر قد صار إلى نتيجة واحدة وهى أن الكون لا يمكن أن يكون قد وُجِدَ بغير علة عاقلة ، ولكن إدراك هذه العلة على أى وجه كامل يعلو على إدراك العقل البشرى » .

ثم عقَّب والاس قائلاً : وإننى لأُولى هذه النظرية كل عطفى وشعورى ، ولكن مع هذا فإننا مستطيعون أن نلمح قبساً من القدرة التى تعمل فى الطبيعة ،

---

(١) محمد جواد مغنية : الإسلام بنظرة عصرية ، دار العلم للملايين ببيروت ، ط ٣ ، ص ٥٧ - ٥٨ بتصرف .

يساعدنا على تذليل الصعوبة البالغة التى تحول دون العلم بحقيقة الخالق ، الذى لا أول له ولا آخر » [١] .

كما أن الأمانة العلمية متوفرة عند المؤمنين بالخالق بنسبة كبيرة فى مجال البحث العلمى فيما يتعلق بالفرضية ، وأن التطور الهائل فى وسائل البحث العلمى الحديثة قد تتيح الفرصة إلى كشف أسرار مهمة بالنسبة إلى فرضية التطور بشكل عام تؤيد ، أو تعارض .

ولكن ما أعتقده وأومن به بالنسبة إلى موضوع الإنسان بالذات أنه خُلِقَ خلقاً مستقلاً ، وأنه ذرية لآدم عليه السلام وزوجه .

وأن الفرضية عند أهل الإلحاد ستبقى موجودة وستستمر أدلتها وأدلة الإلحاد معها - بأن ذلك تطور تلقائى محض [٢] - لأنها تمثل فلسفة جديدة للإلحاد يمكن أن تغتر بها الشعوب بوجه عام بما تحمله من رسم خيالى ، مع إنكار للشكوك والظنون فيها ، لتأثير فلسفة الحياة عند أهل الإلحاد ، إلى أن يظهر إلى الوجود فرضية أخرى تضاهيها .

* * *

---

(١) عباس محمود العقاد : عقائد المفكرين فى القرن العشرين . مكتبة غريب ، القاهرة ، ص٥٧ - ٥٨

(٢) لهنترميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١٠٥

عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٨

الباب الثانى

عناصر التكوين

- الجسد .
- الروح .
- العلاقة بين الروح والجسد .

تمهيد

إن الإنسان يتكوّن من عنصرين -- كما سبق - عنصر أرضى ، وهو الجسد ، ويمثله الطين ، وعنصر علوى منحه اللّه تعالى للإنسان ، ليكون له شيء من صفاته تعالى ، وهو الروح .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (١) .

ولتفصيل ذلك عملت على تقسيم هذا الباب إلى الفصول التالية :

- الفصل الأول : الجسد .
- الفصل الثانى الروح .
- الفصل الثالث : العلاقة بين الروح والجسد .

* * *

(١) سورة ص : ٧١ - ٧٣

الفصل الأول

الجسد

لقد ورد لفظ « الجسد » فى القرآن الكريم أربع مرات بمعنى الصور والشخوص والبدن [1] .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [5] .

---

(١) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان . دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٩٨١ م ، ص ١٨٥

(٢) محمد عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ، حققه محمود خاطر بك ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ص ١٠٣

الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم ، حققه عبد العزيز سيد الأهل . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٠٥

(٢) الأعراف : ١٤٨ (٣) طه : ٨٨ (٤) الأنبياء : ٨

(٥) سورة ص : ٣٤

ولقد ورد لفظ « الجسم » بمعنى الجسد ، أو البدن ، مرتين وبصيغة المفرد مـرة ، وبصيغة الجمع أخرى [1] .

قال تعالى : ﴿ وقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ، قَالُواْ أنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أحَقُّ بالمُلْك منْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المَال ، قَالَ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً في الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُوتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَإذَا رَأيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجْسَامُهُمْ ، وَإنْ يَقُولُواْ تَسْمَعْ لقَوْلِهِمْ ، كَأنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ، أنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [3] .

والجسد كالجسم ، ولكنه أخص [4] ، إذ يغلب إطلاقه على جسم الإنسان [5] ، وأيضاً فإن الجسد ما له لون ، والجسم لما لا يبين له لون ، كالماء ، والهواء .. وباعتبار اللّون قيل للزعفران جساد [6] .

و « الجسم ما له طول وعرض وعمق ، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجساماً، وإن قُطِع ما قُطِع ، وجُزِىءَ ما جُزىء ، والجُسمان : قيل هو الشخص ، والشخص قد يخرج من كونه شخصاً بتقطيعه ، وتجزئته بخلاف الجسم » [7] .

والجسد يمثل الجانب المادى للإنسان (الطين) وقد أثبت التحليل المخبرى أن عناصر تكوين جسم الإنسان هى عناصر التكوين للطين .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٧٠.

(٢) البقرة : ٢٤٧ (٣) المنافقون : ٤

(٤) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٩٣

(٥) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ١٠١

(٦) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٩٣

(٧) المرجع السابق ص ٩٤

وتشتمل هذه العناصر على (٩٢ عنصراً) طبيعياً [١] ، وتختلف بنسب متفاوتة فى تركيب جسم الإنسان ، ولعل أهمها [٢] :

- الأوكسجين	٨١ ر ٦٢ ٪
- الفحـــــم	٣٧ ر ١٩ ٪
- الهيدروچين	١٤ ر ٥ ٪
- الأزوت	٣٨ ر ١ ٪
- الفوسفور	٦٤ ر. ٪
- الكلس	٦٣ ر. ٪
- الكبريت	٢٦ ر. ٪
- الكلور	٢٢ ر. ٪
- الصوديوم	١٨ ر. ٪

وقد قدّر أحد العلماء قيمة كمية هذه العناصر فى جسم الإنسان بمبلغ .٥ أو .٦ ٪ من الجنية المصرى [٣] ، أى ما يُساوى ..٣ - ..٤ مليماً تونسياً تقريباً .

وإن الاختلاف فى كمية كل عنصر فى أجزاء الجسم إنما يعود إلى الاختلاف فى المهمة الملقاة على عاتق كل جزء .

« فالكالسيوم والفوسفور مثلاً يُكوِّنان الهيكل العظمى ، ولذا يوجدان فى الجسم بنسبة أعلى من نسبة كثير من العناصر ، فإن بعض تلك العناصر النادرة توجد فى الجسم بكميات ضئيلة ، قد تصل إلى أجزاء من مليون مـن الجـرام ،

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص .٢

(٢) د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٧

(٣) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن . دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ط ٥ ، ص ٥٨

وهذه تقوم بدور العوامل المنشطة لبعض الخمائر فى بعض خلايا الغدد الخاصة فى الجسم ، مثل الكوبالت فى فيتامين ب ١٢ ويوجد فى البنكرياس ، ويلزم لصنع الكرات الدموية الحمراء ، وفى بعض هذه الوظائف الأخرى للخلايا العصبية » [١] .

وإن القرآن يشير إلى أن الماء عنصر أساسى فى تكوين جسم الإنسان .

قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ، أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [٣] .

والطين = تراب + ماء .

والماء « من العناصر الغذائية ، التى تدخل فى تركيب وتكوين الخلايا والدم ، وهو يقوم بإذابة الفضلات العادية ، والضارة ، ليحملها خارج الجسم ، مع العَرَق ، أو البول ، كما يعمل على تنظيم حرارة الجسم ، ويحصل الإنسان على حاجته من الماء إما بطريقة مباشرة خالصة من الطعام ، أو بطريقة غير مباشرة ، وذلك بتأكسد مختلف أنواع الأغذية داخل الجسم » [٤] .

وإن هذه العناصر تنتقل إلى الإنسان عن طريق ما يتناوله من غذاء ، وإن العناصر كانت كامنة فى خلية واحدة ، لا تُرى بالعين المجردة ، تتكوَّن من الحيوان المنوى والبويضة ، وهما يتكوَّنان من نفس هذه العناصر عند والديه ، ثم تتغذى هذه الخلية (الجنين) فى رحم الأُم من نفس هذه العناصر [٥] ، فكان

---

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢ .

(٢) الأنبياء : ٣٠ .　　(٣) المؤمنون : ١٢

(٤) جماعة من أهل الاختصاص : فن الطبخ الصحيح . دار مكتبة الحياة ، ببيروت ص ١ .

(٥) الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول (مرجع سابق) ص ١٠٥

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٤٢

خلية واحدة إلى أن تخرج إنساناً ، ذا خلايا مختلفة ، فى أجزاء جسمه ، عظمية ، عضلية ، عصبية ، عين ، أذن ... [1] إلخ .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فيه منْ رُوحه وَجَعَل لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَليلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [2] .

فما هو السر فى ذلك ، وأين مكان كل جزء من الخلية ، وهل هذا الجزء أو ذاك من الأم ، أو الأب ، أو منهما ؟

تلك أسئلة تستحث الدراسات التجريبية للإجابة عنها ، ولا تزال دائرة المجهول أعظم كثيراً إزاء الإنسان من دائرة المعلوم فى هذا المجال .

قال تعالى : ﴿ سَنُريهِمْ آيَاتنَا فى الآفَاق وَفى أَنْفُسهمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بربِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِى أَنْفُسِكُمْ ، أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ [4] .

« فى جسم الإنسان ألف مليون مليون خلية (... ر ... ر ... ر ... ر ... ١) وهذه الخلايا تشكل مجموع الأجهزة فى الإنسان ، مثل جهاز التنفس ، وجهاز الهضم ، والجهاز البولى ، والجهاز التناسلى ، والجهاز الدموى ، والجهاز العضلى ، والجهاز الصقلى العظمى ، والجهاز العصبى ، والجهاز الجلدى ، والجهاز الضام ... بالإضافة إلى الحواس كالسمع والبصر والذّوق والإحساس عن طريق الجلد ، فمجموع هذه الأجهزة تتعاون معاً لتشكيل كينونة واحدة ، هى الكائن الإنسانى ، كما أن الجهاز الواحد بالذات ينقسم إلى أعضاء ، مثل الجهاز الهضمى الذى ينقسم إلى الفم ، واللّسان والحلق والبلعوم ... إلخ » [5].

---

(١) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٧٩

(٢) السجدة : ٩ (٣) فصلت : ٥٣ (٤) الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٥) د . خالص الجلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٢

« ويستهلك الجسم من خلاياه حوالى . . ٧٥ مليون خلية فى الدقيقة الواحدة ، وكمثال على ذلك فإن أحد قطاعات الجسم ، وهو الوسط الداخلى الدموى ، يستهلك الإنسان منه فى كل ثانية حوالى مليونى كُرِيِّة حمراء ، ويختلف عمر الكُرِيِّة الحمراء التى تمثل نوعاً من أنواع الخلايا عن أعمار باقى الخلايا فهناك الخلايا التى لا تعيش إلا أياماً معدودة بسيطة ، وهناك الكُرِيِّة الحمراء التى تعيش وسطياً حوالى شهرين ، وهناك الخلايا التى تعيش ما عاش الإنسان ، تُولد بعدد محدود مُقدَّر ، وتبقى كما هى لا تزيد إلا بحالة واحدة ، وهى النمو السرطانى الخبيث ، كما أنها لا تنقص إلا بالآفات التى تُدَمِّر الخلايا وتتلفها ، وهى الخلايا العصبية المركزية » (١) .

« وهذا الثبات فى عدد الخلايا العصبية مهم ، لأن الخلايا لو تغيَّرت وتكاثرت كما تتغير وتتكاثر خلايا البدن فإن معنى هذا أن على الإنسان أن يتعلم اللُّغة كل ستة أشهر مرة أُخرى ، ويكون معنى هذا أيضاً فقدان الذاكرة ، وتعلم ممارسة الحياة ، وبالاختصار لا حضارة إنسانية ، فثبات الخلايا العصبية هو الذى جعلها تجمع الخبرات ، والمعلومات ، وتُنمِّى الثقافة ، والأفكار ، والمفاهيم » (٢) .

وإن نقص أو زيادة أى عنصر من هذه العناصر فى جسم الإنسان عن النسبة المحدَّدة يُعتبر حالة مرضية ، تسبب لصاحبها عواقب سيئة ، جسمياً ، وعقلياً ، ونفسياً (٣) .

فـ « خذ هرمون الغدة الدرقية المفروض أن يتوفر فى الدم بنسبة معينة ، فإذا

---

(١) د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ، جـ ١ ص ٤٠ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١١٨ - ١١٩

(٣) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى ، دار النهضة العربية ببيروت ، ١٩٧٤ م ، ص ٥٥ - ٦٠ .

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى . مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، ص ١٨٢

انخفضت نسبته عن ذلك قليلاً تغيَّرت الصورة العامة للشخص فى كثير من جوانبها ، ففيما يتعلق بالنشاط الذهنى ، وبالشخصية ، نجده يصبح كثير النسيان ، وتقل قدرته على تركيز انتباهه ، كما أنه يفقد القدرة على المبادأة ، أو الإقدام ، والحسم فى المشكلات ، وتنفيذ الخطط ، هذا إلى جانب تغيرات أُخرى تطرأ عليه ، ولا يمكن القول بأنها تغيرات سلوكية ، إلا أنها مع ذلك تتدخل - بشكل غير مباشر - فى تشكيل سلوكه ، من ذلك مثلاً أن الشخص يصبح بديناً ، شديد الحساسية للبرد ...

وكذلك تؤدى زيادة الإفرازات إلى اضطرابات لا تقل عن ذلك خطراً ، ففيما يتعلق بالنشاط الذهنى ، وبالشخصية ، يصل الأمر فى بعض الحالات الحادة إلى درجة تفكك تيار التفكير ، والخلط ، والهذاء ، وحدوث بعض الهلوسات ...

ويحدث أحياناً أن يُولد الطفل دون غدَّة درقية ، فلا ينمو ، ولا يكتسب المظاهر الإنسانية للشخصية ، فيعيش كالحيوان الذى لا يستطيع أن يُعبِّر عن رغباته ، إلا بصيحات يُطلقها من حين لآخر ، ولذلك يُقال عنه إنه يعيش فى مستوى تحت البشرى ، أما من حيث الاستجابات الذهنية ، والحركية ، فهى بطيئة جداً ، وتتسم بطابع الغباء ، والتبلد ، وغالباً ما يكون الطفل أبله ، أو معتوهاً ...... » [1] .

« والبنكرياس يفرز الأنسولين ، الذى يُنظِّم سكر الدم ، والخصية تفرز الهرمون الذى يهب صفات الذكورة ، والغُدَّة النُخامية تفرز هرمونات النمو والتكامل ، بحيث لو اختل إفراز إحداها لأُصيب الإنسان بداء السكر ، أو بالأنوثة بعد الذكورة ، أو بالقزامة بعد الطول الطبيعى » [2] .

« وكذلك فإن الغُدَّة النُخامية التى توجد فى وسط الرأس ، وتتألف من عدة

---

(١) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٧٨ م بتصرف ، ص ٢٩

(٢) د . حسن فرهود : الوجود الحق (مرجع سابق) ، ص ٥٩ - ٦٠. بتصرف .

فصوص ، وتُسمى هذه الغُدَّة بالغُدَّة الأم ، لأنها تقوم على رقابة غُدَد الجسم اللاقناتية الأُخرى ، كما يقوم رئيس العمال فى المصنع على شتَّى طوائف العمال به ، وهى تراقبها بإرسال الهرمونات لتضبط أعمالها ، وقد كشف الكاشفون عن ستة هرمونات منها فى الفص الأمامى من الغُدَّة ، ولا يزال البحث جارياً فى الفص الخلقى ، والفص المتوسط ، وهرموناتهما » [1] .

وإن هناك غُدَداً أخرى كالغُدَد الكظرية (غُدد ما فوق الكليتين) ، والغُدَّة الصنوبرية ، والغُدَّة الزعترية [2] ... إلخ ، ولكن نكتفى بما سبق لتوضيح أهميتها فى جسم الإنسان فى بناء الذات .

وهذه كلها تعمل على القيام بوظائفها بطريقة غير إرادية من الإنسان نفسه ، فـ « إن الجسم الإنسانى فى إجرائه الحياة ، ذات العمليات الكيميائية المتتابعة ، التى يصل بعضها بعضاً ، ويعتمد بعضها على بعض ، يحتاج لضبطها ، وتوقيتها ، وتنسيقها ، إلى هرمون وهرمون وهرمون ، وما أكثر الهرمونات ، وما أكثر الرُسل . إبداع فى إدارة هذا الجسم عجيب ، وفهم يقوم به من المواد ما لا يفهم ، ولكنه يقوم به لغاية ، وغاية لا بد منها ، وغاية كالغاية الواعية ، وما فيها من وعى .

مواد لا وعى بها ، ولكن هنالك وعى ، وهنالك هدف ، وهنالك غاية كل هذا الوعى العاقل المُدبِّر إنما اختفى وراء ما ترى من عمليات هضم ، وعمليات إفراز ، وعملية حياة ، تتضمن ألف عملية ، وتزيد الملاحقة تعقيداً ، وتزيد التوقيت صعوبة ، لو كان إنسان قيماً عليها إذن لفسدت ، ومن أجل هذا قامت الحياة

---

(١) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٢٧ بتصرف .

(٢) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ٢٥

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٢٤

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ٥٥

بديلاً عنا بوعى أيقظ وبفكر أفهم وبدقة متناهية ، وبإدراك لمعنى الزمان ، وتلاحق الدقائق والثوانى [1] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ [2] .

وإن « ردات الفعل الإرادية لا تحتاج إلى دماغ ، لكنها تفترض حالة من اليقظة ، بالنسبة إلى الوظائف الحسية ، والحركية على الأقل .

أما بالنسبة إلى الوظائف الغذائية ، فإن هذا الضبط يتعلق بوظائف ويفترض تناسق جميع الأحشاء ، للحفاظ على الحرارة ، ولضبط التفاعلات الكيميائية ... وغير ذلك . والكلب الذى انتُزع دماغه ، يبدو طبيعياً إذا ما ظل يحتفظ بمراكز القاعدة ، فهو يمشى مشياً طبيعياً ، لكن الملاحظة الدقيقة تبين أنه حى آلى ، يعجز عن ردات فعل التكيف الدقيقة ، التى تنم عن الذكاء » [3] . وعلى ذلك تم استنباط أن « الحياة الانفعالية العليا تتعلق بالقشرة » [4] .

وبهذا نُدرك أن جسم الإنسان له أهميته الكبيرة فى تكوين الذات الإنسانية، جسمياً ، ونفسياً وعقلياً ، وليس للإنسان اختيار فى ذلك ، ولكن يجب أن لا يكون هنالك مبالغة فى تقدير أهميته [5] على حساب الجانب الآخر فى الإنسـان . وهو الجانب الروحى ، الذى له دور رئيسى - أيضاً - فى التقويم ، والترشيد ، لما يمنحه هذا الجانب للإنسان من إمكانيات ، وقدرات ، وقيم ، ومبادىء روحية [6] .

---

(١) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٩ بتصرف .

(٢) المؤمنون ١٢ - ١٤

(٣) ، (٤) بول شوشار : فيزويولوچية الوجدان . ترجمة د . خليل الجر ، المطبعة البوليسية ، يونية ١٩٧٧ م ، ص ٥٤

(٥) مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى . (مرجع سابق) ص ٣٠.

(٦) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٣٣

و « إن التكامل العضوى فى الجسم يظل ناقصاً ، وأنه يرتكز على علاقات احتمال ، وكل هذا لا يتلاءم مع التماسك التام للسلوك ، ويُعبِّر عن كثرة العوامل ، وتعدُّد الدوافع ، والميول ، والنزعات ، التى قد يكون التوفيق بينها فى غاية الصعوبة » [١] ، وإن «العلاقات المتبادلة والتحليلات العلمية تُبيِّن أن الصفات المختارة لتعريف عادة ضعيفة ، وإذا كان من السهل العثور على حالات مميَّزة ، فإن التصنيفات تمثل فى مجملها اتجاهات إحصائية ، أكثر مما تمثل أفراداً ، وعلى الرغم من ذلك ، منهم من يفترض علاقة تكاد تكون ثابتة بين التشكل من ناحية ، والمزاج أو الخَلْق أو الطريقة الذهنية من ناحية أُخرى ، ومن الممكن أن تكون بعض العلاقات حقيقية ، ولكنها لا يمكن أن تكون على ما يدَّعونه من الصلابة ، ولعل النتائج المتناقضة لبحوث كثيرة ناجمة عن هذا الموقف » [٢] .

عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب »[٣] .

إن الكل يدرك أن الإنسان ليس له دور فى اختيار لونه ، أبيض أو أسود .. إلخ ، وإنما ذلك يرجع إلى طبيعة تكوينه .

وكذلك قد تكون الصفات التى يتصف بها إنسان ليست من اختياره ، وتقويمه ، وترشيده ، ولكن ذلك يعود إلى ما جُبِلَ عليه فى طبيعته ، كما أن المكان لا يعود إليه اختيار فى أن يكون سهلاً ، أو حَزَناً [٤] .

والحديث ليس معناه تقسيم الناس بين طيب وخبيث ، أو سهل وحَزَن فقط ، ولكن هنالك درجات من أسفل سافلين إلى أعلى علِّيين .

---

(١) أوجين شريدر : البيولوچية الإنسانية (مرجع سابق) ص ٥٨

(٢) المرجع السابق : ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن ، باب : سورة البقرة ، وقال : حسن صحيح ، جـ ٤ ص ٢٧٣

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٥ - ٢٦

وبذلك نُدرك مغزى من مغازى اشتراط النية فى العمل ، الذى يقوم به الإنسان ، بأن يكون لوجه الله ، وحيث إننا قلنا إن الدرجات متفاوتة فى الصفات التى يتصف بها الإنسان ، فإن النية فيها تقويم وترشيد أفضل لما يتصف به الإنسان ، لأن فيها مجاهدة للنفس ، ولكل قدرة وطاقة ، ولكل أجر ، وهنا يتحقق الابتلاء والامتحان .

قال تعالى : ﴿ الَّذى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، وَهُو العَزِيزُ الغَفَورُ ﴾ (١) .

ويلمح الإنسان هنا شيئاً من باب القَدَر فى موضوع القدرات ، والإمكانيات ، لحكمة عالية ، وهى بناء الحياة الإنسانية ككل ، وأن ذلك ليس راجعاً للإنسان نفسه .

ولذا فإن المؤمن العاصى خير من الكافر الخيِّر ، ولكن الكافر الخيِّر سيكون خيِّراً ويزيد عند الإيمان .

عن أبى هريرة قال : قيل : يا رسول الله ؛ من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاكم » قالوا: ليس عن هذا نسألك ، قال : « فيوسف نبى الله ، ابن نبى الله ، ابن نبى الله ، ابن خليل الله » ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون خير الناس فى هذا الشأن ، أشدهم له كراهية ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين ، الذى يأتى هؤلاء بوجه ، ويأتى هؤلاء بوجه » (٣) .

---

(١) الملك : ٢

(٢) رواه مسلم فى كتاب الفضائل ، حديث ١٦٨ ، جـ ٤ ص ١٨٤٦

(٣) رواه البخارى فى كتاب المناقب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات :١٣) جـ ٤ ص ١٥٣

فلطبيعة الذات أهميتها ، وللنضج أهميته [١] ، وللتنشئة الاجتماعية أهميتها [٢] ، وللإيمان أهميته [٣] ، ولكن أن تقول ما هو المهم ؟ فالكل مهم ، ولكن الأهم الإيمان ، لأن فيه ترشيداً وتقويماً للفرد والمجتمع ، وفوزاً برضا الخالق سبحانه ، وفوزاً بالدارين ، بدلاً من الفوز بمتاع الحياة الدنيا .

ومن نفس العناصر التى يتكوّن منها الإنسان ، يتشكل منها فى الأرض من حولنا مخلوقات مختلفة ومتنوِّعة ، فهذه دابة ، وهذا طير ، وتلك سمكة ...إلخ . وتضمها وحدة متناسقة فى السُنَن والقوانين ، لترى كوناً عامراً بالحياة ، تثير الإعجاب والدهشة [٤] .

* * *

(١) د . أحمد عبد العزيز سلامة وآخرون : علم النفس الاجتماعى . دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ٧١

(٢) المرجع السابق ص ٨٠.

(٣) د . حسن الترابى : الإيمان .. أثره فى حياة الانسان . دار القلم ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ ، الكويت ، ص ٢٨

(٤) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

الفصل الثانى

الرّوح

لقد ورد لفظ « الروح » فى القرآن الكريم (٢١ مرة) بصيغة المفرد لخمسة أوجه ، وهى [١] :

١ - للدلالة على جبريل عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [٣] .

فـ « أيدناه » و « أيدتك » بمعنى « قوّيناه » و « قوّيتك » ، و « الروح القدس » [٤] اختلف المفسرون فيه على قولين :

---

(١) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٢٦ - ١٢٩

الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٢٠٥

الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢١٣

مجمع اللُّغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢٦٣

محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٢١٣

(٢) البقرة : ٢٥٣ (٣) المائدة : ١١٠ .

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٣٥٩

- أنه الروح الطاهرة التى خص اللّه تعالى بها عيسى عليه السلام .

- أنه جبريل عليه السلام ، وهو الراجح [1] . لقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] .

فـ « الروح القدس » جبريل عليه السلام ، بمعنى الروح المطهر ، كما أنه يقدس النفوس ، بمعنى يطهرها من الشرك [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[4] .

فـ « الروح الأمين » فيه إضافة الموصوف إلى الصفة ، والمراد به جبريل عليه السلام ، أمين على ما ائتُمن عليه من الوحى [5] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ [7] .

فـ « روحنا » جبريل عليه السلام ، والإضافة للتخصيص ، والتشريف ، لقوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ لأنها لا يمكن لها أن ترى جبريل عليه السلام على صورته ، أو لأنها لا تطيق ذلك [8] .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (المرجع السابق) جـ ٣ ص ٢٣٦.
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٩١

(٢) النحل : ١٠٢

(٣) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٤١

(٤) الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥

(٥) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٦ ص ٢٦٤

(٦) البقرة : ٩٧ (٧) مريم : ١٧

(٨) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٢١٢٩

وجبريل عليه السلام من الملائكة ، واللّه خلقهم من نور ، فهم من عالَم غيبى غير محسوس [١] .

عن عائشة قالت : قال رسول اللّه ﷺ : « خُلِقَت الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجان من مارج من نار ، وخُلِقَ آدم مما وُصِفَ لكم » [٢] .

فالملائكة خلق من خلقه تعالى ، لا يستطيع الإنسان إدراكهم ، لأنهم ليسوا ممن تقع عليهم حواسه ، والإيمان بالغيب بهم ركن من أركان الإيمان .

عن عبد اللّه بن عمر عن أبيه قال : بينما نحن عند رسول اللّه ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ؛ أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول اللّه ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إلَهَ إلاَّ اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه ، وتُقيم الصلاة ، وتُؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : « أن تؤمن باللّه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقَدَرِ خيره وشره » ، قال : صدقت ... » الحديث [٣] .

٢ - للدلالة على صنف من الملائكة ، لهم مكانة وشرف ، أو جند من جنود اللّه تعالى غير الملائكة ، لم نعلم عنهم شيئاً :

---

(١) عفيفى عبد الفتاح طبارة : روح الدين الاسلامى ، ط ٦ ، توزيع دار العلم للملايين ببيروت ، لبنان ، ص ١٣٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الزهد ، حديث ٦٠ ، جـ ٤ ص ٢٢٩٤

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ١ ، جـ ١ ص ٣٦ - ٣٨

قال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً ، لاَ يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أمْرٍ * سَلاَمٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ ﴾ (٣) .

ولقد اختلف المفسرون فى المراد بـ « الروح » :

فقيل : إنه جبريل عليه السلام ، وأنه ذُكِرَ مع دخوله فى « الملائكة » للتعظيم والتشريف (٤) .

وقيل : إنه صنف من الملائكة لهم شرف ومكانة عند الله تعالى (٥) .

عن ابن عباس قال : « بينما جبريل قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فُتِح اليوم ، لم يُفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه مَلَك ، فقال : هذا مَلَكٌ نزل إلى الأرض ، لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلَّم ، وقال : أبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منها إلا أُعطيته » (٦) .

كما جاء فى القرآن الكريم ذكر لأسماء بعض الملائكة :

---

(١) المعارج : ٤ (٢) النبأ : ٣٨ (٣) القدر : ٤ - ٥

(٤) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٢١ ، ٢٧٣

(٥) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٣٧

(٦) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين ، حديث ٢٥٤ ، جـ ١ ص ٥٥٤

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُواً للَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ (٢) .

– وقيل إن المراد جند من جنود اللَّه غير الملائكة ، لم نعلم شيئاً عنهم (٣) .

عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « الروح جند من جنود اللَّه ، ليسوا بملائكة ، لهم رؤوس ، وأيد ، وأرجل ، ثم قرأ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً ﴾ (٤) . قال : « هؤلاء جند ، وهؤلاء جند » (٥) .

واللَّه أعلم بمراده ، وكل من هذه الأقوال تتحدث عما لا يمكن أن تقع عليه حواس الإنسان لتدركه .

وطريق المعرفة الحقيقية للغيبيات هو الكتاب والسُنَّة الصحيحة ، والعقل لا ينفى وجود الملائكة ، ولا دخل له فى معرفتهم (٦) ، إلا بما ثبت عن الكتاب أو السُنَّة ، لذلك يجب الإيمان بهم ، وإنكارهم كفر (٧) .

٣ – للدلالة على ما يتضمن القوة والتأييد من اللَّه تعالى ؛ قال تعالى : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨) .

---

(١) البقرة : ٩٨ — (٢) الزخرف : ٧٧

(٣) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ٩٣

(٤) النبأ : ٣٨

(٥) رواه ابن أبى حاتم فى كتاب العظمة ، انظر : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٧١

(٦) محمد المبارك : نظام الإسلام .. العقيدة والعبادة . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ص ١٢٨

(٧) حسن أيوب : تبسيط العقائد الإسلامية . دار النصر للطباعة الاسلامية القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ص ١٨٤

(٨) المجادلة : ٢٢

فـ « أيدهم » بمعنى قوّاهم ، ونصرهم على عدوهم [1] .

و « روح منه » قيل : إن اللّه تعالى أرسل إليهم جبريل لنصرتهم ، وأن الإيمان سبب النصرة ، وقيل : بالقرآن والحجة [2] ، أو أن القوة والتأييد من اللّه مباشرة بأمره تعالى ، وأن الإيمان سبب ذلك .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ، انْتَهُواْ خَيْراً لَكُمْ ، إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾ [5] .

فـ « كلمته » قيل المراد بها بشارة اللّه لمريم [6] فى قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [7] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِى احْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [8] .

---

(١) ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء) : تفسير القرآن العظيم . المكتبة التجارية الكبرى بمصر جـ ٤ ص ٣٢٩

(٢) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٩٣

(٣) يس : ٨٢ (٤) البقرة : ١٨٦ (٥) النساء : ١٧١

(٦) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٤.

(٧) آل عمران : ٤٥ (٨) التحريم : ١٢

وقيل إن المراد بـ « كلمته » الأمر الكونى المباشر من اللّه تعالى بـ « كن فيكون » [1] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [2] .

و « روح منه » فـ « منه » متعلق بمحذوف وقع صفة للروح أى كائنة منه[3] . والإضافة للتفضيل والتشريف [4] كقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [5] .

وأن التفضيل والتشريف من اللّه تعالى منحه المعجزات ، لإثبات نبوّته وتقويته .

قال تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [7] .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٨١٧

(٢) آل عمران : ٥٩

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٤١

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٠٥ ، جـ ٣ ص ٣١٨

(٥) البقرة : ١٢٥ (٦) آل عمران : ٤٦ (٧) آل عمران : ٤٩

وإن جميع أرواح خلقه منه ، وإن كان المَلَك هو الذى ينفخ الروح لأن ذلك بأمره تعالى [1] .

وأنه من التشريف والتفضيل ، خصوصية عيسى عليه السلام فى أن يتولى نفخ الروح فيه جبريل عليه السلام ، لما له من منزلة عالية عند الله تعالى .

٤ - للدلالة على الوحى :

قال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٤] .

فالوحى فى اللغة الإعلام الخفى ، ويتناول الإلهام الفطرى للإنسان ، أو الغريزى للحيوان [٥] .

قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [٧] .

والوحى شرعاً « إعلام الله تعالى مَنْ اصطفاه من عباده ، كل ما أراد اطلاعه عليه ، من ألوان الهداية ، والعلم ، ولكن بطريقة خفية ، غير معتادة للبشر »[٨] .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٤١

(٢) النحل : ٢ (٣) غافر : ١٥ (٤) الشورى : ٥٢

(٥) د . عبد المنعم النمر : فى علوم القرآن . دار الكتاب المصرى ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ،ص ١٣-١٤

(٦) النحل : ٦٨ (٧) القصص : ٧

(٨) د . عبد الله شحاتة : علوم القرآن والتفسير . دار الاعتصام ، القاهرة ، ص ١٤

ويلاحظ أن كلمة « الروح » بمعنى الوحى يقترن معها فى كل آية جملة « من أمره » أو « من أمرنا » ، فمن المحتمل أن يكون كل أمر من الله تعالى روحاً منه ، والله أعلم .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ (١) .

لقد وردت هذه الآية فى سورة الإسراء ، فى سياق الحديث عن القرآن الكريم ، فالآيات التى قبلها تتحدث عنه .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ ، إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً * وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلاَّ خَسَاراً * وَإذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُساً * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴾ (٢) .

وإن الآيات بعدها تتحدث عن القرآن .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً * إلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً * قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٣) .

فهل يكون المراد بـ « الروح » القرآن ؟

بما أن ما قبل هذه الآية ، وما بعدها ، فى وصف القرآن الكريم فإنه من الأولى أن يكون المراد بـ « الروح » القرآن الكريم ، لتكون الآيات متناسبة متناسقة (٤) .

---

(١) الإسراء : ٨٥ (٢) الإسراء : ٨١ - ٨٤ (٣) الإسراء : ٨٦ - ٨٨

(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . دار الفكر ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، جـ ٢١ ص ٣٩ - ٤٠ .

عن الأعمش سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود قال : بينما أنا أمشى مع النبى ﷺ فى حر المدينة ، وهو يتوكأ على عسيب معه ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، لا يجىء فيه بشىء تكرهونه ، فقال بعضهم : لنسألنه ، فقام رجل منهم ، فقال : يا أبا القاسم ؛ ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقمت فلما انجلى عنه ، فقال : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى، وَمَا أُوتُواْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ [1] . قال الأعمش : هكذا فى قراءتنا » [2] .

ويقول ابن القيم : « إن أكثر السلف - بل كلهم - على أن الروح المسئول عنها فى الآية ، ليست أرواح بنى آدم ، بل هو الروح الذى أخبر الله عنه فى كتابه ، أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة ، وهو مَلك عظيم » [3] .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلاَئِكَةُ صَفّاً ، لاَ يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ [4] .

عن الحسين بن محمد بن إبراهيم ، أنبأنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن السدى عن أبى مالك ، عن ابن عباس قال : بعثت قريش عُقبة بن أبى معيط ، وعبد الله بن أبى أُمية بن المغيرة ، إلى يهود المدينة يسألونهم عن النبى ﷺ ، فقالوا لهم : إنه قد خرج فينا رجل يزعم أنه نبى ، وليس على ديننا ، ولا على دينكم قالوا : فمن تبعه ؟ قالوا : سفلتنا ، والضعفاء والعبيد ، ومن لا خير فيه ، وأما أشراف قومه فلم يتبعوه ، فقالوا : إنه أطل زمان نبى يخرج ، وهو

---

(١) الإسراء : ٨٥ بلفظ : « أوتيتم .. »

(٢) رواه البخارى فى كتاب العلم ، باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الإسراء : ٨٥) ، جـ ١ ص ٤٠.

(٣) ابن القيم : الروح ، تحقيق محمد اسكندر بلدا . دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٢٠٣

(٤) النبأ : ٣٨

على ما تصفون من أمر هذا الرجل ، فأتوه ، فاسألوه عن ثلاث خصال نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبى صادق ، وإن لم يخبركم فهو كذّاب ، سلوه عن الروح التى نفخ اللّه تعالى فى آدم ، فإن قال لكم هى من اللّه ، فقولوا : كيف يُعذّب اللّه فى النار شيئاً منه ؟ قيل : فسأل جبريل عنها ، فأنزل اللّه عز وجل الآية ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّى ... ﴾ (١) .

فالحديث الأول يذكر أن الآية نزلت فى المدينة المنّورة ، أما الحديث الثانى فيذكر أن الآية نزلت فى مكة المكرمة ، قبل الهجرة ، كما يوضّح المراد بالروح ، « وقيل مثل هذا الإسناد - الحديث الثانى - لايُحتج به ، فإنه من تفسير السدى عن أبى مالك ، وفيه أشياء منكرة » (٢) .

وإذا كانت الآية نزلت بمكة المكرمة قبل الهجرة ، فتكرر السؤال نفسه ، فلا حاجة إلى أن ينتظر الرسول ﷺ الوحى ، لإجابتهم ، ولأجابهم مباشرة .

فهل يمكن أن نعامل الآية بالقاعدة المعروفة عند علماء التفسير ، وهى : تعدد أسباب النزول ، والحكم واحد (٣) .

بمعنى أن هنالك سؤالاً فى مكة المكرمة قبل الهجرة ، عن أرواح بنى آدم ، وآخر فى المدينة المنورة ، عن الروح فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئكَةُ صَفّاً ، لاَ يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾(٤) .
أو عن جبريل ، أو عن الوحى ، فيكون المقصود بالروح فى قوله تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّى، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ أرواح بنى آدم ، والروح الذى يقوم مع الملائكة يوم القيامة ، والوحى ، ولعل ذلك هو المراد للاختلاف فى تحديد ذلك ، واللّه أعلم .

---

(١) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٤

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٤

(٣) د . عبد المنعم النمر : علوم القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٠٣ - ١٠٤

(٤) النبأ : ٣٨

مع أن علماء الحديث يُرجِّحون رواية البخارى ، لأنها أولى من رواية للترمـذى [1] تتضمن أن الآية نزلت بمكة [2] وأولى من الرواية السابقة والتى لم ترد فى كتب الصحاح أو السنَن .

٥ – ما يمثل ما يمنحه الله تعالى للإنسان ، أثناء الخلق ، وهو ما نحن بصدده :

قال تعالى : ﴿ وإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [7] .

---

(١) د . عبد الله شحاتة : علوم القرآن والتفسير (مرجع سابق) ص ١١٩

(٢) سنن الترمذى كتاب تفسير القرآن ، باب : سورة الاسراء ، جـ ٤ ص ٣٦٦

(٣) الحجر : ٢٨ – ٢٩ (٤) سورة ص : ٧١ – ٧٢ (٥) السجدة : ٧ – ٩

(٦) الأنبياء : ٩١ (٧) التحريم : ١٢

والذى يجب أن يُعرف هو أن إسناد النفخ للّه تعالى ليس كإسناد النفخ للإنسان ، أو غيره ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [1] مما قد يخطر على بال .

وإن أغلب تعريفات الروح - قديماً وحديثاً - إن لم أقل كلها لا تفرق بين الروح والنفس ، إنما تجعلهما مترادفتين كما سيأتى .

ولكن بملاحظة الآيات القرآنية ، التى وردت فيها كلمة « الروح » فيما يتعلق بخلق الإنسان ، نجد أنها تتعلق ببدء الخلق ، وأنها لم تأت فى مخاطبة الذات الإنسانية ، بينما لم ترد « النفس » إلا فى مخاطبة الذات الإنسانية [2] ، وكذلك لم ترد كلمة « الروح » إلا مفردة ، بينما جاءت « النفس » مفردة ، وجمعاً [3] .

« أما ذكر بعض الأحاديث النبوية للأرواح بصيغة الجمع ، فقد تعرَّض له الفقهاء ، وقالوا : إن الأنفس أصلها من الروح ، ومن ثَمَّ جاز تسمية الفرع بما يُطلق على الأصل من قبيل المجاز » [4] .

وقد جاءت كلمة « الروح » فى القرآن الكريم فيما يتعلق بخلق الإنسان مقرونة بـ « نفختُ » ، و « نفخ » ، « نفخنا » غالباً .

---

(١) الشورى : ١١

(٢) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٩٨١ م ص ١٨٠ ، ١٨٢

(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . دار ومطابع الشعب ، ص ٣٢٦ ، ٧١٠ - ٧١٤

(٤) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٨٨

والنفخ : نفخ الريح فى شئ [1] ، والنفخ يكون من المَلَكَ بعد مرور (١٢٠ .) يوماً من عملية التلقيح كما سيأتى .

فهل يكون المقصود بـ « الروح » نفخة جبريل عليه السلام ، لأنه ريح يخرج منه ، بأمره تعالى ، كما قال ذو الرمة [2] :

فقلتُ له ارفعها إليكَ وأحيها   بروحك وأقته لها قيتة قدرا [3]

« والعرب تسمى الشئ باسم الشئ إذا كان صادراً عنه [4] ، وعلى ذلك يكون التعبير ب « الروح » عن النفس ممكناً مجازاً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [5].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّتِى احْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [7] .

فالضمير « فيها » يعود لأم عيسى عليه السلام ، فما المراد بـ « روحنا » هل هو روح عيسى عليه السلام ، أم الأمر الإلهى الكونى بأن تحمل أم عيسى عليه

---

(١) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٥٠ .

(٢) الباهلى : شرح ديوان ذو الرمة ، تحقيق د . عبد القدوس الانصارى ، دار الايمان ببيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٣ ص ١٤٢٩

- ذو الرمة : غيلان بن علقمة (٧٧ - ١٧٧ هـ) من فحول الطبقة الثانية فى عصره ، وامتاز شعره باجادة التشبيه ، وأكثره تشبيب وبكاء أطلال .

خير الدين الزركلى : الأعلام (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٢٤

(٣) بروحك : بنفخك ، واقته قيتة : يأمره بالرفق والنفخ القليل فى النار وأن يطعمها حطباً تليلاً قليلاً .

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٠١٨ .

انظر : أبى السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٥٦

(٥) يس : ٨٢   (٦) آل عمران : ٥٩   (٧) الأنبياء : ٩١

السلام ، وأنه بعد مضى (١٢٠ يوماً) من بدء الحمل ، جاء جبريل عليه السلام ، ونفخ فى عيسى عليه السلام الروح .

قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (١) .

والضمير « فيه » يعود إلى الفرج ، والمقصود به ما فى الفرج ، وهو عيسى عليه السلام - الجنين - ، وإن التصديق تم بعد نفخ الروح فيه - بعد (١٢٠ يوماً) من بدء الحمل - وتبين الحمل ، فعلى ذلك يكون المراد بـ ﴿ نَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ الأمر الإلٰهى بالحمل لأم عيسى عليه السلام و بـ ﴿ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ الروح التى منحها الله تعالى لعيسى عليه السلام بعد مضى (١٢٠ يوماً) .

ومن هنا يترجح لدىَّ أن المراد بـ « الروح » الأمر الإلٰهى ، وهو أمر لطيف خفى عن الإدراك شأنه شأن الوحى ، والملائكة ، والله أعلم .

* * *

• خلق الروح بعد الجسد :

وعلى ما سبق تكون النفس - الروح مجازاً - قد حدثت بعد نفخ الملك بالنسبة لذرية آدم عليه السلام ، وذلك - أيضاً - لما يأتى (٢) :

١ - قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

فإن الله تعالى قد نفخ فيه من روحه ، بعد خلق جسده ، ومن تلك النفخة حدثت النفس أو الروح مجازاً .

---

(١) التحريم : ١٢

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢١٦ ، ٢٣٧

(٣) الحجر : ٢٨ - ٢٩

٢ – قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (١) .

فمن هذه الآية نلمح أن النوع الإنسانى إنما خُلِقَ بعد خلق أصله .

٣ – قال تعالى لسيدنا زكريا : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾ (٢) .

﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾ بروحك وبدنك ، فهما المخاطبان .

٤ – قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ﴾ (٣) .

فالإنسان بروحه ، وجسده ، انما يُخْلَق بعد خلق أبويه .

٥ – قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّه وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُواْ بِاللَّه وَرُسُلِه ، وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُك بِكَلِمَة مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٦) .

فهل المراد – بـ « وكَلِمَتُهُ » و « كَلِمَةٍ مِنْهُ » هى قوله تعالى : « كُنْ فَيَكُونُ » (٧) .

و « كن » تكون لجسده وروحه على الترتيب ، وهذا ما يتبادر إلى الأذهان عادة .

---

(١) النساء : ١ — (٢) مريم : ٩ — (٣) الحجرات : ١٣

(٤) آل عمران : ٥٩ — (٥) النساء : ١٧١ — (٦) آل عمران : ٤٥

(٧) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٦ ص ٨١٧

٦ - عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مُضغة مثل ذلك ، ثم يُرسَل الملك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... » [١] .

فالله تعالى يُرسل الملك فيُحدث الروح مجازاً - النفس - بنفخته فيه ، ولم يقل إنه تعالى أرسل ملكاً إليه بالروح ، فينفخها فى جسده [٢] .

٧ - إنه لو كان للروح وجود فى الملإ الأعلى ، قبل خلق الأجساد ، ولو كانت الروح عالمة ناطقة لتذكرت وشعرت بذلك ، « فهب أن الجسم منعها من شعورها به على التفصيل والكمال ، فهل يمنعها عن أدنى شعور بوجه ما ، مما كانت عليه قبل تعلقها بالبدن ؟ ومعلوم أن تعلقها بالبدن لم يمنعها من الشعور بأول أحوالها ، وهى فى البدن ، فكيف يمنعها من الشعور بما كان قبل ذلك » [٣] .

قال تعالى : ﴿ واللَّهُ أَخْرَجَكُمْ منْ بُطُون أُمَّهَاتكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٤] .

* * *

• خلق الروح قبل الجسد :

كما أن هناك من العلماء من قال بخلق الأرواح فى الملإ الأعلى قبل خلق الجسد ، ويأتى الملك بها إلى الجسد بعد خلقه ، لينفخها فيه ، وهذا الرأى يلزم عليه أن يكون الروح والنفس لفظين مترادفين .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ١ ، جـ ٤ ص ٢٠٣٦.

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٧

(٣) ابن القيم الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٦

(٤) النحل : ٧٨

وقد استدلوا بما يأتى :

١ - قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١) .

قالوا إن الاستنطاق ليس للأبدان وإنما للأرواح ، لتأخر خلق أبدان بنى آدم عن خلق آدم عليه السلام ، ولكن الله تعالى أخبر أن الحكمة من هذا الاستشهاد إقامة الحجة ، والحجة إنما قامت على ذرية آدم عليه السلام بالرسالة (٢) .

قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٣) .

وإن ذلك « تمثيل لخلقه تعالى إياهم فى مبدإ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق ، والأنفس ، المؤدية إلى التوحيد والإسلام ، كما ينطق به قوله ﷺ : « كل مولود يُولدَ على الفِطرة ... » (٤) .

الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريفه تعالى إياهم لمعرفة ربوبيته ، بعد تمكينهم منها ، بما ركز فيهم من العقول والبصائر ، ونصب لهم فى الآفاق والأنفس من الدلائل ، تمكيناً تاماً ، ومن تمكنهم منها تمكناً كاملاً ، وتعرضهم لها تعرضاً قوياً بهيئة منتزعة من حمله تعالى إياهم على الاعتراف بها ، بطريق الأمر ، ومن مسارعتهم إلى ذلك ، من غير تلعثم أصلاً ، ومن غير أن يكون هناك أخذ ، وإشهاد ، وسؤال وجواب (٥) .

---

(١) الأعراف : ١٧٢

(٢) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٨٣

(٣) النساء : ١٦٥

(٤) رواه البخارى : كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين جـ ٢ ص ١٠٤

(٥) أبو المسعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٩٠ ، وانظر أيضاً :
الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ١٥ ص ٥٣ - ٥٤
الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٢٩
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٢٦٢

كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (1) .

١ - عن مسلم بن يسار الجهنى عن عمر بن الخطاب أنه سُئِل عن هذه الآية فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يُسئل عنها فقال : « إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذريَّةً فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريَّةً فقال : خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ... » (2) .

لقد ورد هذا الحديث فى الموطأ فى باب القَدَر لا فى خلق الأرواح قبل الأجساد ، وإسناده منقطع حيث لم يلق مسلم بن يسار عمر بن الخطاب وهو مجهول ، والروايات الأُخرى للحديث فى إسنادها رجال ضعفاء كنعيم بن ربيعة وهو مجهول (3) .

٣ - ما رواه أبو عبد الله بن منده ، أخبرنا محمد بن صابر البخارى ، حدثنا محمد بن المنذر بن سعد الهروى (4) ، حدثنا عن جعفر بن محمد بن هارون المصيصى ، حدثنا عتبة بن السكن ، حدثنا أرطأة بن المنذر ، حدثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حلبس (5) ، عن عمرو بن عبسة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ

---

(١) فصلت : ١١

(٢) رواه مالك فى الموطأ فى كتاب الجامع ، باب النهى عن القول بالقدر ، تحقيق أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، ط ٦ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٤٨

(٣) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢١٧ - ٢١٨

الذهبى : ميزان الاعتدال (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٠٨ ، ٢٧٠

(٤) ولعله محمد بن المنذر بن أسد الهروى ، انظر : ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ، دائرة المعارف العثمانية ، بالهند ، ١٣٧١ هـ ، ط ١ ، جـ ٨ ص٩٧

(٥) وهو يونس بن ميسرة بن حلبس ، وقد يُنسب إلى جده ، وهو ثقة عابد ، معمر ، مات سنة ١٣٢ هـ (ابن حجر : تقريب التهذيب ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعارف ببيروت ، ١٣٩٥ هـ ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٨٦

يقول : « إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » [١] .

ولكن علماء الحديث ضعّفوا هذا الحديث لأن إسناده غير صحيح لأن فيه « عتبة بن السكن » وقال الدارقطنى : إنه متروك الحديث ، وقال البيهقى منسوب إلى الوضع [٢] ، وفيه « أرطأة بن المنذر » وقال ابن عدى : بعض أحاديثه غلط [٣] ، وفيه « عطاء بن عجلان » وقال الذهبى : تركوه وكذّبه يحيى بن معين [٤] .

٤ - قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إلاَّ إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [٥] .

فإن « ثم » للترتيب ، وأن الله تعالى قال : ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ فالخلق سابق للأمر بسجود الملائكة لآدم عليه السلام ، فيكون المقصود بذلك الأرواح لا الأبدان لأنها حادثة بعد ذلك [٦] .

---

(١) رواه ابو عبد الله بن منده ، انظر ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢١٦

ولقد ورد حديث موضوع يماثله فى موضع الشاهد . انظر :

العراقى : تنزيه الشريعة ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصادق ، مطبعة عاطف ، مكتبة القاهرة ، ط ١ ، جـ ١ ص ٣٦٨

السيوطى : اللآلى المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة ، المطبعة الادبية ، ١٣١٧ هـ ، ط ١ ص ١٩٩

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى : المغنى فى الضعفاء ، تحقيق د . نور الدين عتر ، دار المعارف بحلب ، ١٣٩١ هـ ، ط ١ ، جـ ١ ص ٤٢٢

(٣) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

الذهبى : المغنى فى الضعفاء (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٤

(٤) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٢٥ هـ ، جـ ٧ ص ٢٠٨-٢١٠ .

(٥) الأعراف : ١١

(٦) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣١

وهذا مردود بأن خلق آدم عليه السلام وتصويره هو خلق وتصوير لذريته لأنهم من سلالته ، فهم يرثون الصفات الجسمية والعقلية والنفسية عنه عليه السلام (١) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (٢) .

ولكن ما أطمئن وأميل إليه أكثر من استعراض هذه الأدلة هو أن الروح - مجازاً - أو النفس يكون خلقها بعد الجسد .

« ولو دل دليل على أن الأرواح خُلقت جملة ، ثم وُضعت فى مكان حية عالمة ناطقة ، ثم كل وقت تبرز إلى أبدانها شيئاً فشيئاً ، لكنَّا أول قائل به ، فاللَّه سبحانه على كل شئ قدير ، ولكن لا نخبر عنه خلقاً وأمراً إلا بما أخبر به عن نفسه على لسان رسوله ﷺ ، ومعلوم أن الرسول ﷺ لم يُخبر بذلك ، وإنما أخبرنا بما فى الحديث الصحيح : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسَل المَلك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... » (٣) .

فالمَلك وحده يُرسَل إليه فينفخ فيه ، فإذا نفخ فيه كان سبب حدوث الروح فيه ، ولم يقل يُرسِل إليه الروح فيُدخلها فى بدنه ، وإنما أرسل إليه المَلك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه ، ففرق بين أن يُرسِل إليه مَلك ينفخ فيه الروح ، وبين أن يُرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع المَلك (٤) .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٩١

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٦٠٤

(٢) النساء : ١

(٣) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ١ ، جـ ٤ ص ٢٠٣٦

(٤) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٧

وأما الزعم بأن الروح أو النفس جوهر بسيط قديم ، مجرد عن المادة ، هبط من العالَم الأزلى إلى الجسد ، وأنها غريبة عنه ، وأنها تتعذب من حلولها فيه ، وأن الجسد سبب شقائها ، فهى مفتقرة إلى الطهارة ، والصفاء [1] فهو مجرد ضلال لا دليل عليه .

وهذا المذهب قديم ، ومن الفلاسفة القدماء الذين قالوا به « أفلاطون » [2] ، و« فلوطين [3] » [4] .

وقال به بعض الزنادقة ، والروافض ، فيما يتعلق بأمر آدم عليه السلام ، كما قال به بعض النصارى ، والجهمية ، فى أمر عيسى عليه السلام [5] .

واستدلوا بأدلة أهمها :

١ - إنه يلزم من كونها أبدية أن لا تكون حادثة ، لأن الحادث لا يمكن أن يكون أبدياً ، ومن هنا لزم أن تكون غير حادثة ، لأن الأدلة النقلية والعقلية على أبديتها ثابتة ، فيلزم أن تكون قديمة غير مخلوقة [6] .

---

(١) د . سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإنسانية فى الإسلام . دار النهضة العربية . القاهرة ، ص ٦٩

(٢) أفلاطون : فيلسوف يونانى ، عاش (٤٢٨ - ٣٢٧ ق م) ، وله أكثر من ثلاثين محاورة فلسفية ، تتركز على الروحانيات ، والأخلاقيات ، وحارب الاتجاهات المادية .

(٣) فلوطين : فيلسوف يونانى ، ولد فى مصر ، وعاش فيما بين (٢٠٥ - ٢٧٠ م) وهو من مؤسسى المؤسسة الأفلاطونية المحدثة فى الإسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث للميلاد ، وأسس مدرسة جديدة فى روما ... وهى تجرى تعديلات على التعاليم الأفلاطونية بحيث تنجسم مع المفاهيم الأرسطوية والشرقية ، وتتصور العالَم فيضاً منبثقاً من الذات العليا ، التى تستطيع الروح الاتحاد بها فى حال الانجذاب الروحى .

انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٧ ص ١١٥

م . روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٤٠ - ٤٢

(٤) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس البشرية . دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ص ١٥٩

(٥) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ١٩٤ ، ١٩٦

(٦) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد . مطبعة إستانبول ، ١٢٧٧ هـ ، جـ ٢ ص ٣٦

وهذا مردود لأن الحادث وإن كان قابلاً للعدم إلا أنه لا يلزمه إذا امتنع عدمه بمشيئة خالقه [1] ، وذلك كالجنة والنار .

قال تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً * إِلاَّ بَلاَغاً مِنْ اللَّهِ وَرِسَالاَتِهِ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ [3] .

والجنة والنار مخلوقتان ، فلم يلزم من حدوثهما عدمهما . وأبديتهما ليست لذاتهما ، ولكن لإرادة الحى القيوم .

٢ - قال تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [4] .

فالروح من أمره تعالى ، والأمر طلب ، فهو من جملة كلامه تعالى ، وكلامه غير مخلوق وقديم ، فتكون الروح كذلك [5] .

وهذا مردود لأن المراد بـ « من أمر ربى » أى من فعله بلفظ « كن » ، فيكون حادثاً ، وليس « الروح » هو « كن » [6] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ

---

(١) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٣٦

(٢) المائدة : ١١٩ (٣) الجن : ٢٢ - ٢٣ (٤) الإسراء : ٨٥

(٥) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٦) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٣٩

آلِهَتُهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَىْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [1] .

وقد جاء لفظ الأمر بمعنى الفعل .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلإِيْهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [2] أى شأنه وحاله حتى اتخذوه إلهاً [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [4] .

فـ « أمرنا » بمعنى فعلنا . وهو الريح العقيم فأهلكهم الله عن آخرهم بها [5].

فقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ أى من فعله فهو حادث [6] .

وقال تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [7] وليس هو « كن » .

٣ - قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِه ، وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ، انْتَهُواْ خَيْراً لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [8] .

---

(١) هود : ١٠١ (٢) هود : ٩٦ - ٩٧

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٣٣٢١

(٤) هود : ٥٨

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٤٥٠

(٦) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٣٩

(٧) البقرة : ١١٧ (٨) النساء : ١٧١

فقوله تعالى : ﴿ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ قالت بعض النصارى والجهمية : إن عيسى ابن مريم روح الله ، وكلمته من ذاته ، وكل منهما غير مخلوق [1] ، فجهلوا وضَلُّوا وأضلُّوا .

وهذا مردود لأن عيسى عليه السلام بكلمة « كن » كان ، وليس هو الكلمة ، فمن أمره تعالى كان الروح فيه ، وأن عيسى عليه السلام إن كان من أم دون أب ، فإن الله خلق آدم من دون أبوين ، ولم يكن لدى بعض النصارى له ذلك [2] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [3] .

وإنما المسيح عبد لله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[5].

٤ – قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [6].

فالله تعالى أضاف الروح إليه ، وأسند النفخ إليه ، وذاته قديمة فتكون الروح قديمة[7].

---

(١) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقية الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٥١

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٦ ص ٨١٧

(٣) آل عمران : ٥٩ — (٤) النساء : ١٧١

(٥) النساء : ١٧٢ — (٦) الحجر : ٢٩

(٧) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٧

وهذا – أيضاً – مردود لأن ما يُضاف إلى اللّه تعالى نوعان وهما [1] :

(أ) إضافة ما لا يقوم بنفسه كصفاته تعالى كالعلم والسمع والبصر والإرادة ... إلخ .

فهى صفات له سبحانه غير حادثة .

(ب) ما يمكن أن يقوم بنفسه ، كالناقة والرسول والروح ... إلخ .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللَّهِ ، وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [4] .

كما أضاف إليه تعالى الروح – جبريل – الذى أرسله إلى مريم .

قال تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ [5] .

فهذه الإضافة إضافة مخلوق لخالقه ، للتخصيص ، والتشريف ، لا تدل على قِدَمِه [6] .

* * *

(١) ابن القيم : الروح (مرجع السابق) ص ٢٠٨ – ٢١٠ .
(٢) الأعراف : ٧٣ (٣) النساء : ١٥٧
(٤) سورة ص : ٧٢ (٥) مريم : ١٧
(٦) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٩

• إجماع المسلمين على أن الروح حادثة :

لقد أجمع المسلمون على أن الروح حادثة إذ لا قديم عندهم إلا اللّه تعالى وصفاته . وذلك معلوم من الدين بالضرورة [١] .

وحكى الإجماع الإمام ابن قتيبة فى قوله : « النسم : الأرواح ، وأجمع الناس على أن اللّه تعالى هو فالق الحبة وبارىء النسمة أى خالق الأرواح »[٢] .

فـ « إن النفوس الإنسانية سواء جعلناها مجردة أو مادية حادثة عندنا لكونها أثر القادر المختار » [٣] .

وقد سبق أن ذكرتُ الكثير من الأدلة القرآنية على ذلك ، ولا داعى للتكرار وإنما نذكر هنا شيئاً من الأحاديث الصحيحة التى وردت فى ذلك .

عن عمران بن حصين رضى اللّه عنهما قال : دخلتُ على النبى ﷺ وعقلتُ ناقتى بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم فقال : « اقبلوا البُشرى يا بنى تميم » قالوا : قد بشّرتنا فأعطنا - مرتين - ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا : قبلنا يا رسول اللّه . قالوا : جئناك نسألك عن هذا الأمر . قال : « كان اللّه ولم يكن شىء غيره ، وكان عرشه على الماء وكتب فى الذِكر كل شىء وخلق السماوات والأرض »[٤] .

وعن عائشة رضى اللّه عنها قالت : سمعتُ النبى ﷺ يقول : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » [٥] والجنود المجندة لا تكون إلا حادثة [٦] .

❋ ❋ ❋

---

(١) ابن القيم : الروح (مرجع السابق) ص ١٩٥

د . محمد غلاب : مذكرات فى الفلسفة الاسلامية ، طبع ١٩٣٨ م ، ص ١٥٩

(٢) ابن قتيبة : الاختلاف فى اللفظ . مطبعة القدس ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٦٩

(٣) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٣٦

(٤) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ ﴾ ، جـ ٤ ص ٧٣

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب الأرواح جنود مجندة ، جـ ٤ ص ١٠٤

(٦) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ١٩٤

● ليست الروح سر الحياة :

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بـ « الروح » سر الحياة الذى وهبه اللّٰه تعالى للإنسان [١] وذلك مرجوح لما يأتى :

١ - إن هذا المعنى لم يرد فى القرآن الكريم [٢] كما سبق .

٢ - إن سر الحياة أمر مشترك بين الإنسان والحيوان ، ولا يستحق بذلك سجود الملائكة ، وأن يجعله المؤمنون خصوصية لآدم عليه السلام ترشحه لمقام الشفاعة ، وكذلك لا يعود الإحساس بحسن الحسن ، وقبح القبيح الذى تطرب له النفس أو تشمئز منه إلى سر الحياة [٣] ، حيث إن هذا السر يملكه غيره من الحيوانات والطيور .

٣ - إن الملَك ينفخ الروح بعد نمو الجنين فى اليوم (١٢٠) منذ بدء عملية التلقيح بين الحيوان المنوى ، والبويضة ، وهو يتصف بالحياة من قبل ذلك [٤] .

عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : حدثنا رسول اللّٰه ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسِل اللّٰه تعالى الملَك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... » [٥] .

وبعد نفخ الروح وكتابة الأربع كلمات تتحقق إنسانية الجنين مع أنه يتصف بالحياة قبل ذلك ، وبهذا نُدرك أن الروح - مجازاً - أو النفس غير سر الحياة .

---

(١) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص١٦٧

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٢٩

(٣) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٣

(٤) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٤ - ٤٥

(٥) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ١ ، جـ ٤ ص ٢٠٣٦ .

ومن هنا وقع الإجماع على حُرمة إسقاط الجنين بعد النفخ (مضى ١٢٠ يوماً على الحمل) ، واختلفوا قبل ذلك [١] .

٤ - قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢] .

فالله تعالى يقبض الروح - مجازاً - أو النفس حال النوم ، ويردها عند اليقظة [٣] ، والنائم ليس ميتاً ، وإنما يتصف بالحياة ، وبهذا ندرك أن الروح ليس هو سر الحياة .

٥ - إن من الثابت طبياً للقيام بعملية زرع لجزء معين فى جسم إنسان أن يكون الجزء المراد زرعه حياً ، حتى يمكن للعملية النجاح .

وبهذا هل يكون هذا الجزء الحى ، يحمل معه جزءاً من روح ذلك الإنسان الذى أُخِذَ منه ، فينقص جزء من روحه ، هل يُضيف هذا الجزء جزءاً من روحه إلى الإنسان الذى زُرِع فيه ، هذا غير واقع ولا مُشاهَد [٤] .

وبهذا يتضح أن الروح - مجازاً - النفس - العنصر الخالد فى الإنسان الذى استأثر الله تعالى بعلمه ، ولا قدرة للعقل البشرى على إدراكه ، لأنه ليس مما تقع عليه حواسه ، ولكنه يَدرك أثره كالكهرباء والأثير ، فهما مما يؤمن بهما ، وإن لم تقع عليهما الحواس ، لأنه أدرك أثرهما [٥] .

---

(١) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٤

(٢) الزمر : ٤٢

(٣) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٤.

(٤) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٨

(٥) عبد الرحمن العيسوى : لماذا أنا مسلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط ٤ ، ص ٢.

عبد الكريم الخطيب : الدين . دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠١هـ (١٩٨١ م) ص ٣٨

والإيمان بالغيب ركن من أركان الإيمان .

قال تعالى : ﴿ أَلَمَ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ، هُدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢) .

« وإن الإيمان بالروح – مجازاً – أو النفس لم يفرض على العقل البشرى فى القرآن الكريم نقيضة من النقائض ، التى تشطره بين ضدين متدابرين ، ولم يفصم النفس البشرية بفاصم من الحيرة بين الخلقتين : خلقة الإنسان روحاً مجهول القوام ، وجسداً معروف المطالب والغايات ، محسوس اللّذات والآلام » (٣) .

و « إن القرآن الكريم بهذا الإلهام الصادق ينقذ العقل من نقائص التفكير ، ولا ينجيه من نقائض التكليف وحسب ، أو من نقائض الحيرة بين العالمين فى حقائق الدين ، ولا مزيد » (٤) .

والإنسان خليفة الله فى أرضه ، خلقه من مادة هذه الأرض ، حتى يستطيع التعامل معها ، ولكن لا بد أن يكون للخليفة شيء من صفاته تعالى ، ليقوم بمهام الخلافة كالعلم ، والإرادة ، والحكمة ، والعدل ... إلخ ، وإن هذه الصفات هى التى أعطت الإنسان طاقة المعرفة ، والابتكار ، والتعمير ، حتى يتمكن من القيام بما أُسند إليه (٥) .

فالروح الذى ينفخه المَلَك بأمره تعالى فى الإنسان – كما سبق – هو الذى

---

(١) البقرة : ١ – ٣ (٢) الملك : ١٢

(٣) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٢٣

(٤) المرجع السابق ص ٢٥

(٥) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق ص ٤٩ – ٥٠ .)

أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية تعريب أحمد إدريس . المختار الإسلامى ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ ، ص ٨٣

منحه هذه الصفات والقدرات التى أهّلته للخلافة ، وقررت أهدافه ، وغاياته ، ومناهجه وزرعت فيه المبادىء والقيَم [1] .

وبهذه الصفات التى حصل عليها الإنسان من اللّه تعالى تأهل لحمل أمانة التكليف .

قال تعالى : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنها وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ ، إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [2] .

فالإنسان « ظلوم لأنه يتعدى الحدود وهو لا يعرفها ، وجهول لأنه يتعدى تلك الحدود وهو لا يعلمها ، وعنده أمانة العقل التى تهديه إلى عملها ، وما من كائن غير الكائن العاقل يوصف بالظلم والجهل لأنه لا يعرف الحد الذى يتعداه ، ولا تُناط به معرفة الحدود ، وإنما يُوصَف بالظلم والجهل من يصح أن يُوصَف بالعدل والمعرفة [3] .

وهذه القدرات والامكانيات هى التى جعلت للإنسان قيمة كإنسان قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ » [4] .

❊ ❊ ❊

---

(١) البهى الخولى : أدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٣٣

(٢) الأحزاب : ٧٢

(٣) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣٤

(٤) الإسراء : ٧٠

الفصل الثالث

العلاقة بين الروح والجسد

إن العلاقة بين الروح والجسد تُعتبر معضلة العلم الحديث ، وذلك لأن الروح – مجازاً – أو النفس هى ذاتها صاحبة المعضلة ، لأنها مما لا يمكن للإنسان أن يدركه عن طريق الحواس ، التى هى سبيل معرفته .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ (١) .

ولا شك أن العلاقة بين الروح والجسد تنبنى على أساس مفهوم الروح ، وللإختلاف فى هذا المفهوم تم الاختلاف فى إيضاح العلاقة ، فهناك من يُنكر وجود الروح الباقية بعد الموت ، وأن الإنسان لا يزيد عن تفاعلاته الكيميائية والكهربائية داخل جسمه ، وعلى أساس هذا التفاعل يكون ما يتمتع به الإنسان من حالات نفسية ، وعمليات عقلية (٢) ، ومن هنا نجد أن من علماء الفسيولوچى من يُسمى الغُدَد الصمَّاء بُغَدد المصير (٣) ، وكأنها كل شىء فى الإنسان ، ومن هؤلاء من يقول بالتطور التلقائى المحض (٤) كما سبق .

---

(١) الإسراء : ٨٥

(٢) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد . دار النهضة العربية ببيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٢ .

د . جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط ٢ ، ص ٦٨

(٣) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣ .

(٤) لهنتر ميد : الفلسفة ، أنواعها ومشكلاتها (مرجع سابق) ص ١٠٥

عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٨

وهذا القول كقول بعض الفلاسفة - القدماء والمحدَثين - بأن الروح عَرَض من أعراض الجسم ، وأنها تفنى بفنائه [١] ، ويمكن أن يُقال بأن ذلك امتداد عصرى لهذه النظرة ، لأن هؤلاء لم يكن لديهم دراسة تشريحية للجسد ، ومعرفة بأسراره بقدر المعرفة المعاصرة ، بفضل تطور الوسائل العلمية الحديثة .

كما أن الكثير من العلماء - قديماً وحديثاً - يؤمنون بوجود الروح ، وأنه يرجع إليه ما يتمتع به الإنسان من حالات نفسية وعمليات عقلية ، وذلك لأن هذه الحالات والعمليات ليست من طبيعة المادة ، فالمادة لا تعى ولا يمكن أن يكون منها وعى ، ولا بد أن يكون هنالك عنصر آخر روحى تعود إليه هذه الحالات والعمليات كما يقرون بأنهم لم يصلوا إلى معرفته ، بل واستحالة ذلك لأنه ليس مما تقع عليه الحواس [٢] .

ومن هنا نجد للعلماء فى العصر الحاضر الكثير من الفرضيات ، فى محاولة لتفسير العلاقة بين الروح والجسد ، ولعل أهمها :

(أ) فرضية التفاعل العِلّى المتبادل :

فالنفس تؤثر فى الجسم ، كما أن الجسم يؤثر فى النفس ، تأثيراً عِلّياً مزدوجاً (فالحالات النفسية ، والعمليات العقلية ، تؤدى إلى إحداث تغيرات معينة فى الجسم ، كما أن بعض التغيرات الفسيولوچية فى الجسم تكون علة لأحداث حالاتنا النفسية ، وعملياتنا العقلية ، ومن أمثلة تأثير النفس فى الجسم أن الإحساس بالجوع يؤدى إلى تقلصات المعدة ، فالبحث عن الطعام ، وأن انفعال الخوف والغضب يصحبه مزيد من إفراز العَرَق ، وارتعاش عضلات وأطراف ، ونشاط مفاجىء فى خلايا المخ ، والتفكير قد يصحبه سرعة نبض القلب ،

---

(١) سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإنسانية فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٦١

(٢) فيشته : غاية الإنسان ، دراسة وترجمة د . فوقية حسين محمود ، الشركة العامة للتجهيز والتوزيع ، فاس ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م ، ص ١٨٤ ، ١٨٥

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٩

وإرادة فعلٍ ما يصبحه توتر عضلى معين ، واستعداد لتنفيذ ذلك الفعل ونحو ذلك ، ومن أمثلة تأثير الجسم على حالاتنا النفسية ، أن احتراق أُصبع قد ينشأ عنه إحساس بألم » [١] .

وإن نقطة الالتقاء بين الروح والجسد هى الغُدَّة الصنوبرية ، التى يتم عن طريقها التفاعل المتبادل ، بخلاف ابن سينا الذى جعل نقطة الالتقاء بين الروح والجسد فى القلب [٢] .

وإن علماء وظائف الأعضاء يُجمعون على أنه إذا كان هنالك فى المخ مكان يُفترض علاقته بحالاتنا النفسية ، وعملياتنا العقلية فهو اللِّحاء ، فهو أكثر أجزاء الجسم تعقيداً فى التركيب والوظائف ، وإن بعض الحوادث الفسيولوچية التى تصدر فى اللِّحاء مرتبطة بالحالات الشعورية ؛ ولكنهم يجهلون الظروف المحدَّدة التى تنشأ منها الحالات الشعورية ، ويعلنون أنه من المستحيل تصور الطريقة التى يعمل بها الجهاز العصبى ككل [٣] .

ومن هنا نجد مدى الصعوبة فى تفسير العلاقة بين الروح والجسد ، مما دفع ديكارت [٤] وهو إمام هذه الفرضية إلى أن يصفها بأنها مجرد محاولة ، وأن لا يطالب بتفسير مقنع لما يستحيل على العقل البشرى إدراكه [٥] .

---

(١) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥

(٢) إبراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية . ط ١ ، القاهرة ، ص ٢١٥ - ٢١٩

محمود قاسم : فى النفس والعقل . مكتبة الانجلو بالقاهرة ، ط ٤ ، ص ٩٢

د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٦

(٣) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٧

(٤) رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) فيلسوف ، وفيزيائى ورياضى فرنسى ، اكتشف الهندسة التحليلية ، ويعتبر فى رأى الكثير من الباحثين الغربيين أباً للفلسفة الحديثة ، وهو صاحب الكلمة المشهور : « أنا أشك ، فإذن أنا أفكر ، وأنا أفكر فإذن أنا موجود »

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٣ ص ١٨٠ .

(٥) محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٦

(ب) فرضية الأصل والفرع :

وهى تختلف عن الفرضية السابقة فى أن التأثير العِلّى من جانب واحد ، وهو الجسم على الحالات النفسية ، والعمليات العقلية فليس لهذه الحالات والعمليات أى تأثير على الجسم ، إذ ليس فى مقدورها أن تكون علة لأى علة فسيولوچية فى المخ [1] .

و « يتفق النقاد مع أنصار هذه الفرضية فى أن الحالات النفسية والعمليات العقلية فى الإنسان مختلفة فى طبيعتها ، وخصائصها ، عن حالات البدن ، وحوادثه الفسيولوچية ، ومن ثَمَّ يعلن النقاد بأننا لا نفهم كيف ينشأ عن الجسم شيء مختلف فى طبيعته عن الطبيعة المادية ، كما أننا لا نفهم أن تكون حالات الجسم علة لأحداث حالات النفس» [2] .

(جـ) فرضية الموازاة :

وهذه الفرضية ترى أن بين الحالات النفسية ، والعمليات العقلية من جهة ، والتغيرات الفسيولوچية من جهة أُخرى ارتباطاً ومصاحبة وتلازماً فى الحدوث ، لكن لا توجد بينهما علاقة عِلِّية ، وأن الله تعالى هو علة هذه الموازاة الدقيقة ، وأصحاب هذه الفرضية يأخذون بها كحل مؤقت ، إلى أن يُقدِّم علماء الطبيعة والنفس جديداً يُساعد على فهم العلاقة [3] .

(د) الفرضية الذاتية :

وهى تُسوِّى بين العقل والمخ ، وأن الإنسان جسم وعقل ، وأن كل ما نسميه

---

(١) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦٨

د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٨٩

(٢) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٩١

(٣) المرجع السابق ص ١٩١

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٠

رينيه ديكارت : تأملات ميتافيزيقية فى الفلسفة الأولى ، ترجمة د . كمال الحاج . منشورات عويدات ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٧٦

حالات نفسية وعقلية ليست إلا تغيرات تصدر عن المخ ، فالعقل هو المخ ، وليس شيئاً غريباً عن الجسم [1] .

و « يعتمدون فى فرضهم على معطيات علم وظائف الأعضاء ، ويأملون أن تأتى نتائج البحث الفسيولوچى فى المستقبل بتأكيد الفرض ، ويُعلنون أن هذه الفرضية برفضها النفس جوهراً لم يعد هناك مبرر للسؤال عن العلاقة بين النفس والجسم ... » [2] .

وإن علماء وظائف الأعضاء الذين يعتمد عليهم أصحاب الفرضية يعارضونهم فى موقفهم – كما سيأتى – أضف إلى ذلك أنك إذا قلتَ عن العقل والمخ أنهما شىء واحد لزم أن تحدث الحالات النفسية والفسيولوچية فى زمن واحد ، وفى مكان واحد ، لكن لا مكان للحالات النفسية ، ولا يمكن رصد زمن الحالات النفسية رصداً تجريبياً ، حيث لا يعيها إلا صاحبها [3] بالإضافة إلى أن الفرضية تنظر إلى الإنسان نظرة مادية بحتة .

(هـ) الفرضية السلوكية الفلسفية :

وهى ترى أن الإنسان جسم وعقل ، وأن العقل ما هو إلا مجموعة قدراتنا على السلوك فى البيئة الخارجية ، أو الاستعداد له متى كانت الظروف المناسبة، ولكن ما يمكن أن يلاحظه أى إنسان ، أن السلوك أقل بكثير مما يحس به عن طريق الاستبطان من حالات شعورية [4] .

وقد سبق وأن قلنا بأن مفعول الغُدَد ، والمواد الكيميائية أو العقاقير ، داخل جسم الإنسان لا ينكر أحد أثره ، وأنه قد يكون الإنسان العصبى المزاج ،

---

(١) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٩٦

(٢) الموجع السابق ص ١٩٦   (٣) المرجع السابق ص ١٩٦ - ١٩٧ بتصرف

(٤) المرجع السابق ص ١٩٧

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٠ - ٧٢

والمنفعل والمضطرب نفسياً اضطراباً حاداً هادئاً لين المزاج والطبع بإعطائه جرعة من دواء [١] .

فهل ذلك يعود إلى النفس أم إلى الجسم ، لاشك أن مفعول هذه العقاقير يقع على الجسم ، وبالتالى على حالاته النفسية ، وعملياته العقلية ، فشأن هرمونات الغَدَد الصمَّاء شأن العقاقير فى تأثيرها على الحالات النفسية والعمليات العقلية ، وكلها مادية حيث إن عناصرها من المادة [٢] .

كما أن للحالات النفسية والعقلية أثراً على الجسم ، فهناك ترابط بين بعض الأمراض النفسية والأمراض العضوية [٣] .

وإن تطور الوسائل العلمية التشخيصية الحسية المعاصِرة جعل العلماء يخرجون بالكثير عن وظائف الأعضاء من جهة ، كما جعلهم من الناحية العلاجية على معرفة بخصائص التركيب الكيميائى لجسم الإنسان ، وأثرها عليه من جهة أُخرى .

وبالتالى فإننى أعتقد أن فلاسفة ما قبل العصر الحاضر قد فاتهم الكثير من ذلك ، ومن هنا سلَّطوا الأضواء أكثر على النفس .

والإنسان إنما يدرك عن طريق الحواس ، ومن هنا كان الجسم هو موضع الإدراك ، وكان للعلم الحديث وتطوره أثر كبير فى تشخيصه ، ولكن مع ذلك فقد أدركت الحواس – أيضاً – وجود وظائف واعية مما لا يمكن أن يكون واعياً كما سبق [٤] .

---

(١) د . مصطفى يوسف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١

(٢) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ٥٥ – ٦٠.
د . فاخر عاقل : علم النفس ، دار العلم للملايين ، ط ٨ ، ١٩٨٢ م ، ص ٤١

(٣) د . عادل صادق : حكايات نفسية ، كتاب اليوم الطبى ، القاهرة – العدد ٢ ، جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ ، ص ١٢

(٤) انظر : رينيه ديكارت : تأملات ميتافيزيقية فى الفلسفة الأولى (مرجع سابق) ص ٨١ – ٨٢

فالنظرة الأفلاطونية التى تنظر إلى الروح على أنه جوهر مجرَّد عن المادة ، أزلى طاهر ، وأن الجسم سجن للروح ، مُعذِّب له ، وترى أنه يجب أن يكون هنالك عملية تطهير وإصفاء للروح [١] ، تدفع الإنسان إلى الاعتناء بالروح على حساب الجسم ، فيكون التعذيب له ، وعدم الاعتناء بحقوقه فى سبيل ما يُسمى بطلب الصفاء والنقاء فيكون هنالك التأثير السيء على الجسم ، والذى يؤدى إلى تأثيره على الإنسان نفسياً ، وعقلياً ، وجسمياً ، فهى تبخس الجسم حقه [٢] .

وإن النظرة المادية للإنسان ، ترى أنه لا يعدو أن يكون إلا جسماً مادياً ، وأن الحالات النفسية ، والعمليات العقلية ، ما هى إلا تفاعلات كيميائية وكهربائية داخل الجسم ، وأنه ينعدم بموته ، وليس هنالك روح باقية بعد الموت ، يرجع إليها ما يتصف به الإنسان من قيم وفضائل ومبادىء [٣] .

وهذه النظرة تُفقد الإنسان اتزانه بنظرته المادية للحياة ، فلا يرعى القيم والمبادىء والفضائل ، التى يتصف بها الإنسان حق رعايتها ، والتى يعود إليها الفضل فى إتزان وإثراء الحضارات الإنسانية ، وتجعل الإنسان يسعى إلى إشباع غرائزه الفطرية بطريقة مادية ، مما يكون له أثر فى تحويلها من منطق الاعتدال والصواب إلى منطق الشذوذ والسوء ، وبالتالى يكتسب الإنسان من الدوافع المكتسبة ما يكون له أثر كبير فى تعديل غرائزه الفطرية [٤] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولد على

---

(١) د . سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٦٩

(٢) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٢

محمد قطب : الإنسان بين المادية والاسلام ، ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ، ص ٨١

(٣) د . محمود زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ٦٠ - ٦٣

(٤) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٥

الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه ، أو يُمجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » [1] .

ولا شك أن كُلاً من النظريتين الأفلاطونية والمادية تدعو إلى اهتزاز قُدرات وإمكانيات واستعدادات الإنسان المتزن ، لأن هنالك تأثيراً متبادلاً بين الروح والجسد ، للإفراط أو التفريط فى جانب على حساب الجانب الآخر .

ولكن الإنسان فى الإسلام خلقه اللّه تعالى فى أحسن صورة ، بروحه وجسده [2] ، فهو حسن الخَلْق والخُلُق ، وكخليفة للّه فى أرضه فله شىء من صفاته تعالى للقيام بمهام الخلافة ، وليس الجسد لتعذيب الروح .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ [6] .

وعن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ، قد غُفِر له ما تَقدَّم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فإنى أُصلِّى اللّيل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول اللّه ﷺ ، فقال : « أنتم ،

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٥

(٣) سورة ص : ٧٢ (٤) التين : ٤

(٥) الإسراء : ٧٠ (٦) المؤمنون : ١٤

الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم ، وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (١) .

فإن الإنسان إنسان بروحه وجسده ، ومنهما تتكوّن الذات ، وإن للجسم مطالبه ، وللروح مطالبه ، وليست هذه المطالب منفصلة عن تلك المطالب ، وإنما يجب أن يكون إشباع هذه المطالب متوازنة فلا إفراط ولا تفريط ، وأنها متلازمة فى سمو الإنسان وتقهقرة نفسياً ، وعقلياً ، وجسمياً .

فالإنسان لم يُقصد فى خلقه أن يكون مَلكاً .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَىَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً * قُلْ لَوْ كَانَ فِى الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً ﴾ (٣) .

كما أنه لم يكن شيطاناً .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٥) .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الترغيب بالنكاح ، جـ ٦ ص ١١٦

(٢) الأنعام : ٥٠ . (٣) الإسراء : ٩٤ - ٩٥

(٤) النساء : ٨٣ (٥) فصلت : ٣٦

فاللّه تعالى خلق الإنسان ذا قدرات وإمكانيات واستعدادات محدودة كالعلم، والإرادة ... ولذا فهو فى حاجة إلى من يملك الصفات بلا حدود فهو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن سبحانه .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، الْحَىُّ الْقَيُّومُ ، لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِه إِلاَّ بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا ، وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الغَنِىُّ الحَمِيدُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، يُحْيِى وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (٤) .

وإن الإنسان خُلِق لعبادة اللّه ، وفى ذلك نلمس أن اللّه تعالى أراد أن يكون الإنسان فى حاجة إليه ، فكان التشريع وحاجة الإنسان إليه ، لما يتصف به من صفات هى من طبيعته (٥) .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٧) .

---

(١) البقرة : ٢٥٥ — (٢) الحج : ٦٤

(٣) الحديد : ٢ – ٣ — (٤) سورة الإخلاص .

(٥) السيد سابق : عناصر القوة فى الإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٨

(٦) النساء : ٢٨ — (٧) إبراهيم : ٣٤

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ ﴾ [2] .

ولا يمكن للإنسان أن يخلص من صفات الضعف إلا بالتشريع الذى يكمل القصور ، لا التقصير ، والذى دونه يهتز الاتزان النفسى ، والعقلى ، والجسمى ، وبهذا التشريع - موضوع الابتلاء والامتحان - يتحقق للإنسان التسامى ، والصعود إلى الصفاء ، والنقاء .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُواْ الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُواْ إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ، فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ [4] .

فالإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، ويمثل هذه الازدواجية حالاته النفسية ، وعملياته العقلية ، التى لا يمكن أن يكون لها اتزان إلا بالإيمان ، الذى يكون به استثمار هذه العمليات والحالات ، فيما يكون منها من تعقل ، وما يؤشر إليه القلب بالاطمئنان ، وإن مثل هذا الاتزان لا يحس به إلا المؤمن ، الذى راقب الله فى السرَّاء قبل الضرَّاء[5] .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [6] .

---

(١) الأحزاب : ٧٢ (٢) فاطر : ١٥

(٣) النساء : ١٢٥ (٤) الزمر : ١٧ - ١٨

(٥) محمد قطب : دراسات فى النفس الإنسانية ، دار الشروق ببيروت ، ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) ص ٤٢

سيد قطب : خصائص التطور الإسلامى ومقوماته ، دار الشروق ، ط ٦ ، ١٣٩٩هـ ، (١٩٧٩م) ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ (٦) الرعد : ٢٨

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُواْ إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَات يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ، تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَعِيمِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (٣) .

عن وابصة بن معبد الأسدى : أن رسول اللّه ﷺ قال لوابصة : « جئتَ تسأل عن البر والإثم » ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فجمع أصابعه ، فضرب بها صدره ، وقال : « استفت نفسك ، استفتِ قلبك ، يا وابصة - ثلاثاً - البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » (٤) .

* * *

(١) الفتح : ٤ (٢) يونس : ٩ (٣) التغابن : ١١

(٤) رواه الدارمى فى كتاب البيوع ، باب : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، دار إحياء السنة النبوية ببيروت ، جـ ٢ ص ٢٤٥

الباب الثالث

خصائص التكوين

- خصائص الحياة النفسية .
- خصائص الحياة القلبية .
- خصائص الحياة العقلية .

تمهيد

لقد سبق الحديث عن عنصرى التكوين - المادة والروح - والعلاقة بينهما ، وأهميتهما فى بناء الذات الإنسانية ، التى لها خصائصها ، للقيام بوظيفتها السامية كخليفة للّه فى أرضه .

وإن استعراض الآيات القرآنية لاستقراء هذه الخصائص نجد أنها تتركز على ثلاث نقاط أساسية وهى :

(أ) النفس .

(ب) القلب .

(جـ) العقل .

ولتفصيل ذلك عقدتُ لها الفصول القادمة .

* * *

الفصل الأول

خصائص الحياة النفسية

لقد ورد لفظ « النفس » فى القرآن الكريم (٢٩٦ مرة) ففى صورة المفرد (١٤٠ مرة) ، وفى صورة الجمع (١٥٥ مرة) [١] ، وتدل على المعانى التالية :

(أ) للدلالة على الذات الإلهية [٢] :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ ،

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٧١٠ - ٧١٤

(٢) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٥٠١

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم . تهامة بجدة ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، ص ٢٨

(٣) آل عمران : ٣٠   (٤) المائدة : ١١٦

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ، أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ ، وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً ، فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (٢) .

(ب) للدلالة على الذات الإنسانية :

وتنقسم الآيات الدالة على ذلك إلى قسمين :

١ - ما يدل على الذات بجميع قواها المادية والمعنوية - أى الروح والجسد (٣) ، ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ، لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦) .

---

(١) الأنعام : ٥٤ — (٢) طه : ٤٠ - ٤١

(٣) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٢

مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣

سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ ، ص٤١

(٤) البقرة : ٤٨ — (٥) البقرة : ٢٣٣ — (٦) آل عمران : ١٤٥

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ، إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِى الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٥) .

٢ - ما يدل على الذات من النشاط الحيوى ، أو القوة الداخلية للإنسان والمؤثرة عليه فى تفكيره ، وسلوكه (٦) ، ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَىْءٍ ، قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، يُخْفُونَ

---

(١) النساء : ٢٩ (٢) المائدة : ٣٢ (٣) المائدة : ٤٥

(٤) الكهف : ٧٤ (٥) الزخرف : ٧١

(٦) إبراهيم محمد سرسيق : النفس الانسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢٩
مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣
د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

فى أنفُسهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمْرِ شَىْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وليَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فى قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أنْفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إلاَّ إلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ ، إنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهَذَا الحَدِيثِ أسَفاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّيءُ نَفْسى ، إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى ، إنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإذْ تَقُولُ لِلَّذى أنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأنْعَمْتَ عَلَيْه أمْسكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أحَقُّ أنْ تَخْشَاهُ ... ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ أفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه فَرَآهُ حَسَناً ، فَإنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ، إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٦).

وقال تعالى : ﴿ يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ، إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ بَلِ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (٨) .

---

(١) آل عمران : ١٥٤ — (٢) التوبة : ١١٨ — (٣) الكهف : ٦

(٤) يوسف : ٥٣ — (٥) الأحزاب : ٣٧ — (٦) فاطر : ٨

(٧) الحشر : ١٨ — (٨) القيامة : ١٤

(جـ) ما يدل على العنصر غير المادى فى تكوين الإنسان [1] .

ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [4] .

وتدل هذه الآيات على أن الانفصال بين النفس والجسد يقع فى النوم ، والموت ، ولكن يظل هناك نوع من العلاقة بينهما موجودة فى حال النوم والموت ، الله أعلم به [5] .

عن حذيفة قال : كان النبى ﷺ إذا أراد أن ينام قال : « باسمك اللّهم أموتُ وأحيا » ، وإذا استيقظ من منامه قال : « الحمد للّه الذى أحيانا بعد ما أماتنا ، وإليه النشور » [6] .

---

(١) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٥٠١ .
مجمع اللُغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣ ، ٦٧٤
الحسين بن محمد الدامغانى : قامـوس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريـم (مرجع سابق) ص ٤٦٢

(٢) الأنعام : ٩٣ (٣) الزمر : ٤٢ (٤) الفجر : ٢٧ - ٣٠.

(٥) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢٦ ، ص ٢٨٤

(٦) رواه البخارى فى كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا نام ، جـ ٧ ص ١٤٧

فالنصوص الشرعية دلَّت دلالة واضحه على قبض الروح فى النوم ، وردها فى اليقظه ، والنائم ليس ميتاً - كما سبق - ، وكونه حياً لا يخفى على أحد ، ومن هنا سُمِّى النوم وفاة صغرى ، والموت وفاة كبرى (١)

وبذلك ندرك بالضرورة وجود علاقة بين الروح والجسد مع كونها متوفاة فى حال النوم حقيقة ، إلا أنها ليست كالوفاة الكبرى .

وكذلك فإن للروح تعلقاً فى الجسد فى حال الموت .

عن أبى طلحة أن نبى اللّه ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقُذِفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبِّث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصَة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث ، أمر براحلته ، فشدَّ عليها رحلها ، ثم مشى ، وتبعه أصحابه ، وقالوا : ما ترى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفة الركى ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « يافلان ابن فلان ، ويافلان ابن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم اللّه ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، قال : فقال عمر : يارسول اللّه ؛ ماتكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول اللّه ﷺ : « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » (٢) .

عن ابن عباس رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ أنه مر بقبرين يُعذّبان ، فقال : « إنهما ليُعذّبان ، وما يُعذّبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » ، ثم أخذ جريدة رطبة ، فشقها نصفين ، ثم غرز فى كل قبر واحدة ، فقالوا : يا رسول اللّه ؛ لِمَ صنعت هذا ؟ ، فقال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » (٣) .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٥٧.٤ ، ٥٧.٥

(٢) رواه البخارى فى كتاب المغازى ، باب : قتل أبى جهل جـ ٥ ص ٨

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : وضع الجريد على القبر جـ ٢ ص ٩٨ - ٩٩

ووجه الدلالة من الحديثين هو أن مخاطبة الرسول ﷺ لقتلى مشركى بدر فى قبورهم وكأنهم أحياء أمامه ، ثم إثباته السمع لهم ، أو اطلاعه على حال صاحبى القبرين ، يدلان على تعلق الروح بالجسد فى حال الموت ، حتى ولو بَلَى وتحلّل الجسد ، والله أعلم بسره [1] .

ولقد عرَّف ابن القيم النفس بأنها « جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جنس نورانى علوى خفيف حى متحرك ، ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد ، وسريان الدهن فى الزيتون ، والنار فى الفحم ، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللّطيف ، بقى ذلك الجسم اللّطيف مشابكاً لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية ، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها ، وخرجت عن قبول تلك الآثار ، فارق الروح البدن ، وانفصل إلى عالَم الأرواح .

وهذا القول هو الصواب فى المسألة ، وهو الذى لا يصح غيره ، وكل الأقوال سواه باطلة ، وعليه دل الكتاب والسُنّة وإجماع الصحابة وأدلة العقل ، والفطرة » [2] .

« ومقصودنا بكونها جسماً إثبات الصفات والأفعال والأحكام التى دل عليها الشرع والعقل والحس ، من الحركة ، والانتقال ، والصعود والنزول ، ومباشرة النعم والعذاب ، واللّذة والألم ، وكونها تُحبس وتُرسل وتُقبض ، وتدخل وتخرج ، فلذلك أطلقنا عليها جسماً تحقيقاً لهذه المعانى » [3] .

---

(١) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣١٥ - ٣١٧
محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ١٠٠ - ١٠٢
محمد الغزالى : عقيدة المسلم . دار الكتب الحديثة . القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٤٢ - ٢٦٤

(٣) المرجع السابق : ص ٢٦٩

ولقد ساق ابن القيم (١١٦ دليلاً) عن جسميتها منها [١] :

١ - قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [٢] .

ففى الآية ثلاثة أدلة : الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها .

٢ - قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمْ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [٣] .

وفيها أربعة أدلة :

أحدها : بسط الملائكة أيديهم لتناولها .

الثانى : وصفها بالإخراج والخروج .

الثالث : الإخبار عن عذابها فى ذلك اليوم .

الرابع : الإخبار عن مجيئها إلى ربها .

٣ - قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ، ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾ [٤] .

وفيها ثلاثة أدلة :

أحدها : الإخبار بتوفى الأنفس بالليل .

الثانى : بعثها إلى أجسادها بالنهار .

الثالث : توفي الملائكة له عند الموت .

---

(١) ابن القيم : الروح (المرجع السابق) ص ٢٤٢ - ٢٦٤

(٢) الزمر : ٤٢ (٣) الأنعام : ٩٣ - ٩٤ (٤) الأنعام : ٦٠ - ٦١

٤ - قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [١] .

وفيها ثلاثة أدلة :

أحدها : وصفها بالرجوع .

الثاني : وصفها بالدخول .

الثالث : وصفها بالرضا [٢] .

ولذلك فإنه يجب أن نصفها بأنها جسم - لا جوهراً مجرداً - ، وإن كان الجسم يقبل القسمة إلى أجزاء ، فإن الأجزاء لا تخرج عن كونها أجساماً [٣] ، وليس فى الوجود ما لا يقبل القسمة بوجه من الوجوه ، فالفيزياء النووية أثبتت إنشطار الذرّة ونواتها [٤] ، ولم يُقم الفلاسفة دليلاً أن فى الوجود ما لا يقبل القسمة الحسية ولا الوهمية ، وإنما هى دعاوى لا حقيقة لها [٥] .

فينبغى أن نتجنب وصف النفس بأنها جوهر مجرّد ، كما يقول به الفلاسفة كأفلاطون وفلوطين وأتباعهما لما يأتى :

١ - للاختلاف فيما بينهم فى تحديد المراد بوصفهم لها بأنها جوهر على أقوال مختلفة منها :

(أ) الجوهر هو الموضوع الحقيقى للحمل ، وإذا عبّرنا عنه بلغة الحدود المنطقية ، قلنا إنه الحد الذى يكون موضوعاً دائماً فى قضية حملية ، ولا يمكن أن يكون محمولاً ...

---

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠.

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٤٢ - ٢٤٣

(٣) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٩٤

(٤) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) حاشية ص ٢٧.

(٥) المرجع السابق ص ٢٧.

فديكارت مثلاً جعل اللّه جوهراً ، والنفوس الإنسانية دون أجسام جواهر ، والمادة ككل فى الكون جوهراً ، وسبينوزا [١] جعل اللّه أو الطبيعة جوهراً ... [٢] .

(ب) « الجوهر هو الماهية ، أو الخاصية الأساسية التى تعطى للشىء الجزئى وجوده ، وحقيقته » [٣] .

(جـ) « الجوهر هو ما لا يحتاج فى وجوده إلى أى شىء آخر ، أو ما له وجوده المستقل إستقلالاً مطلقاً عن أى شىء آخر » .

(د) « الجوهر هو ما يبقى هو هو ، بينما يقبل الصفات المتضادة ، أو الشىء الذى يظل ثابتاً لا يتغير » [٣] .

٢ - إن لفظ الجوهر ليس من لغة العرب ، وإنما لفظ مُعَّرب [٤] .

٣ - إن الخلاف هو خلاف فى المعنى ، وليس بالألفاظ ، - كما سبق - وأن قضية الإيمان أولى من قضية حقيقة النفس البشرية ، فالمسلم يأخذ ما ورد فى الشرع ، ولا يزيد عليه إلا بما يمكن إثباته ، وتحقيقه ، وليس بالتخيل والظنون والهواجس .

كما أن الجنة والنار وَصِفَتا فى القرآن والسُنّة الصحيحة ، ولكن مع ذلك نؤمن بأن الشاهد غير الغائب .

---

(١) سبينوزا ، ماباروخ (١٦٣٢ - ١٦٧٧ م) فيلسوف مادى هولندى ، طردته الجالية اليهودية بأمستردام من مجمع اليهود ، ومؤلفاته الرئيسية هى « البحث اللاهوتى السياسى » و« علم الأخلاق »،وهو يرى أن الجوهر واحد على حين يرى أن الأحوال متعددة إلى ما لا نهاية .

روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٢٤٢

(٢) محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ٦٦ بتصرف .

(٣) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ٧٧ - ٧٨

(٤) ابن تيمية : الفتاوى (مرجع سابق) جـ ٩ ص ٢٩٨

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقرأوا إن شئتم : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) » (٢) .

وإن الوصف سواء للجنة أو للنار ، أو للنفس ، أو للملائكة ، أو للجن ، إنما هو وصف لما لم تقع عليه حواس الإنسان ، بحيث يمكن له إدراكه ، وإنما يُوصف له بما يناسب إدراكاته الحالية ، فالوصف للتقريب لأن الإنسان لا يمكن له أن يتخيل بعيداً عن مدركاته الحسية (٣) ، وليس فى ذلك ما ينافى العقل ، بل العقل يؤيده بما يشاهده من آثار لما لا يمكن له وصفه كالكهرباء والأثير (٤) .

و « لا يخلو فيلسوف من كلام فى النفس الإنسانية ، لأنها أقرب الأشياء إلينا ، وهى إلى ذلك القرب شديدة الغموض ، وكلما خُيِّل إلى المفكرين أنهم ازدادوا بها علماً ، وبلغوا حقيقة أمرها ، وكشفوا سرها ، وعرفوا جوهرها ؛ إذا بهم يجدون ذلك العلم سراباً ، والجوهر مظهراً خلأباً ، ولا نزال إلى اليوم حيث كان سقراط وأفلاطون وأرسطو بل أشد عن الحقيقة بُعداً ، ولذلك ضرب العلم الحديث صفحاً عن طلبها ، واكتفى بتحليل الظواهر النفسية ، وترك للفلاسفة ميدان الجوهر يسلكون إليه السبيل ، عسى أن يصلوا يوماً ما إلى معرفة حقيقة النفس » (٥) .

---

(١) السجدة : ١٧

(٢) رواه الدارمى فى كتاب الرقاق ، باب : ما أعد الله لعباده الصالحين ، جـ ٢ ص ٣٣٥

(٣) جان برنيس : المخيلة ، ترجمة د . خليل الجبر ، المطبعة البوليسية ، ١٩٧٧ ، ص ١٠ .

(٤) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ٣٩

عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٢٣

(٥) ابن سينا : أحوال النفس ، حققها وقدم لها الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) ، ص ٥ مقدمة المحقق .

انظر : وليام أرنست هوكنج : معنى الخلود فى الخبرات الإنسانية ، ترجمة مترى أمين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ط ١ (١٩٨٢ م) ، ص ١٥٧ - ١٦٣

وإن العلماء فى العصر الحاضر حينما يقرون بصعوبة البحث فى حقيقة النفس ، وأن عليهم البحث فى الظواهر النفسية ، فإن القرآن الكريم قد أوضح الكثير منها ، وأرشد الإنسان إلى أسلوب تقويمها وترشيدها .

وإن هذا العنصر - النفس - هو الذى يرجع إليه ما يتصف به الإنسان من صفات محدودة من صفات اللّه تعالى الكاملة كالإرادة والعلم للقيام بمهام الخلافة [١] ، وإن هناك تأثيراً متبادلاً بين النفس والجسد فى تكوين الحالات النفسية والعمليات العقلية لدى الإنسان [٢] ، وإن أهم شىء فيه هو القوة الداخلية ، والنشاط الحيوى الذى له تأثير على تفكيره ، وسلوكه [٣] .

ومن هنا جاء وصف النفس بمعنى القوة الداخلية ، والنشاط الحيوى « بالمطمئنة والرضا (الفجر : ٢٧) ، ومنها يكون التضرع والخيفة (الأعراف : ٢.٥) والإستيقان (النمل : ١٤٦) والإيثار (الحشر : ٩) والخداع (البقرة : ٩) والحسد (البقرة : ١.٩) ، والمقت (غافر : ١.) والوسوسة (ق : ١٦) .... والخيانة والفجور والتقوى (النساء : ١.٧) و (الشمس : ٧) » [٤] .

وإن النفس تشمل الإرادة ، كما تشمل الغريزة ، وتعمل واعية ، كما تعمل غير واعية ، وتحس بالنعمة ، كما تحس بالنقمة ، وتميل إلى التقوى ، كما تميل إلى الفجور [٥] .

---

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٤٩ - ٥. .
أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٢١
(٢) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١
د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٣١
د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤١
(٣) ابراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢٩
د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢
مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧٣
(٤) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٤
(٥) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٢٨

قال تعالى : ﴿ وَنفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

ويتعلق بها الإيمان والكفر والهدى والضلال ... وتتحمل التكليف ... وتتلقى الجزاء ثواباً أو عقاباً (٢) .

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ الْقُرْآنَ ، فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ، وَمَنَ ضَلَّ فَقُل إِنَّمَا أَنَاْ مِنَ الْمُنْذِرِين ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَّى رَبِّى ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (٨) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا

---

(١) الشمس : ٧ - ١٠ .

(٢) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥ بتصرف .

(٣) الأنعام : ١٠٤ (٤) يونس : ١٠٨ (٥) الاسراء : ١٥

(٦) النمل : ٩٢ (٧) سبأ : ٥٠ (٨) الأعراف : ٩

مُبْعَـدُونَ * لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[1] .

* * *

● وحدة النفس :

إن كل إنسان يُدرك بجلاء ذاتيته ووحدته ، منذ أن وعى بنفسه إلى مماته ، وأنه هو هو لم يتغير ، رغم تعدد الخبرات النفسية والعمليات العقلية ، وما يعرفه من أن الخلايا متغيرة عدا الخلايا العصبية التى تكون ثابتة [2] .

فسبحان اللّه كيف ثبتت الخلايا العصبية مع أن جميع الخلايا تكاثرت من خلية واحدة أثناء التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة ؟ [3] ، والعلماء يقفون حيارى أمام هذه المشاهدة ، وعجزهم عن تفسيرها [4] .

قال تعالى : ﴿ وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ [5] .

ومعنى ذلك أن جسم الإنسان فى تغير مستمر عدا الخلايا العصبية ، فليست الخلايا العظمية والعضلية التى رأيتها فى طفولتك هى التى تراها فى شبابك أو فى شيخوختك .

فأين تكمن وحدة النفس عند الإنسان :

(أ) هل هى فى ثبات الخلايا العصبية ؟

(ب) أم فى ثبات النفس التى نفخها الملك فى الإنسان أثناء تكوينه جنيناً فى بطن أمه إلى خروجها بالقبض ؟

(جـ) أم منهما ؟

---

(١) الأنبياء : ١٠١ - ١٠٣

(٢) د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٠

(٣) عبد الغنى عبود : الإنسان فى الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ٢٠

(٤) عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٠٤

(٥) الذاريات : ٢٠ - ٢١

إن هناك عدة فرضيات لتفسير وحدة النفس ، ولعل أهمها بإيجاز [١] :

١ - إن جوهرية النفس التى حلّت فى الجسد هى موضوع وحدة الخبرات النفسية والعمليات العقلية ، وذلك لأنها ثابتة لا تتغير مع تبدل أعراضها [٢] .

٢ - إن الذاكرة التى تربط بين الماضى والحاضر هى الأساس فى الإحساس باتصال الخبرات النفسية ، والعمليات العقلية ، بل إن هيوم [٣] يرى أن وحدة النفس وهم ، لعدم وجود روابط حقيقية بين مختلف الحالات النفسية ، والعمليات العقلية [٤] .

٣ - إن جسم الإنسان واستمرار وجوده واتصاله هو أساس الثقة بوحدة الشخص ، سواء أكان بجسمه أو بسلوكه أو بمخه ، وخاصة اللحا موضع الحالات النفسية ، والعمليات العقلية [٥] .

٤ - إن الوعى بالذات عن طريق الاستبطان فى مختلف الأوقات ، والذاكرة

---

(١) د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد (مرجع سابق) ص ١٠٧ - ١٢٨

(٢) محمود قاسم : فى النفس والعقل (مرجع سابق) ص ٢٣

چنيفياف روديس : ديكارت والعقلانية ، ترجمة عبده الحلو ، منشورات عويدات . بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م ، ص ٨٨ - ٨٩

(٣) هيوم ، دافيد (١٧١١ - ١٧٧٦ م) فيلسوف ومؤرخ سياسى إنجليزى .

ومما قاله : « إن الأخبار مصدر المعرفة كلها ، وإن وجود الله وطبيعته وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها ، وإن نزعة الشك المطلق فى المعارف الإنسانية ، وإن الموضوع الوحيد للمعرفة هو الرياضيات » ، ومن مؤلفاته : بحث فى الفهم البشرى عام ١٧٤٨ م

انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٣١ - ١٣٢

م . روزنتال : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٥٧٠ - ٥٧١

(٤) انظر : بول شوشار : فيزيولوچية الوجدان (مرجع سابق) ص ٥٩

(٥) المرجع السابق : ص ٤٢ - ٥١

انظر : د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٣٧ - ١٤٠

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٣٠٣

التى تربط بين الماضى والحاضر ، والاستمرار عبر الزمن فى علاقته مع الجسم ، هى الأساس فى وحدة النفس [1] .

إنه باستعراض هذه الفرضيات التى ركّز البعض منها على النفس كجوهر ، وركّز البعض الآخر منها على الجسد ، فى تفسير وحدة النفس ، نلمس أن هناك وجاهة فى جانب من هذه النظرة ووجاهة من جانب آخر فى النظرة الأُخرى مع أدلة الشرع .

ولذلك نلمح أن وحدة النفس تكمن فى النفس والجسد معاً ، فالإنسان مخلوق واحد من مادتين ، وهو مُكلَّف بهذا الاعتبار ، ويُبعث يوم القيامة بروحه وجسده ، كما أن الجزاء للروح والجسد ، حتى فى البرزخ للروح تعلُّق بالجسد ، وإن بُلِّىَ وتحلَّل الجسد فإنه لا يفنى ، ولكن يتحوَّل [2] .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [5] .

---

(١) انظر : د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٦٨

انظر : جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٥٥٧ - ٥٦٥

(٢) د . عثمان حسن المفتى ، خالد على كماضى : خواص المادة ، دار الشروق بجدة ، ص ٢٦

(٣) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٤) السجدة : ٧ - ٩ (٥) فصلت : ١٩ - ٢١

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

أما الدليل على علاقة الروح بالجسد فى البرزخ فما رُوِىَ عن ابن عباس رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ أنه مر بقبرين يُعذّبان ، فقال : « إنهما ليُعذّبان ، وما يُعذّبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ، ثم غرز فى كل قبر واحدة ، فقالوا : يا رسول اللّه ؛ لِمَ صنعت هذا ؟ فقال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » (٢) .

قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحُهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (٣) .

فهل جسد الإنسان يُسَبِّحُ لوحده دون أن يكون له علاقة فى الوحدة النفسية ؟ أم انه يدخل فى الوحدة النفسية للإنسان ؟ «من النفس والجسد تتكوّن هذه الوحدة ، التى تمثل الإنسان الذى عُرِضت عليه الأمانة فتحمّلها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (٤) .

فإذا كان استحقاق الجزاء للإنسان يكون لجانبيه المادى والروحى ثواباً أو عقاباً ، فالوحدة النفسية تكمن فى النفس والجسد ، وأن الإنسان مخلوق واحد يتكوّن من طبيعة مزدوجة بين مادتين (٥) .

* * *

---

(١) النور : ٢٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : وضع الجريد على القبر ، جـ ٢ ص ٩٨ - ٩٩

(٣) الإسراء : ٤٤ (٤) الأحزاب : ٧٢

(٥) محمد قطب : ... فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ٤٣

● أحوال النفس :

إن التأمل فى النفس الإنسانية له أهمية كبيرة فى معرفة الخالق المبدع ، ذى القدرة المعجزة ، وما يجب له من توحيد الألوهية ، والربوبية والأسماء والصفات ، والذى بناءً عليه تتحقق منفعة سلوكية أخلاقية ثابتة ومستمرة ، مستمدة من شريعته تعالى ، لصالح الفرد والمجتمع .

قال تعالى : ﴿ وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِى أَنْفُسِكُمْ ، أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

وذلك بخلاف نظرة الفلاسفة الذين يرون أن معرفة النفس لها قيمة سلوكية أخلاقية ، مُستمَدة من سلوكيات وأخلاقيات المجتمع (الواقع الخارجى) ، فهى غير ثابتة وغير مستمرة ، وإن كان هناك فضائل مشتركة إلا أنها معيارية، تختلف باختلاف ظروف وأحوال الأفراد والمجتمعات (٣) .

ولذلك فلا بد أن يكون للقيم والفضائل السلوكية قاعدة صلبة ، ليكون لها الثبات والديمومة ، بحيث يكون العمل نابعاً من إيمان ، له صفة الثبوت والدوام .

فالإنسان لديه دوافع فطرية ، ودوافع مكتسبة ، كما أن لديه القدرة على التحدث الداخلى عن طريق الاستبطان بطريقة لا يمكن أن يدركها الآخرون (٤) ، فقد يجد نفسه مدفوعاً إلى تنفيذ أمرٍ ما ، فيجب أن تكون لديه رقابة داخلية تمنعه من الوقوع فى السوء ، كما تدفعه إلى عمل الخير ، قبل اطلاع الرقابة الخارجية .

فالإيمان بالله ، والخشية منه ، واحترام شريعته ، يختلف اختلافاً جوهرياً عن

---

(١) الذاريات : ٢٠ - ٢١ (٢) فصلت : ٥٣

(٣) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٥٣ - ١٥٥
د . سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإنسانية فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٩٨

(٤) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٦٨
د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث . دار الشروق ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٣

حب واحترام قوانين الرقابة الخارجية ، أو الخوف منها ، فاللّه مُطّلع على أسرار الإنسان من قبل أن يقع منه الفعل ، حينما كانت مجرد أفكار تدور فى باطنه [1] .

قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ فَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [4].

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [5] .

كما أن الإنسان (صاحب الاستبطان) يُدرك ما يدور فى نفسه ، والمؤمن الذى تلك صفاته ترهف مشاعره ، وترق أحاسيسه ، لمراقبة هذه الأفكار عن طريق الرقابة الذاتية (النفس اللوَّامة) ، التى تعتبر منبهاً داخلياً قوياً لمواضيع الخطأ أو الصواب فيُبعد نفسه عن عمل السوء ، وينزع إلى عمل الخير ، وذلك بالعزم على فعل الخير ، وترك الشر ، فيجاهد نفسه ليُرضى ربه ، وهذه غايته [6] .

وهذا بخلاف الفلاسفة أو علماء النفس الذين يجعلون الرقابة الداخلية

---

(١) د . محمد عبد اللّه دراز : دستور الأخلاق فى القرآن ، ترجمة وتحقيق وتعليق د . عبد الصبور شاهين . دار البحوث العلمية بالكويت ومؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ١ ، ١٣٩٣هـ ، ص ٤٥١

(٢) التغابن : ٤ — (٣) يس : ٧٦

(٤) الملك : ١٣ — (٥) المجادلة : ٧

(٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢٩ ص ٣٧٦٨

(الضمير) للإنسان ، إنما هى مجرد التكيف عن طريق الكبت مع الواقع الخارجى [1] .

فالإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، له مطالبه وشهواته البدنية ، كما له مطالبه وأشواقه الروحانية ، فلا بد أن يكون هناك اتزان فى تلبية هذه المطالب والحاجات ، دون انحياز أو انسياق إلى أحد الجانبين ، ليفوز فى حل الصراع بينهما [2] .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِى زِينَتِه ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ، وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾ [5] .

واللّه تعالى منح الإنسان ما به يكون سيد نفسه ، ومالك زمام أمره بما منحه من عقل وإرادة موضع الابتلاء والامتحان ، ليتحمل المسئولية على عمله ، وهو ما تتجه إليه إرادته واختياره [6] .

---

(١) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى ، ترجمة د . محمد فتحى السنيطى ، دار النهضة العربية ببيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٠ م . ص ٣٥ - ٤٠ .

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس فى الحياة المعاصرة - دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣م ، ص ٣١١

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس . دار الشروق ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٩

(٣) الشمس : ٧ - ١٠ .

(٤) النازعات : ٣٧ - ٤١

(٥) القصص : ٧٩ - ٨٠ .

(٦) د . عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية - دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٣م ، ص ١٣٦ - ١٣٨

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فى كَبَد * أيَحْسَبُ أنْ لَنْ يَقْدرَ عَلَيْه أحَدٌ * يَقُولُ أهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً * أيَحْسَبُ أنْ لَمْ يرَهُ أحَدٌ * ألَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إمَّا شَاكِراً وَإمَّا كَفُوراً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذى خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلاً ، وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الحَقُّ منْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ، إنَّا أعْتَدْنَا لِلظَّالمينَ نَاراً أحَاطَ بهمْ سُرَادقُهَا ، وَإنْ يَسْتَغيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالحاً فَلنَفْسِه وَمَنْ أسَاءَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٥) .

وإن القرآن الكريم قد قسَّم أحوال النفس حسب الصفة الغالبة ، والتى لكل منها سلطانها عليه ، على النحو التالى :

(أ) النفس الأمَّارة بالسوء :

إن للإنسان دوافعه ، وحاجاته الأولية كحب البقاء ، والتملك ، والغريزة الجنسية ... التى لا يمكن أن يستغنى عنها ، وتُشكِّل قوة داخلية ضاغطة على الإنسان ، مطالبة بإشباعها دون كلل أو ملل (٦) ، وعن طريق بعض هذه الدوافع الأولية أوقع إبليس - لعنه اللّه - آدم عليه السلام فى المعصية (٧) .

---

(١) البلد : ٤ - ١٠ . (٢) الإنسان ٣ (٣) الملك : ٢

(٤) الكهف : ٢٩ (٥) فصلت : ٤٦

(٦) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٤٢

د . محمد التومى : نحو سيكولوجية إسلامية ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، ١٩٧٩ م، ص ٢٥ - ٣٠ .

(٧) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٨ ص ١٢٦٩

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى * فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [2] .

وإن الغريزة الجنسية هى التى دفعت قابيل إلى قتل أخيه هابيل [3] .

قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [4] .

وكذلك ما جاء فى القرآن الكريم عن امرأة العزيز .

قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِه ، قُلْنَ حَاشَ لِلَّه مَا عَلِمْنَا عَلَيْه مِنْ سُوءٍ ، قَالَت امْرَأَتُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِه ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى كَيْدَ الخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِى ، إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى ، إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [5] .

فالواجب على الإنسان أن لا ينساق وراء الدوافع الأولية كالحيوان لإشباعها عن طريق الأهواء والشهوات والملّذات البدنية المذمومة ، لأن الإنسان ليس كالحيوان فى مهمته ، وإنما هو خليفة للّه فى أرضه ، وقد منحه صفات من صفاته تعالى كالإرادة والعلم [6] .

---

(١) الأعراف : ٢٠.　　　　(٢) طه : ١٢٠ - ١٢١

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢١٣.

(٤) المائدة : ٢٧ - ٣٠.　　　　(٥) يوسف : ٥١ - ٥٣

(٦) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٣

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

فيجب أن يكون لدى الإنسان إرادة للتحكم فى إشباع هذه الدوافع ، لترشيدها وتقويمها ، فلا يجعلها سائبة ترعى فى الإهمال ليصبح وحشاً عدوانياً، لا يرعى المصالح جهلاً وظلماً ، فتحتجب الذات فى الظلمات التى تجعلها لا ترى النور (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾(٥).

وقال تعالى : ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٦) .

وإن كل إنسان لديه هذه الدوافع الأوّلية ، ولذا فكل إنسان لديه هذه النفس الأمّارة بالسوء ، والإنسان مُطالَب بالتحكم والترشيد والتقويم لها . بالاستفادة

---

(١) البقرة : ٣٠.

(٢) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٠٣

(٣) الشمس : ٧ - ١٠.

(٤) التين : ٤ - ٦

(٥) البقرة : ١٦ - ١٧

(٦) الأنعام : ١٢٢

مما منحه الله من عقل وإرادة ، مناط المسئولية فى تحقيق الابتلاء والامتحان [١] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [٢] .

وإن لم يستثمر الإنسان ما منحه الله من عقل وإرادة ، وانهمك فى إشباع شهواته وملذّاته البدنية المذمومة ليجعلها هى المسيطرة عليه ، فإنه يكون شيطاناً من شياطين الإنس ، ومنزلته دون منزلة الحيوان [٣] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِى الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [٦] .

---

(١) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٧ ص ١١٨ - ١١٩
عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣٣ - ٣٤
(٢) الأحزاب : ٧٢
(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٤ - ٥ ، جـ ١٢ ص ٨٦
(٤) البقرة : ١٦٨ - ١٧٠.
(٥) المائدة : ٩٠ - ٩١
(٦) الفرقان : ٤٣ - ٤٤

فالإنسان لم يُطلب منه أن يكون مَلَكاً ، كما لم يُطلب منه أن يكون شيطاناً ، وإنما طُلِبَ منه أن يحافظ على إنسانيته عن طريق التحكم والترشيد والتقويم فى عملية إشباع هذه الدوافع ، والذى به يحفظ إتزان شخصيته ، فلا تعميه مطالبه وشهواته البدنية عن مطالبه وحاجاته الروحية ، فى رعاية القيم ، والمبادىء ، والفضائل ، من غير إفراط أو تفريط كما سبق .

وإن أكثر الناس قد سيطرت عليهم هذه النفس الأمَّارة بالسوء حتى أعمتهم عن الهداية والصلاح .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى ﴾ (١) .

فـ « الـ » فى كلمة « النفس » للاستغراق المفيد لعموم الجنس أى كل نفس ، كما أن الاستثناء يدل على قلة المستثنَى عن المستثنى منه ، وكذلك فإن مجىء الوصف « أمَّارة » على وزن « فعَّالة » أحد صيغ المبالَغة يدل على كثرة وقوع الفعل (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ ﴾ (٣) .

فإن « الـ » فى كلمة « الإنسان » للاستغراق المفيد لعموم الجنس أى كل إنسان ، وإن الاستثناء يدل على قلة المستثنَى عن المستثنى منه (٤) .

فالنفس « أمَّارة بالسوء لأنها خُلِقَت فى الأصل جاهلة ظالمة إلا من رحمها اللّه ، والعدل والعلم طارىء عليها بإلهام ربها وفاطرها ، فإذا لم يُلهمها رشدها

---

(١) يوسف : ٥٣

(٢) إبراهيم محمد سوسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٥٢
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٣٥

(٣) سورة العصر .

(٤) ابراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٥٢
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٤٩١

بقيت على ظلمها وجهلها ، فلم تكن أمَّارة إلا بموجب الجهل والظلم ، فلولا فضل اللّه ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة .

وإذا أراد اللّه سبحانه بها خيراً جعل فيها ما تزكو به وتصلح : من الإرادات والتصورات ، وإذا لم يُرد بها ذلك تركها على حالها التى خُلقت عليها من الجهل والظلم .

وسبب الظلم : إما جهل ، وإما حاجة ، وهى فى الأصل جاهلة ، والحاجة لازمة لها ، فلذلك كان أمرها بالسوء لازماً لها إن لم تُدركها رحمة اللّه وفضله .

وبهذا يُعلم أن ضرورة العبد إلى ربه فوق كل ضرورة ، ولا تشبهها ضرورة تُقاس بها ، فإنه لو أمسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك » [1] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] .

إن الذين فهموا رسالتهم والغاية من خلقهم قلة [3] .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [6] .

---

(١) ابن القيم : إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق محمد سعيد كيلانى ، شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاد بمصر ، ١٣٨١هـ (١٩٦١ م) جـ ١ ص ٩٣

(٢) النور : ٢١

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٨ ص ١١٩٥

(٤) الأنعام : ١١٦ (٥) الأعراف : ١٠٢ (٦) يوسف : ١٠٣

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ (١) .

فطريق تزكية النفس الإيمان الصادق بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقَدر خيره وشره ، إيماناً مقروناً بالعمل الصالح ، حسب ما تُمليه الشريعة السماوية ، ومحاسبة ومراقبة النفس الأمَّارة بالسوء بما يوافق هذا الإيمان ، باستغلال واستثمار خصائص النفس اللوَّامة ، والذى بناء عليه يكون للإنسان قواعد سلوكية أخلاقية ثابتة ، ومستمرة تحفظ له إنسانيته وتوازنه (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ ، إِنَّ البَّاطِلَ كَانَ زَهُوقاً * وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٤) .

ومما جاء فى القرآن الكريم فى سبيل ترشيد الإنسان لصيانة جوارحه ، التى تمثل نوافذه على العالَم الخارجى ، من الانزلاق فى حبائل النفس الأمارة بالسوء (٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ (٦) .

---

(١) الإسراء : ٨٩

(٢) عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٥٣ - ١٥٥

(٣) الإسراء : ٨١ - ٨٢ (٤) طه : ١٢٣ - ١٢٤

(٥) ابن القيم : إغاثة اللَّهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٩٦

(٦) الإسراء : ٣٦

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهِ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ﴾(٢) .

كما يجب على الإنسان أن يحذر من احتيال هذه الدوافع الأوَّلية على العقل ، أو النفس اللوَّامة ، عن طريق التهاون فى اتخاذ القرار ، أو مبررات مغلوطة تُثيرها النفس كخواطر أو وسوَسة من الشيطان ، أو عن طريق ما لا يأباه العقل فى ظاهر الأمر من المتشابهات ، حتى يجد نفسه وقد انزلق فيما يأباه العقل والضمير (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِى الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (٧) .

وعن النعمان بن بشير قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ

---

(١) النور : ٣٠ . (٢) الأحزاب : ٧٠ .

(٣) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٧٩ - ١٨٠ .

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٢٢ - ٢٢٤

(٤) الرعد : ٣٧ (٥) البقرة : ١١ - ١٢

(٦) طه : ١٢٠ . (٧) الأنعام : ١٢١

لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل مَلِكٌ حِمَى ، ألا إن حِمَى اللّه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب »[١] .

(ب) النفس اللوَّامة :

إن النفس اللوَّامة تُعتبر رقابة داخلية تُحاسِب الإنسان عما يصدر عنه ، سواء على مستوى الأفعال ، أو النيَّات ، على شكل شُحنة انفعالية داخلية ضاغطة للإقلاع عن القصور أو التقصير فى العمل الصالح [٢] .

فـ « ليس من نفس برَّة أو فاجرة ، إلا وهى تلوم نفسها ، إن كانت عملت خيراً قالت : هلا ازددتُ ، وإن كانت عملت سوءاً قالت : ليتنى قصَّرتُ ليتنى لم أفعل » [٣] .

قال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [٤] .

ولقد جاء لفظ « اللوَّامة » على وزن « فعَّالة » ، وهى إحدى صيغ المبالغة ، التى تدل على كثرة وقوع الفعل ، وشدة التعنيف والمؤاخذة منها لصاحبها [٥] .

كما أن اقترانها بـ « يوم القيامة » يدل على أهمية الإيمان بالبعث فى تنمية النفس اللوَّامة ، وتنشيطها فى تنبيه الإنسان ومؤاخذته وتعنيفه على مواطن

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه ، جـ ١ ص ١٩

(٢) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم . دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ص ٩٨ - ٩٩

د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم . المكتب الجامعى الحديث ١٤٠٢ هـ - (١٩٨٢ م) ، ص ٦٨

د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٨١

(٣) الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : معانى القرآن ، عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م جـ ٣ ص ٢٠٨

(٤) القيامة : ١ - ٢

(٥) ابن القيم : إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٩٤

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦١

القصور أو التقصير لديه ، قبل حساب الآخرة الذى فيه تظهر ثمرتها بصورة جلية [١] .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَملَتْ منْ خَيْرٍ مُحْضَراً ، وَمَا عَملَتْ منْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [٣] .

فالنفس الأمَّارة بالسوء تدفع الإنسان إلى إشباع دوافعه الأولية ، وقد يُصاحِب ذلك ضعف إرادة فى التحكم والترشيد والتقويم فى عملية إشباعها ، والنفس اللَّوامة تمثل نقطة مراقبة داخلية ضاغطة وقوية ، لما تُحدثه فى الذات ، من اضطراب فى الكيان ، وتعكر فى الصفو ، وشعور بالذنب ، يُشعرها بمواطن الضعف ، للمحافظة على اتزان الشخص عن طريق المطالبة بتصحيح الوضع [٤] .

وذلك ما حدث لآدم عليه السلام حينما وقع فى المعصية .

قال تعالى : ﴿ وَعصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [٥] .

« فغوى » أى فسد عيشه ، وتعكر مزاجه ، واضطرب كيانه ، بسبب المعصية ، والذى منه تقريع النفس اللوَّامة بالند م والحسرة على ما وقع منه [٦] .

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣٠ ص ٢١٦

إبراهيم محمد سرسيق : النفس البشرية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

(٢) آل عمران : ٣٠ (٣) المؤمنون : ٦٠ - ٦١

(٤) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٧ - ٢٠٨

د . حسن محمد الشرقاوى : نحو علم نفس إسلامى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ص ٢٢٥

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣٠ ص ٢١٦

(٥) طه : ١٢١

(٦) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٤٢٩٧

وقال تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ، قَالَ يَا وَيْلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [2] .

وإن طريق خلاص النفس من تعكر الصفو ، واضطراب الكيان ، للتردى الذى وقعت فيه هو الإقلاع عن القصور أو التقصير ، والترقى من درجة الظالم لنفسه إلى درجة المقتصد ، الذى أدّى ما يجب عليه ثم إلى درجة السابق بالخيرات ، الذى يدفع بنفسه إلى القيام بأكثر مما يجب عليه من الفضائل ليظفر برضا ربه [3] ، الذى أفهم النفس طريق التقوى ، وطريق الفجور [4] .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [6] .

« وإن ذلك يكون بالندم ، والتوبة الصادقة ، والعزم على أن لا يعود إلى القصور أو التقصير فيما يجب ، فتحيا وتنشط النفس اللوّامة للقيام بواجبها نحو مراقبة ومحاسبة الإنسان لترقيته وتزكيته إلى الأفضل فى سلم الدرجات العليا »[7] .

---

(١) المائدة : ٣٠ - ٣١ (٢) التوبة : ١١٨

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢٦ ص ٢٤ - ٢٥
سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢٢ ص ٢٩٤٤

(٤) البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٨٠٠ .

(٥) الشمس : ٧ - ١٠ (٦) فاطر : ٣٢

(٧) ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٩٨
عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٠٣ - ١٠٥

قال تعالى : ﴿ وَالَّذينَ إذَا فَعَلُواْ فَاحشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لذُنُوبهمْ وَمَنْ يَغْفرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحيماً ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ إنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّه للَّذينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بجَهَالَة ثُمَّ يَتُوبُونَ منْ قَريبٍ فَأُوْلَئكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وكَانَ اللَّهُ عَليماً حَكيماً ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَقم الصَّلاَةَ طَرَفَي النَّهَارِ وَزُلَفاً منَ اللَّيْلِ ، إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلكَ ذكْرَى للذَّاكِرِينَ * وَاصْبرْ فَإنَّ اللَّهَ لاَ يُضيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ ﴾ [٤] .

فيجب على الإنسان أن يتعهد هذه النفس بالاستجابة لما تدعو اليه من الخير ، لكبح جماح الشهوات والملّذات الحيوانية المذمومة مصدر الضعف فى الإرادة ، والذى به يفقد الاتزان ، وليجد السكينة بعد القلق ، والطمأنينة بعد الانزعاج ، والجد والعمل الصالح بعد التقاعس والعمل السيء [٥] .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾ [٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَابْتَغ فيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخرَةَ ، ولاَ تَنْسَ نَصيبَكَ منَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إلَيْكَ ، وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ ، إنَّ اللَّهَ لاَ يُحبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ [٧] .

---

(١) آل عمران : ١٣٥ (٢) النساء : ١١٠ .

(٣) النساء : ١٧ (٤) هود : ١١٤ - ١١٥

(٥) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ، ص ٩٧ - ٩٩
د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٨

(٦) النازعات : ٤٠ - ٤١ (٧) القصص : ٧٧

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقِ اللّهَ حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالِق الناسَ بِخُلُقٍ حسن » [١] .

أما إذا لم يستجب لنداء النفس اللوّامة ، فإن هذه القوة الداخلية - التى تمثل برج مراقبة قوى - تتبلد شيئاً فشيئاً حتى تنعمى ، فتغوص الذات فى بحور الظلام ، التى لا تجد لها شواطىء أمان .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٤] .

وبناءً على ذلك فإن قوة النفس اللوّامة وضعفها فى محاسبة الإنسان ، ومراقبته ، والاستجابة لها ، تختلف حسب قوة الإيمان وضعفه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ

---

(١) رواه الدارمى فى كتاب الرقائق ، باب : فى حسن الخلق ، جـ ٢ ص ٣٢٣

(٢) البقرة : ٧٤ (٣) الكهف : ٢٨

(٤) الجاثية : ٢٣ (٥) الأعراف : ٢٠١

الصَّلاَةَ وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً ، لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [١] .

وإن شريعة اللّه تعالى التى ليس للأهواء والشهوات دخل فى تحديدها ، هى التى يمكن أن تطمئن إليها القلوب ، كما أن المؤمن هو الذى يستفيد من النفس اللوّامة فى نطاق الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ [٢] .

أما غير المؤمن فلا يستفيد من النفس اللوّامة إلا فى الحياة الدنيا .

وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : قيل : يارسول الله ؛ من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فيوسف نبى اللّه ، ابن نبى اللّه ، ابن نبى اللّه ، ابن خليل اللّه » قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » [٣] .

وإن الإنسان يخرج عن طريق النفس اللوّامة من دور الإنسان الصالح إلى دور الإنسان المصلح داخل المجتمع [٤] ، والذى فيه تلتقى السلطة الداخلية للأفراد مع السلطة الخارجية ، فالمجتمع الإسلامى هو الذى تلتقى فيه السلطتان عن قناعة تامة ، وإيمان صادق بشريعة اللّه ، ذات المبادىء والقيم والفضائل الثابتة

---

(١) الأنفال : ٢ - ٤ (٢) النساء : ١١٤ - ١١٦

(٣) رواه مسلم فى كتاب الفضائل ، حديث ١٦٨ ، جـ ٤ ص ١٨٤٦

(٤) إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٩

انظر : فرنسوا شاتلييه : أيديولوچيا الإنسان ، ترجمة د . خليل أحمد خليل . المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ، ص ٢٨ - ٣٧

والمستمرة ، والذى فيه تتضافر الجهود فى بناء مجتمع يسوده العدل والأمن والاستقرار والفضيلة والتكامل .

قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَر وَتُؤْمِنُونَ باللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ كُونُوا قَوَّامينَ بالْقسْط شُهَدَاءَ للَّه وَلَوْ عَلَى أَنْفُسكُمْ أَوِ الوَالدَيْنِ وَالأَقْرَبينَ إِنْ يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ، فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَنْ تَعْدلُواْ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامينَ للَّهِ شُهَدَاءَ بالْقَسْط وَلاَ يَجْرمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدلُواْ ، اعْدلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَة منْ رَبِّى وَرَزَقَنى منْهُ رِزْقَاً حَسَناً ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٤) .

فالمؤمن مجاهد لنفسه من داخل ذاته ، ولمجتمعه للقضاء على انحراف الأفراد بزجرهم اجتماعياً ، مما يضطرهم إلى تعديل سلوكهم المنحرف ، حتى لا تتوسع دائرة الانحراف فى المجتمع ، ولو كان ذلك اعترافاً بجريمة ارتكبها ، ويستحق عليها العقاب ، ليقضى على التوتر والقلق من تقريع وتوبيخ النفس اللوَّامة من جهة ، وليفوز برضا ربه وقبول توبته من جهة أخرى ، فيعود إليه الأمن النفسى ، الذى به يحفظ اتزانه كشخص سَوِىٍ داخل المجتمع (٥) .

---

(١) آل عمران : ١١٠ .　　(٢) النساء : ١٣٥

(٣) المائدة : ٨　　(٤) هود : ٨٨

(٥) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص . ٢١ - ٢١٢

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٩

ولذلك فإن الجزاء يجب أن يتصف بالسرعة ، لتحقيق سرعة القضاء على التوتر والقلق النفسى ، وتحقيق العبرة والموعظة لزجر الانحراف [1] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ وهو فى المسجد ، فناداه فقال : يارسول الله ؛ إنى زنيتُ ، فأعرضَ عنه ، فتنحى تِلقاء وجهه ، فقال له : يارسول الله ؛ إنى زنيتُ ، فأعرضَ عنه حتى ثنَّى ذلكَ عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، دعاه رسول الله ﷺ فقال : « أبكَ جنون » ؟ قال : لا ، قال : « فهل أحصنتَ » ؟ قال : نعم ، فقال رسول اللّهَ ﷺ : اذهبوا به فارجموه ... » [2] .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبى ﷺ فجاءته امرأة من بنى غامد ، فقالت : يانبى الله ؛ إنى قد زنيتُ ، وإنى أُريدُ أن تُطَهِرنى ، فقال لها : « ارجعى » ، فلما كان من الغد أتته أيضاً فاعترفت عنده بالزنا ، فقالت : يانبى الله طَهرنى ، فلعلك أن ترددنى كما رددت ماعز ابن مالك ، فوالله إنى لحُبلى ، فقالَ لها النبى ﷺ : « ارجعى حتى تلدى » فلما ولدت جاءت بالصبى تحمله فى خرقة فقالت : يانبى الله ؛ هذا قد ولدتُ . فقال : « اذهبى فأرضِعيه . ثم افطميه » ، فلما فطمته جاءته بالصبى فى يده كسرة خبز ، فقالت : يانَبى الله ؛ قد فطمته . فأمر النبى ﷺ بالصبى فدُفِع إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحُفر لها حفرة ، فجُعلت فيها إلى صدرها ، ثم أمر الناس أن يرجموها ، فأقبل خالَد بن الوليد بحجرَ فرمى رأسها فتلطَّخ الدم على وجنة خالد بن الوليد فسبَّها ، فسمع النبى ﷺ سبُّه إياها فقال : « مه ياخالد !! لا تسبها ، فوالذى نفسى بيده ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِر له » ، « فأمر بها فصلَّى عليها ، ودُفِنت » [3] .

« وإذا تأملتَ حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك ، ينظرون فى حقهم على

---

(١) د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٦٨

(٢) رواه مسلم فى كتاب الحدود ، حديث ١٦ ، جـ ٣ ص ١٣١٨

(٣) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : الحامل إذا اعترفت بالزنا جـ ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

اللّٰه ، ولا ينظرون فى حق اللّٰه عليهم ، ومن ههنا انقطعوا عن اللّٰه ، وحُجِبت قلوبهم عن معرفته ، ومحبته ، والشوق إلى لقائه ، والتنعم بذكره ، وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه ..

فمحاسبة النفس هى نظر العبد فى حق اللّٰه عليه أولاً ، ثم نظره : هل قام به كما ينبغى ثانياً ، وأفضل الفكر الفكر فى ذلك ، فإنه يُسيِّر القلب إلى اللّٰه ، ويطرحه بين يديه ذليلاً خاضعاً منكسراً كسراً فيه جبره .. ومفتقراً فقراً فيه غناه .. وذليلاً ذُلاً فيه عزته ، ولو عمل من الأعمال ما عساه أن يعمل ، فإن ما فاته من البر أفضل من الذى أتى » [1] .

(جـ) النفس المطمئنة :

إن النفس المطمئنة هى التى يصل فيها الإنسان إلى درجة من الكمال والنضج فى تحقيق توازن الذات ، بعد الانزعاج والاضطراب والقلق الصادر من النفس الأمَّارة بالسوء [2] من جهة ، والنفس اللوَّامة من جهة أُخرى ، فتجد السكينة والصفاء ، والراحة النفسية فى التحكم والتقويم والترشيد فى إشباع الحاجات والمطالب البدنية والروحية عن طريق تقويم السلوك .

ولا يمكن أن يبلغ الإنسان هذه الدرجة إلا بتعهد النفس اللوَّامة ، وتزكيتها عن طريق الاستجابة لها فى كل عمل خير [3] ، حتى يستطيع أن يتحكم فى عملية إشباع دوافعه ويقضى على نقاط الضعف فى الإرادة ، فيقوى هذا المُنبِّه الداخلى حتى لا يجد صعوبة فى الاستجابة له ، ثقه باللّٰه وبوعده له بالثواب [4].

---

(١) ابن القيم : إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٠٥

(٢) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٤٢

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٨

(٣) عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٩٧ – ٩٩

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٣٩٠٧

د . عـزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٧٠

قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِى فِى عِبَادِى * وادْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [1] .

فهى نفس آمنة لا يستفزها خوف ولا حزن ، ففى قراءة أُبّى بن كعب : « يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة » [2] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [3] .

ففى الآية قصر « الأمن » على المؤمن عن طريق تقديم الجار والمجرور « لهم » على كلمة « الأمن » [4] .

ولذلك فإن النفس المطمئنة يرجع اطمئنانها إلى توفر عدة صفات أساسية وهى :

١ - الإيمان بالله تعالى والولاء له :

فبالإيمان والعمل الصالح يُرضى ربه ، ويتحكم فى دوافعه ، بتوجيه إشباعها وفق شريعته ، التى يطمئن إليها فى تحقيق توازن شخصيته فى الوفاء بمتطلباته ، وحاجاته البدنية والروحية ، ليصل إلى درجة الكمال والنضج ، التى تجعله يرضى عن نفسه ، ولذلك جاء وصف « النفس المطمئنة » بـ « راضية مرضية » [5] .

وقال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

---

(١) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

(٢) الفخر الرازى : تفسير الفخر الرازى (مرجع سابق) جـ ١٦ ص ١٧٧

(٣) الأنعام : ٨٢

(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ١٣ ص ٦٤

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٧٩

(٥) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٥٩

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٨

مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيمًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، واتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنَ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (٣) .

٢ - **الإيمان بالبعث** ، وهو يتضمن ثقة واطمئنان المؤمن بوعد اللّه تعالى له بالثواب (٤) ، وأن هذه الحياة ماهى إلا دار ابتلاء وامتحان (٥) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ، أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٨) .

---

(١) النساء : ١١٤ (٢) النساء : ١٢٥ (٣) النحل : ٢
(٤) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٥٩
(٥) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣٠ ص ٥٥
(٦) الفجر ٢٧ - ٣٠ (٧) العنكبوت : ٩ - ١١ (٨) هود : ٧

٣ - **المداومة على مراقبة الله تعالى فى كل عمل يقوم به** ، وإن كان خليفة لله فى أرضه فهو أيضاً عبداً لله تعالى ، فيلزمه أن يكون معه فى السرّاء والضرّاء ، حتى يضمن البُعد عما يُوقعه فى الزلل والغلط [١] .

وإن تنمية ذلك يكون عن طريق القرآن والبرهان ، اللّذين يشدانه إلى عظمة المولى سبحانه [٢] .

فمن القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [٣] .

وأما البرهان فمن وجهين :

الأول : إن القوة العاقلة إذا أخذت تترقى فى سلسلة الأسباب والمسببات ، فكلما وصل إلى سبب يكون هو ممكناً بذاته طلب العقل له سبباً آخر ، فلم يقف عنده بل لا يزال ينتقل من كل شىء إلى ما هو أعلى منه ، حتى ينتهى فى ذلك الترقى إلى واجب الوجود لذاته مقطع الحاجات ومنتهى الضرورات ، فلما وقفت الحاجة دونه وقف العقل عنده واطمأن إليه ، ولم ينتقل عنه إلى غيره ، فكلما كانت القوة العاقلة ناظرة إلى شىء من الممكنات ملتفتة إليه استحال أن تنتقل عنه ، فثبت أن الاطمئنان لا يحصل إلا بذكر واجب الوجود .

الثانى : إن حاجات العبد غير متناهية ، وكل ما سوى الله تعالى فهو متناهى البقاء والقوة إلا بإمداد الله ، وغير المتناهى لا يصير مجبوراً بالمتناهى ، فلا بد من مقابلة حاجة العبد التى لا نهاية لها من كمال الله الذى لا نهاية له حتى يحصل الاستقرار فثبت أن كل من آثر معرفة الله لا لشىء غير الله فهو

---

(١) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) ص . ٢٢ - ٢٢٣

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٣١ ص ١٧٧
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٨١

(٣) الرعد : ٢٨

غير مطمئن وليست نفسه نفساً مطمئنة ، أما من آثر معرفة الله لشيء سواه فنفسه هي النفس المطمئنة ، وكل من كان كذلك كان أنسه بالله ، وشوقه إلى الله ، وبقاؤه بالله ، وكلامه مع الله ، فلا جَرَمَ أن يُخاطَب عند مفارقته الدنيا بقوله : ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ (١) وهذا الكلام لا ينتفع الإنسان به إلا إذا كان كاملاً في القوة الفكرية الإلهية ، أو في التجريد والتفريد (٢) .

وإذا كان النظر في مخلوقات الله تعالى يفيد طمأنينة في الجملة ، فليس إفادتهما للطمأنينة كإفادة ذكر الله تعالى وهذا وجه ما يفيده قصر الاطمئنان على الذكر (٣) ، في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٤) .

وإن هذا التأمل والتفكير من المؤمن يجعله يترقى إلى أعلى الدرجات .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل ، فقال : ما الإيمان ؟ قال : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث » ، قال : ما الإسلام ؟ قال : « الإسلام أن تعبد الله ولا تُشرك به ، وتُقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » ، قال : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... »(٥).

فالمؤمن متيقن أن ذلك حق ، ويحس بقرب الله تعالى إليه ، وأنه نصيره ، ومن ههنا كان له الثبات والاستقرار .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ﴾ (٦) .

---

(١) الفجر : ٢٨

(٢) الفخر الرازي : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب(مرجع سابق) جـ ٣١ ص ١٧٧ - ١٧٨

(٣) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٨١ (٤) الرعد : ٢٨

(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة جـ ١ ص ١٨ (٦) سورة ق : ١٦

وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُواْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ، قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [2] .

أما من رضى بالحياة الدنيا واطمأن إليها ، وترك دوافعه الأولّية ترعى فى الإهمال ، فإنه يقبل على إشباعها حسب أهوائه ، وشهواته وملذّاته ، لا يحكمه إلا قوانين وضعية ، للأهواء والشهوات دور فى تصميمها من جهة ، كما أن الواقع الخارجى - بما فيه من أنظمة - له دور فى تشكيل سلوكيات وأخلاقيات الأفراد [3] .

ومن ههنا فإن اطمئنان الإنسان إلى حياته الدنيا مزيف عن طريق مَنْ سيطرت عليهم أهواؤهم وشهواتهم ، من سادة المجتمع الذين استطاعوا إشباعها دون رقابة من المجتمع فضلّوا ، وهم قلة ، ولكن لهم دور فى توجيه المجتمع ، وبالتالى فقد أضلّوا الكثير ، ويوم القيامة يظهر ذلك جلياً للجميع [4] .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ

---

(١) الحج : ٧٨ (٢) البقرة : ٢٦٠ .

(٣) د . فؤاد البهى السيد : علم النفس الاجتماعى . دار الفكر العربى ط ٢ ، ١٩٨١ م ، ص ١٥٥

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٧٦

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢٢ ص ٢٩٠٨ - ٢٩١٠ .

الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ ، بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّه وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً ، وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ العَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُواْ ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (١) .

ولذلك فإن هذا الاطمئنان المزيف للحياة الدنيا او للأنظمة الوضعية لا يمكن أن يصل إلى درجة اطمئنان المؤمن على مستوى أفراد المجتمع ككل ، ولا يمكن أن يصل إلى درجة اطمئنان المؤمن بشريعة الله تعالى فى تحقيق العدل ، والأمن ، والاستقرار والتكامل ... وهى أهم المتطلبات لأى مجتمع ، ويشهد على ذلك الكثير من الأمم التى دخلت الإسلام - حينما كان مجتمعه تُديره دولة إسلامية - تأثراً بسمو مبادئه ، وقيمه وفضائله (٢) .

كما أن ما يشاهده الإنسان فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة فى شهر رمضان المبارك فى بروز شىء ما من القيم والمبادىء ، والفضائل ، ما يدل على عظمة الإسلام فى تقويم وترشيد السلوك الإنسانى ، مع أن ذلك ليس إلاَّ نُزراً يسيراً من قيمة هذا الدين ، لأن درجة الإيمان بالله تعالى وابتغاء مرضاته قد غفلت عنه أفراد المجتمعات الإسلامية ضعفاً وجهلاً .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولد على الفِطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » (٤) .

---

(١) سبأ : ٣١ - ٣٤

(٢) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٠ - ٧٣

(٣) الروم : ٣٠ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين جـ ٢ ص ١٠٤

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [1] .

وإن هذا التقسيم للنفس لا يعنى أن هنالك منطقة مختصة لهذه أو تلك ، وإن تعدّدت وظائفها ، وإن كان لبعضها سلطان على بعض الوظائف الأُخرى ، ولكن النفس ذات وحدة متمازجة من العمليات العقلية والحالات النفسية ، التى لا يمكن تقسيمها إلى مناطق نفوذ [2] .

ويقترب من نظرة القرآن الكريم للنفس نظرة الفلاسفة – كما يراه أفلاطون – فى تقسيم النفس إلى « النفس العاقلة ، والنفس الغضبية ، والنفس الشهوانية ، ولكل من هذه الأنفس حدّان متطرفان أحدهما إيجابى ، والآخر سلبى ، فالنفس العاقلة توصف بالعلم أو الجهل ، والنفس الغضبية توصف بالشدة أو اللّين ، وتُوصَف النفس الشهوانية بالعفة أو الإفراط ، فالنفس العاقلة تستشرف المعرفة ، والنفس الغضبية تتمثل فى لوم الإنسان نفسه عندما يسلس انقياده لشهواته » [3] .

أما علماء النفس – كما يراه فرويد [4] – فيرون أن النفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهى بإيجاز [5] :

---

(١) يونس : ٧ – ٨

(٢) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٤ .

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤١ – ٤٤

(٣) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٦١

(٤) فرويد ، سيجموند (١٨٥٦ – ١٩٣٩ م) طبيب أمراض عصبية نساوى . من أشهر علماء النفس وأبعدهم أثراً على الفكر الغربى ، أسس طريقة التحليل النفسى ، ومن أشهر مؤلفاته « دراسات فى الهستريا » عام ١٨٩٥ و « تأويل الأحلام » عام ١٨٩٩ م

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٧٣ .

(٥) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٢٥ – – ٤.

سيجموند فرويد : الذات والغرائز ، ترجمة د . محمد عثمان نجاتى . مكتبة النهضة ، ط ٣ ، ١٩٦١م ، ص ٤ – ٩

١ - الهو (الذات الدُنيا) :

وهى تمثل الجانب البيولوچى - الحيوى - الموروث ، فهى وثيقة الصلة بالعمليات البدنية ، وتحتوى على الغرائز الشهوانية ، التى تطلب على الدوام إشباعها ، وفق مبدأ اللّذة ، بما تُثيرة من توتر .

وهى تشبه النفس الأمّارة بالسوء .

٢ - الأنا العُليا (الذات العُليا) :

وهى تمثل الجانب الاجتماعى الداخلى الذى تغذت به النفس كقيم وعادات وتقاليد ، لتمثل الأخلاق الشخصية للإنسان ، فهى تتصرف وفقها لتقويم وترشيد السلوك ، وتُسمى الضمير ، فهى تعمل على كبت « الهو » عند الإنسان لتطبيعه اجتماعياً . وهى تشبه إلى حد ما النفس اللّوامة .

ويرى فرويد أن « الأنا العُليا » هى سبب العقد النفسية ، نتيجة لكبت الدوافع الفطرية ، وهو لا يرى أن الغريزة الدينية غريزة فطرية وإنما يعتبر كل ذلك مكتسباً (١) .

٣ - الأنا (الذات الوسطى) :

وهى الجانب الواقعى ، الذى يجب أن تكون عليه الشخصية ، لتحقيق التوسط بين المطالب الغريزية الشهوانية والواقع الخارجى ، بإشباع الغرائز الشهوانية التى يسمح الواقع فى إشباعها ، وكبت أو تأجيل ما لا يسمح به ، وفق مبدأ الواقع ، فهى تمنع الانسياق فى جانب الغرائز الشهوانية ، أو المغالاة فى تطرف « الأنا العُليا » ، لتحقيق التوازن والصحة النفسية ،

ولا يمكن أن يتحقق التوازن فى الشخصية على أساس قيم ومبادئ مكتسبة من الواقع الخارجى ، تتصف بالتغير والتبدل ، وإن التوازن الحقيقى لا يمكن

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٠٩

تحقيقه إلا بشريعة اللّه تعالى ، التى تتناسب مع متطلبات الإنسان البدنية والروحية ، وتتصف بالثبات والاستمرارية [١] .

قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٢] .

* * *

● الدوافع :

إن الإنسان يتكوّن من طبيعة مزدوجة بين عنصرين أساسيين - المادة والروح - وإن منهما يتكوّن الإنسان الذى يتمتع بالقوة والنشاط الحيوى الذى ينبع من الداخل ، والذى له أثر كبير فى توجيه وتوظيف السلوك الإنسانى ، للوفاء بحاجاته العضوية وغير العضوية (النفسية) عن إرادة ، وحرية ، واختيار للقيام بأهدافه [٣] .

وإن الإنسان يملك التحكم والترشيد النسبى لسلوكه ، ولكن ليس له أن يتحكم أو يُرشِّد ما تحت جلده ، من وظائف عضوية ونفسية إلا النُزر اليسير ، مما يمكن أن يكون من توتر وهيجان كرد فعل لما قد ينهجه فى توجيه وتوظيف سلوكه ، فى تغيير سلوكه ، أو المعالجة بالعقاقير لداء عُضوى أو نفسى [٤] .

ولأهمية هذا الموضوع فقد أفردتُ له الباب الثالث لمزيد من التوضيح ، ليتم

---

(١) د . عز الدين اسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٨٤ - ١٨٥

(٢) القصص : ٧٧

(٣) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص . ١٥ - ١٥٢
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٣
عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٣

(٤) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٤ - ٣٣
د . أحمد زكى : مع اللّه فى الأرض (مرجع سابق) ص ١١ - ١٢
جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٥

معالجته هنالك ، ولكن يجب أن نتناوله هنا كخاصية من خصائص الإنسان من جهة ، وكإثارة للمشكلة من جهة أخرى .

فالدوافع : قوى داخلية ضاغطة وموجهة للسلوك الإنسانى ، لتحقيق أهداف معينة من شأنها القضاء على حالة التوتر ، أو اختلال التوازن التى تُحدثها ، لإشباع حاجاته الأساسية كحفظ الذات أو النوع ... وحاجاته التى تجعله فى توافق مع البيئة الخارجية (١) .

ولذا فالدوافع حاجات واستعدادات كامنة ، قد لا يدركها الإنسان مباشرة ، وإنما يستنتجها من الاتجاه العام للسلوك (٢) .

ويمثل هذه الدوافع فى التعبير القرآنى الكريم بشكل عام « النفس الأمّارة بالسوء » و « النفس اللوّامة » .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسى ، إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى ، إنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٤) .

وَيقسِّم علماء النفس الدوافع إلى قسمين وهما :

---

(١) د . محمد مصطفى زيدان ونبيل السمالوطى : علم النفس التربوى . دار الشروق بجدة ط١، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ص ٧٢ .

عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٤٧

أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس . مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٣ ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٦ - ٣٠ .

محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٣

(٢) د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (مرجع سابق) ص ٩٣ - ٩٤

(٣) يوسف : ٥٣ (٤) القيامة : ١ - ٢

١ - الدوافع الفطرية :

وهى القدرات والحاجات الفطرية الموروثة ، التى تدفع الإنسان إلى سلوك معيَّن نحو إدراك شىء (ما) ، والإحساس بحالة وجدانية بالنسبة له ، والنزوع للقيام بإشباعه [١] .

وتنقسم هذه الدوافع الفطرية إلى قسمين وهما :

(أ) حاجات عضوية :

وهى الحاجات العضوية (الجسدية) التى يمكن إدراك مصدرها فى جوانب عضوية ، أو تفاعلات كيميائية فى الجسم [٢] .

وإن النشاط التوفيقى بين هذه الدوافع والاستجابة لها قد يتم على أساس حيوى لا إرادة للإنسان فيه ، كارتفاع درجة حرارة الجسم ، وما يصاحبه من استجابة فى ظهور العَرَق ، لتخفيف درجة الحرارة ... والحاجة إلى النوم ، والحاجة إلى التنفس للهواء الطلق ..... إلخ [٣] .

وقد يكون النشاط التوفيقى إرادى ، ولكنه مدفوع منها كالجوع ، والعطش ، والحرارة ، والبرودة المفرطة ، والألم ، والتعب ، والغريزة الجنسية ... إلخ [٣] .

ومما جاء فى القرآن الكريم إشارة إلى هذه الدوافع ما يأتى :

- دوافع الحرارة والبرودة :

قال تعالى : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ، لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً ﴾ [٤] .

---

(١) د . محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٦٦

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١١٥ - ١١٧

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٤

(٢) برسيڤال سيموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس ، ترجمة عبد الرحمن صالح عبد الله ، دار الفكر ، ١٩٧٤ م ، ص ١٣ - ١٤

عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١١٥

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٤

(٤) الإنسان : ١٢ - ١٣

- دافع التنفس للهواء الطلق حول الكرة الأرضية :

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِد اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

فمن المحتمل أن يكون فى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ ﴾ إشارة إلى نقص الأوكسيچين خارج الغلاف الجوى للكرة الأرضية ، وكذلك الآيات القرآنية التى تشير إلى الغرق (٢) .

- دافع النوم :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ، ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

- دافع الجوع والعطش :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا وَلاَ تَضْحَى ﴾ (٤) .

- دافع الألم :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ (٥) .

- دافع التعب :

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ، إِنَّ رَبَّنَا

---

(١) الأنعام : ١٢٥

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٣ - ٣٤

(٣) الأنعام : ٦٠ . (٤) طه : ١١٨ - ١١٩ (٥) المائدة : ٣٦ - ٣٧

لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ (١) .

- دافع الجنس :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

- **دافع الأمومة :**

قال تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ، إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلاَ أَنْ رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

وإن النشاط التوفيقى بين هذه الدوافع والاستجابة لها ، سواء أكان إرادياً أو غير إرادى ، إنما هو لإعادة الاتزان والاعتدال للإنسان (٥) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٧) .

فعن دافع النوم والاستجابة له مثلا قال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ (٨) .

---

(١) فاطر : ٣٤ - ٣٥ (٢) النساء : ١
(٣) الذاريات : ٤٩ (٤) القصص . ١٠ - ١٣
(٥) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٤
(٦) الفرقان : ٢ (٧) القمر : ٤٩ (٨) الأنفال : ١١

فلهذا النعاس أهمية كبيرة فى القضاء على التوتر ، واختلال الاتزان ، لدى المؤمنين فى هذا الموقف [1] .

(ب) حاجات نفسية :

وهى الحاجات النفسية (غير العضوية) التى تكون مشتركة بين أفراد النوع ، رغم اختلاف الواقع الخارجى من مجتمع لآخر ، وإن كانت ترجع بطريقة غير مباشرة إلى الدوافع العضوية ، لأنها تعمل على تأمين الاستجابة لها ، لما للدوافع النفسية من أثر كبير فى توفير الأمن والطمأنينة [2] .

ومما جاء فى القرآن الكريم إشارة إلى هذه الدوافع ما يأتى :

- حب التدين :

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

- حب الخلود والتملك :

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ﴾ [4] .

- حب الاستطلاع :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ، قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ

---

(١) انظر الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ١٥ ص ١٣٦ - ١٣٧

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧ - ٣٩

د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٤

د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٥ -١٠٦

عبد العزيز القوصى : علم النفس . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، ص ١٢٩

(٣) الروم : ٣٠ . (٤) طه : ١٢٠ .

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وسيأتى - بإذن الله - فى الباب الثالث مناقشة هل هذه الدوافع فطرية ، أم مكتسبة ؟ ولماذا اخترتُ كونها فطرية ؟

٢ - الدوافع المكتسبة (الثانوية) :

وهى ما يتعلمه الإنسان عن طريق النشاط التوفيقى بين دوافعه الفطرية ، والاستجابة لها من جهة ، والبيئة الخارجية التى تفرض عليه قيماً ومبادىء وعادات وتقاليد من جهة أُخرى ، وذلك لتعديل سلوكه ، بتوجيهه وتوظيفه بما يوافق هذه الاتجاهات مجتمعة (٢) .

فهى دوافع نفسية مكتسبة مترتبة على الدوافع الفطرية ، ومتنوعة ومشتقة منها ، نتيجة لتلك التفاعلات مع الاتجاهات المتعددة (٣) .

ولذا يمكن أن نعتبر أن هنالك دوافع خارجية ، تعمل على تقويتها ، لترشيد السلوك الإنسانى كالثواب والعقاب (٤) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولَد على الفِطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » (٥) .

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

(٢) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١١٦

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٣) محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى . دار النهضة مصر ، القاهرة ، ص ٩

(٤) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

برسيڤال سيموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١٦ - ٢١

د . سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعى التربوى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٣٩٤ هـ ، (١٩٧٤ م) ص ٣٨ - ٣٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وإن الإنسان خليفة الله فى أرضه ، ولذا فهو يتمتع بالحرية والإرادة والاختيار ، والذى بناء عليه كان مسئولاً عن عمله - كما سبق - ومن هنا فإنه يجب أن تكون له مثل هذه الدوافع الفطرية ، القابلة للتغيير والتعديل عن طريق التعليم ، والتى تعتبر - أيضاً - محك الرُّقى الإنسانى لمعالجة المواقف عن إرادة واختيار (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٤) .

وإن التصور للغايات هو الذى يرسم طريق الاستجابة (٥) ، وإن توظيف وتوجيه هذه الدوافع المعقَّدة للتدخلات المتعددة فى التأثير عليها ، تُوحى بأهمية التشريع السماوى للإنسان ، فى رسم التصور للغايات من جهة ، والقيم والمبادىء والفضائل من جهة أخرى ، وما يمكن أن يصون ذلك من جهة ثالثة ، باستثمار الدوافع الإيمانية ، لتكون الدوافع نابعة من الداخل عن تصورات ثابتة ومستمرة للغايات ، وليست مجرد ضغوط خارجية متغيرة .

ويُقسِّم علماء النفس الدوافع المكتسبة إلى قسمين وهما :

(أ) الدوافع الشعورية :

وهى التى تكون عن وعى كصفات مكتسبة وثابتة ، لها تأثير فى

---

(١) البقرة : ١٧٩

(٢) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

د . عز الدين إسماعيل : نصوص قر ـــه فى النفس الإنسانية (مرجع سابق) ص ١٨٥

(٣) الشمس : ٧ - ١٠ . (٤) البلد : ١٠ .

(٥) د . محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربـ ـو (مرجع سابق) ص ٧٣

تكوين الشخصية كالعواطف : الحب والكره ، والحقد والحسد .. إلخ[1].

وقد تكون هنالك عاطفة سائدة عند الإنسان دون غيرها ، فتؤثر على سلوكه أكثر من غيرها [2] ، مما يشير - أيضاً - إلى مدى تعقد هذه الدوافع .

قال تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُواْ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُواْ النِّسَاءَ كَرْهاً ، وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [5] .

(ب) الدوافع اللاشعورية :

وهى الدوافع التى لا يعى الإنسان بها ، ولكنها تؤثر على سلوكه كالعُقَد النفسية ، التى يطويها النسيان ، لتخفيف التوتر واختلال التوازن لدى الإنسان من المواقف المحزنة المصحوبة بشحنة انفعالية قوية [6] . وهذه نعمة من الله

---

(١) د . محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٦٩

د . محمد عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٢٦

(٢) محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٧٠

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣٦

(٣) التوبة : : ١٠٨ (٤) النساء : ١٩ (٥) البقرة : ١٠٩

(٦) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٤٨

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٢٥ - ١٢٨

جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٥٦ - ٦٦

تعالى ، لأن الإنسان قد يُلاقى فى حياته مواقف مؤلمة ، لما يتمتع به من الحرية والإرادة والاختيار .

وبهذا نُدرك مدى التعقيد فى الدوافع الإنسانية ، ذات الطبيعة المزدوجة ، وقابليتها للتعديل والتغيير ، والتى هى ميزة الإنسان – خليفة الله فى الأرض – عن غيره من المخلوقات .

* * *

● الانفعالات :

إن الإنسان يتمتع بمجموعة من الدوافع الفطرية الموروثة والمكتسبة المتعلمة – كما سبق – ، وإن الاستجابة لإشباعها تكون مصحوبة – عادة – بحالة وجدانية ، تتمثل بتوتر وهيجان نفسى وعضوى ، ظاهرى وباطنى ، تساعد وتُسهِّل أو تُعَرقِل وتُعيق الاستجابة للدوافع (١) .

وهذا التوتر والهيجان هو ما يُعرف بالانفعال ، والذى يرجع إلى تقييم المثير ، والخبرات الانفعالية السابقة لدى الذات الإنسانية (٢) .

ولذا نجد الانفعال القوى الحاد الذى يهز الذات ، ويُفقدها القدرة على التفكير ، واستثمار القدرات العقلية ، والخبرات الانفعالية ، فيفقد الإنسان شيئاً من قدراته ، وإمكانياته فى حل المشكلة (٣) .

كما يحدث ذلك فى حالة الخوف الشديد والهلع ، ولقد جاء فى القرآن الكريم وصف لمثل هذه الحالات .

قال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ

---

(١) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ٦٢
جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٥ – ٧٧

(٢) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٥

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٦٦
جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٣ – ٧٥
برسيڤال سيموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١١٣ – ١١٥

الأَبْصَارُ وَبَلَغَت القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ ﴾ (٣) .

كما أن الانفعال قد يكون مُنَشِّطاً ، وباعثاً ومُنظِّماً للطاقة والحيوية لدى الذات ، لمواجهة الموقف بطاقة أقوى ، ومدة أطول ، ولو كان بالتأني والتأجيل تجنباً للآثار السلبية التي قد تُصاحب الانفعال الحاد المتسرع (٤) .

قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ... ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ، وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ ﴾ (٧) .

وإن القرآن الكريم حينما ينهى الإنسان عن الانفعال الشديد كالغضب ،

---

(١) الأحزاب : ١٠ - ١١ (٢) الأنبياء : ٤٠ (٣) النمل : ١٠

(٤) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٣

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٩

برسيڤال سموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١١٣ - ١١٥

(٥) الممتحنة : ٤ (٦) الفتح : ٢٩ (٧) التوبة : ١٢٣

والكُرْه ، والفرح ، فإنما ينهى عن الانفعال الظاهرى ، ذى الدرجة العالية ، الذى يُفقده السيطرة على أعضاءه الإرادية ، وقد يُفقده قدراته العقلية ، أو يُعَرِّضه إلى آثار سلبية أخرى (١) .

ولذا فإن الانفعالات يجب أن تكون دائماً تحت الشعور الواعى وأن لا تظهر الانفعالات الخارجية - وإنما الداخلية - إلا فى الحالات النادرة ، كالخوف الشديد فى المواقف المفاجئة ، أو الإيجابية المتكاملة فى حدود الشرع (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُواْ وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَزَاؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥) .

ولذلك يجب على الإنسان أن يعمل على تقليل كل الانفعالات الظاهرية العالية - كالغضب والفرح الشديدين - عن طريق السيطرة عليها ، تحاشياً للآثار السلبية (٦) .

---

(١) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٧٥

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٦٦ ، ١٠٣

(٢) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) صـ ٢٩

(٣) آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤ (٤) الشورى : ٣٦ - ٣٧

(٥) الشورى : ٤٠ .

(٦) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٦ - ١٠٧ ، ١١٠ .

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَسْتَوِى الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١) .

عن أبى الأسود عن أبى ذر قال : كان يسقى على حوض له فجاء قوم فقال : أيكم يورد على أبى ذر ، ويحتسب شعرات من رأسه ، فقال رجل : أنا ، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض ، فقدمه وكان أبو ذر قائماً فجلس ، ثم اضطجع ، فقال له : يا أبا ذر ؛ لِمَ جلست ، ثم اضطجعت ؟ قال : فقال : إن رسول الله ﷺ قال لنا : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإذا ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع » (٢) .

وعن أبى وائل – صنعانى مرادى – قال : كنا جلوساً عند عروة بن محمد قال : إذ دخل عليه رجل فكلمه كلاماً أغضبه ، قال : فلما أن غضب قام ، ثم عاد إلينا وقد توضأ ، فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية – وقد كانت له صحبة – قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلِقَ من نار ، وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » (٣) .

وعن عروة بن عبد الله الجُعفى يُحدِّث عن ابن حصبة – أو أبى حصبة – عن رجل شهد رسول الله ﷺ يخطب فقال : « ما الصُرعة » ؟ قالوا : الصريع . قال : فقال رسول ﷺ : « الصُرعة كل الصُرعة ، الصُرعة كل الصُرعة ، الرجل يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره ، فيصرعه غضبه » (٤) .

وأما الانفعال الداخلى فإن الإنسان قد لا يستطيع السيطرة عليه ولذا فهو لا يُحاسَب عليه إذا لم يخرج إلى الخارج فى توجيه السلوك ، عن طريق كتمه والسيطرة عليه (٥) .

---

(١) فصلت : ٣٤
(٢) رواه أحمد : جـ ٥ ص ١٥٢
(٣) رواه أحمد : جـ ٤ ص ٢٢٦
(٤) رواه أحمد : جـ ٥ ص ٢٦٧
(٥) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٩

عن عائشة ، أن النبى ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : « اللّهم هذه قسمتى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ، ولا أملك » [1] .

ولذلك فإن لكل مثير انفعالاً يناسبه فى الدرجة والقوة ، سواء أكان الانفعال ظاهرياً أو باطنياً ، فهناك ما يحتاج إلى الانفعال الخفيف المُنشّط للتفكير كالمسابقات العلمية [2] .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى الانفعال الخفيف ، الذى يجعل الإنسان أقدر على التأمل والتفكير .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيث كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّه ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [3] .

وهناك ما يحتاج إلى الانفعال الظاهرى والباطنى كالعرض العسكرى .

وقد يحتاج إلى الانفعال الخارجى أكثر كالهروب فى حالة المواقف المخيفة المفاجئة [4] .

قال تعالى : ﴿ وكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَة كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّواْ بَأْسَنَا إِذَاَ هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ [5] .

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب النكاح ، باب : ما جاء فى التسوية بين الضرائر ، وقال الترمذى : رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبى قلابة مرسلاً وهذا أصح ، جـ ٢ ص ٣٠٤

(٢) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مصدر سابق) ص ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٣

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٢

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧٦

(٣) الزمر : ٢٣

(٤) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٦٦ - ٦٧

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم التفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٧٩

(٥) الأنبياء : ١١ - ١٢

وليس هناك حدود لدرجة الانفعال يمكن تحديدها رياضياً ، لأنها تتأرجح بين الانفعال الشديد ظاهرياً وباطنياً ، والانفعال الخفيف ، وبين السار جداً والمحزن جداً ، أو بين المحبوب جداً والمكروه جداً ، وبين كل منهما مسافة طويلة ، مما يوضح مدى تعقد الخبرات الانفعالية ، وبالتالى فإن السلوك الإنسانى وتوجيهه أكثر تعقيداً [1] .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ، إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [6] .

وإن السلوك الإنسانى لا يوجهه دافع معين ليمكن تحديد انفعاله ، وإنما مجموعة من الدوافع ، فقد يُثيره دافع واحد ، وقد يُثيره دافعان أو أكثر فى آن واحد .

ولذا فإننا نجد أن الدافعين يمتزجان فى انفعال واحد ، كالحسد الذى يمثل الشعور السلبى فى الذات ، والغضب [7] .

---

(١) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ٦٨ - ٧١

(٢) هود : ١٠ (٣) يوسف : ٨٤ (٤) الروم : ٣٦

(٥) البقرة : ١٦٥ (٦) النساء : ١٩

(٧) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣٠

قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٣) .

وقد يكون هنالك دافعان أو أكثر ، لكل منهما انفعاله الخاص به ، يتمالك الإنسان الواحد منهما تلو الآخر ، ليشعر بالتقلب والتذبذب السريع فى نفسه ، دون أن يستأثر به أحدهما (٤) .

وإن الإنسان الذى تُسيِّره دوافعه وانفعالاتها ، دون تقييم ، وتغيير ، وتنظيم ، سيكون سلوكه مضطرباً ، لا وحدة فيه ، ولا استقرار ... كالمعتوه .

فإذا لم يكن لديه ضوابط ، واتجاه ثابت للترجيح والتقويم بين دوافعه وانفعالاته ، يصبح سلوكه متوقفاً على شهواته ، وأهوائه ، وظروفه المتغيرة .

وإن مثل هذه الشخصية لا تكون لها صفة الثبات والاستقرار ، التى ترجع إليها فى تنظيم وضبط السلوك (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) النساء : ٥٤ (٢) البقرة : ١٠٩ (٣) سورة الفلق .

(٤) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٩

(٥) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٥

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٧٤ - ٧٦ ، ١١١ - ١١٢ (٦) المؤمنون : ٧١

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٢) .

وإن الانفعالات التى يمر بها الإنسان فى حياته تبنى لديه خبرات انفعالية طويلة ، ترجع إلى عوامل داخلية أكثر من رجوعها إلى عوامل خارجية ، تعمل على التنظيم الكلى للفرد ، وتوجهه بحيث ينظر إلى الحياة بمنظارها لتتصل الحياة ماضيها بحاضرها ومستقبلها (٣) .

ولذلك يجب أن تكون هذه الخبرات الانفعالية الطويلة متكاملة وإيجابية ، كالأمل ، والتفاؤل ، والاطمئنان ، والحب ...

وقد تكون الخبرات الانفعالية الطويلة سلبية كاليأس والقنوط والزهو والكبرياء .....

وقال تعالى : ﴿ لاَ يَسْئَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحاً ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّواْ رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) القصص : ٥٠ . (٢) محمد : ١٤

(٣) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٥

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٣٤ - ٣٣٦

(٤) فصلت : ٤٩ (٥) لقمان : ١٨ (٦) المنافقون : ٥

وإن الخبرات الانفعالية التى تتكوّن لدى الإنسان مع كل مثير للانفعال كحب التملك ، وحب السيطرة ... تُشكِّل أسلوبه ، وطريقته ونهجه فى توظيف سلوكه ، ليتصف بعدة صفات أخلاقية إيجابية كالصدق ، والوفاء ، والجد ، والتواضع ، والصبر ، والقدوة الحسنة ، والاستقامة ، والتنافس الشريف ، وحسن الاستماع والاقتداء ، والطهارة من كل وسخ مادى أو معنوى ...

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : لم يكن النبى ﷺ فاحشاً ، ولا متفحشاً ، وكان يقول : « إن من خياركم أحسنكم اخلاقاً » (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

وقد يتصف السلوك بصفات أخلاقية سلبية كالكذب ، والخداع ، والتكبر ، والنميمة ، والغيبة ، والحسد ...

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول ﷺ كان يدعو : « اللّهم إنى أعوذ بك من الشقاق ، والنفاق ، وسوء الأخلاق » (٣) .

كما أن الخبرات الانفعالية قد تنتقل من ذات المثير إلى ما يرتبط به ، أو ما حوله ، كانتقال حب الإنسان لزوجته ، أو كرهه لها ، إلى أهلها أو بلدها (٤) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن لمثل هذه الخبرات الانفعالية دوراً فى حب المشركين لأوثانهم وأصنامهم .

قال تعالى : ﴿ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة ، باب : صفة النبى ﷺ ، جـ ٤ ص ١٦٦

(٢) القلم : ٤

(٣) رواه النسائى ، فى كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق - شرح سنن النسائى دار الكتب العلمية ببيروت ، جـ ٨ ص ١٦٣ - ١٦٤

(٤) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٥) الأعراف : ٧٠ .

وبذلك ندرك شيئاً من الضعف الإنسانى ، فى مجال رسم منهجه فى الحياة ، فى مجال توظيف السلوك ، لما يتصف به من صفات هى من طبيعته [(١)] .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾[(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ ، وَسَخَرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ [(٤)] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ ، وكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً ﴾ [(٥)] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ المُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [(٦)] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [(٧)] .

ولكن هذا الإنسان الموصوف بهذه الصفات ، يوصف بأنه أكمل الخلق كما سبق فى قصة خلق الإنسان .

ولذلك يجب أن تكون انفعالات الإنسان شعورية واعية ، وليست عملية لا شعورية ، ليعى الفرد بها ، ويدركها ، ويستثمرها [(٨)] .

---

(١) سيد سابق : عناصر القوة فى الاسلام (مرجع سابق) ص ٣٨ - ٤١

(٢) النساء : ٢٨ (٣) إبراهيم : ٣٣ - ٣٤ (٤) الإسراء : ١١

(٥) الإسراء : ١٠٠ (٦) المعارج : ١٩ - ٢٣ (٧) العاديات : ٦ - ٨

(٨) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٧٦

وإن اشتراط النية فى الإسلام ، فيما يقوم به من عمل تقتضى التنبيه للشىء ، والتفكير فيه قبل القيام به ، لتحقيق النضج فى الانفعالات ، وقد يكون هنالك استجابات مرجئة لا ينفذها الشخص فى الحال ، وإنما تحتاج إلى بعض الوقت للتروى والتفكير ، والشعور بالحرية فى القيام بالعمل ، والعزم على التنفيذ [١] .

عن علقمة بن وقّاص عن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « الأعمال بالنية ، ولكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » [٢] .

ولذلك نرى أن القرآن الكريم قد أشار إلى أن الترف من الأسباب القوية للفسوق ، لأن الترف قد يجعل الإنسان لا يشعر شعوراً واعياً بقيمة انفعالاته ، أو يتجاهلها ، لأنه أشبع دوافعه فلم يعد يشعر بقيمتها الكاملة ، مما يجعله يُصاب بالملل ، والسأم ، وفقر الحياة ، والذى قد يدفعه إلى استغلال فعالياته الاقتصادية والاجتماعية ... فى سبيل استثارة طاقته النفسية ، كمشاهدة الأفلام المزعجة ، أو المشاركة فى الرياضات العنيفة ... وربما دفعه إلى ما هو أشد من ذلك من ارتكاب الفحشاء والمنكر [٣] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ [٤] .

والحياة الانفعالية تلعب دوراً رئيسياً فى تكوين الخبرات الانفعالية للأفراد ، والتى تعمل على تنشيط الطاقة النفسية وتجديدها ، لتجعل للحياة طعماً ، بإثرائها ، وتخفيف الملل ... [٥] .

---

(١) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ١٥٩

(٢) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ، جـ ١ ص ٢٠

(٣) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٢

(٤) الاسراء : ١٦

(٥) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٧٤
عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٢

كما تعمل على تنظيم وتوظيف السلوك فى بناء الهيكل الاجتماعى كحب الرجل لزوجته ، وحب الوالدين لأبنائهما ، وحب الإنسان لمجتمعه [(١)] .

قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ ﴾ [(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [(٣)] .

وكذلك تعمل على إغناء وإثراء الحياة الاجتماعية بالخبرات المختلفة والمتكاملة والإيجابية لتغطية احتياجات المجتمع من الكفاءات المختلفة ، والمتنوعة من أفراده ، كل حسب إمكانياته ، وقدراته وخبراته ، فهنالك العالم الذى أحب علمه ، وهنالك المهنى الذى أحب مهنته ... [(٤)] .

قال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً ، وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [(٥)] .

وبهذا ندرك مدى خطورة الخبرات الانفعالية ، وأن المسيرة الإنسانية تلعب دوراً كبيراً فى هذه الخبرات ، ولا مأمن من الآثار السلبية لهذه الخبرات إلا بامتزاجها حول الواجب والشعور به [(٦)] ، عن طريق رسم التصورات الغائية

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٧٣
عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٦
(٢) آل عمران : ١٤   (٣) الأنفال : ٦٢ - ٦٣
(٤) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٧
د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٠٦
(٥) الزخرف : ٣٢
(٦) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٥٠

العُليا ، والمنهج المؤدى إليها ، وأن لا تكون من صنع البشر ، الذين يتأثرون بخبراتهم الانفعالية بسلبياتها - كما سبق - وإنما بشريعة اللّه تعالى المتصف بالأسماء الحُسنى .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ * وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائِه ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِه يَعْدِلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ، أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ، وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّه الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِىٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾ (٢) .

وإن وجود التصورات والمنهج لوحدهما لا يكفيان ، ولكن لا بد من الصيانة المستمرة لهما عن طريق العبادات كخط دفاعى أول ، والعقوبات كخط دفاعى ثان ، ليشترك الإنسان مع شريعة اللّه تعالى فى إحلال النظام محل الفوضى بالحكمة والعمل ، والذى يؤدى به إلى الانضباط الذاتى فى أعلى مراحل الوعى ليصل الإنسان إلى أعلى درجات السمو ، وهى درجة الإحسان (٣) .

قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّه أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ *

---

(١) الأعراف : ١٧٩ - ١٨١ (٢) الاسراء : ١١٠ - ١١١

(٣) حسن صعب : الإسلام والإنسان . دار العلم للملايين . بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، ص ٨٤

(٤) العنكبوت : ٤٥

وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِم حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

ولذلك فإن رسم التصورات الأساسية العليا تُعطى الإنسان بعداً أقوى وأسمى ، لتخطى عقبات كثيرة تقف أمامه فى انطلاقته فى باب السعادة ، تكريماً له ، مما يمكن أن يبنيه المجتمع لديه من خبرات انفعالية سلبية (٣) .

فالإنسان بالعبادة يحيا حياة أفضل ، حياة حرة كريمة ، وإن الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ... جزء من العبادة فإن لم تكن واجبة فهى محببة ، فالإسلام لا يسمح بالمزيد من العبادات المحضة كالصلاة والصوم .. على حساب الفعاليات الأخرى له ، وإلا فإنه سيتخلى عن الدور الكونى الذى أريد له ، وهو إحلال النظام الإلهى فى الأرض وعمارتها (٤) .

وأستطيع أن أقول إن مكان الابتلاء والإمتحان للإنسان فى هذه الحياة ، إنما هو فى التحكم والترشيد لدوافعه وانفعالاته سواء أكانت فطرية أو مكتسبة ، مادية أو روحية ، لإيجاد التعادلية والاتزان فى الشخصية .

قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّه لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (٥) .

* * *

---

(١) المعارج : ١٩ - ٢٧ (٢) البقرة : ١٧٩

(٣) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٥٠

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٠٥

د . محمد ظفر اللّه خان : الإسلام والإنسان المعاصر ، ترجمة محمد جلال شرف ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨١ م ، ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٤) حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٥

د . محمد ظفر اللّه خان : الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ١٩١ - ١٩٥

(٥) الحجرات : ٧

الفصل الثانى

خصائص الحياة القلبية

لقد ورد لفظ « القلب » فى القرآن الكريم (١٩ مرة) بصيغة المفرد ، ومرة واحدة بصيغة المثنى ، و(١١٢ مرة) بصيغة الجمع (١) ، كما ورد لفظ « الفؤاد » مرادفاً له (١٦ مرة) بصيغة المفرد والجمع (٢) ، وكذلك التعبير عنه مجازاً بـ « الصدر » (٤٤ مرة) بصيغة المفرد والجمع (٣) .

ولقد اتفقت الكثير من كتب التفسير على أن المقصود بـ « القلب » هو « العقل »(٤) خاصة عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ (٦) .

وإن استعراض الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمة « القلب » والتأمل فيها ، توحى بأن القرآن الكريم استعملها فى مواضع لا يمكن أن نستعمل فيها كلمة « العقل » ، فلو كان « القلب » هو « العقل » لصح العكس ، وهذا ما يتنافى مع استعماله لكل من اللفظين (٧) .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٥٤٩ - ٥٥١

(٢) المرجع السابق : ص ٥١ .

(٣) المرجع السابق : ص ٤٠٣ - ٤٠٤

(٤) فخر الدين الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ١٢ ص ٤٦
القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٤٤٦٩

(٥) سورة ق : ٣٧

(٦) الحج : ٤٦

(٧) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب فى القرآن والسنة . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٧٥

وسمى « القلب » قلباً لتقلب وتغير ما فيه من المشاعر ، والأحاسيس الوجدانية ، من حال إلى حال من قبيل المجاز [1] ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ تُوبواْ إِلَى اللَّه تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [2] . فالأنهار لا تجرى ، وإنما تجرى المياه التى فيها [3].

قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّه وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [5] .

وعن سالم عن عبد اللّه قال : أكثر ما كان النبى ﷺ يحلف : « لا ومُقَلّب القلوب » [6] .

ولقد ورد استعمال لفظ « القلب » فى القرآن الكريم فى ثلاثة أوجه رئيسية وهى :

(أ) إن القلب مكان الخبرات الانفعالية :

إن الخبرات الانفعالية تكون مصحوبة بحالة وجدانية ، إيجابية أو سلبية ، سارة أو غير سارة ، وإن هذه الخبرات تمثل منهج ، وأسلوب الإنسان فى توجيه سلوكه كما سبق .

وإن استعراض بعض الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمة « القلب » نلمح

---

(١) الراغب الأصفهانى : المفردات (مرجع سابق) ص ٤١١

(٢) التحريم : ٨

(٣) الراغب الأصفهانى : المفردات (مرجع سابق) ص ٤١١

(٤) الأنعام : ١١٠ . (٥) النور : ٣٧

(٦) رواه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب : مقلب القلوب ، جـ ٨ ص ١٦٩

أنه هو مكان الخبرات الانفعالية الداخلية ، وبالذات الخبرات الانفعاليه السائدة ، وهى ما تُعرف بالعواطف [1] ومن أمثلة ذلك :

١ - الحب :

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّه عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِه إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّه ، لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ ، قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [5] .

٢ - الكُرْهُ والاشمئزاز :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ

---

(١) عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٥٥

(٢) آل عمران : ١٠٣ (٣) الأنفال : ٦٣ (٤) الحجرات : ٧

(٥) البقرة : ٩٣ (٦) الزمر : ٤٥

يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [1] .

٣ - الرحمة :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [2].

٤ - الغلظة والقسوة :

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [4] .

٥ - الشعور بالاطمئنان :

قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾ [6] .

---

(١) آل عمران : ١١٨ (٢) الحديد : ٢٧ (٣) آل عمران : ١٥٩
(٤) البقرة : ٧٤ (٥) الأنفال : ١٠ (٦) الرعد : ٢٨

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذى أنْزَلَ السَّكِينَةَ فى قُلُوبِ المُؤْمنينَ ليَزْدَادُواْ إيمَاناً معَ إيمَانِهِمْ ، وَللَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ ، وكَانَ اللَّهُ عَليماً حَكِيماً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإذْ قَالَ إبْرَاهيمُ رَبِّ أرنى كَيْفَ تُحْيى المَوْتَى ، قَالَ أوَ لَمْ تُؤْمنْ ، قَالَ بَلَى وَلَكنْ ليَطْمَئنَّ قَلْبى ، قَالَ فَخُذْ أرْبَعَةً منَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ، وَاعْلَمْ أنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

٦ - الشعور بالاضطراب :

قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّه وَإقَامِ الصَّلاَةِ وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فيه القُلُوبُ وَالأبْصَارُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إنَّمَا يَسْتَئذِنُكَ الَّذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدونَ ﴾ (٤) .

٧ - الشعور بالخشية :

قال تعالى : ﴿ الَّذينَ إذَا ذُكرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أصَابَهُمْ وَالمُقِيمِى الصَّلاَةِ وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفقُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إنَّمَا المُؤْمنُونَ الَّذينَ إذَا ذُكرَ اللَّهُ وَجلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أنَّهُمْ إلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٧) .

وَقال تعالى : ﴿ ألَمْ يَأْنِ لِلَّذينَ آمَنُواْ أنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّه وَمَا

(١) الفتح : ٤ (٢) البقرة : ٢٦٠ . (٣) النور : ٣٧
(٤) التوبة : ٤٥ (٥) الحج : ٣٥ (٦) الأنفال : ٢
(٧) المؤمنون : ٦٠ .

نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلاَ يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١) .

٨ - الشعور بالخوف والرعب :

قال تعالى : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً ، وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ، وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ ، سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ... ﴾ (٤) .

٩ - الشعور بالألم والحزن :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُواْ عِنْدَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَنْ سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ (٦) .

١٠ - الشعور بالغل والحقد :

قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

---

(١) الحديد : ١٦ (٢) آل عمران : ١٥١ (٣) الأنفال : ١٢
(٤) النازعات : ٦ - ٨ (٥) آل عمران : ١٥٦ (٦) يونس : ٨٨

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٣) .

١١ - التكبر والغطرسة :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (٦) .

وإذا كانت هذه بعض الانفعالات ، أو الخبرات الانفعالية للإنسان ، فلا شك أن جميعها فى حكمها ،وأن مكانها القلب .

(ب) إن القلب هو المؤشر للوجدان الباطنى :

إذا كان الإنسان يتمتع بالدوافع النفسية الفطرية الموروثة كحب التدين ،

---

(١) التوبة : ١٤ - ١٥ (٢) الحشر : ١٠ (٣) البقرة : ٢٠٤

(٤) غافر : ٣٥ (٥) النحل : ٢٢ (٦) الفتح : ٢٦

والتملك ، والخلود ، .... فإن مثل ذلك ما أسندته الآيات القرآنية السابقة إلى « القلب » كدوافع نفسية مكتسبة - كما سبق - فالقلب اسم جامع يقتضى مقامات الباطن كلها [١] .

ولعل ورود كلمة « العقل » بالفعل دون المصدر يدل على أن ليس للعقل إلا ما هو مستجد على وجوده خارج الرحم .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾[٢].

فإن للعقل التفكير ، والتأمل المجرَّد ، كما أن للعين الرؤيا المجردة ، وأن للقلب الإدراك ، والأحاسيس ، والمشاعر الوجدانية الباطنية ، التى تشعره بحسن الحسن ، وقبح القبيح ، فالإنسان ليس عقلاً فقط ، ولكنه عقل وقلب [٣] .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ التِّى فِى الصُّدُورِ ﴾ [٤] .

ولذلك فإن الدوافع النفسية تمثل أمراً نفسياً يساعد العقل على الوصول باستنتاجاته المنطقية إلى مرحلة الانتخاب منها ، وقد يكون هذا المؤشر قوياً أو ضعيفاً حسب خبراته الانفعالية إيجاباً أو سلباً [٥] .

عن وابصة بن معبد الأسدى أن رسول اللّه ﷺ قال لوابصة : « جئتَ تسأل عن البر ، والإثم » ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فجمع أصابعه ، فضرب بها صدره ،

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٦٦
د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٢
(٢) النحل : ٧٨
(٣) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٧٥ - ٢٧٩ ، ص ٢٦٣
(٤) الحج : ٤٦
(٥) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٣٨
د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٣

وقال : « استفت نفسك ، استفتِ نفسك ياوابصة - ثلاثاً - البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » [١] .

عن نواس بن سمعان قال : أقمتُ مع رسول اللّه ﷺ بالمدينة سنة ، ما يمنعنى من الهجرة إلا المسألة ، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول اللّه ﷺ عن شىء ، قال : فسألته عن البر والإثم ، فقال رسول اللّه ﷺ : « البر حُسن الخُلُق ، والإثم ما حاكَ فى نفسك ، وكرهتَ أن يَطَّلِعُ عليه الناس » [٢] .

وعن أبى الجوزاء السعدى قال : قلتُ للحسن بن على : ما تحفظ من رسول اللّه ﷺ ؟ ، قال : سأله رجل عن مسألة ما أدرى ما هى ، فقال : « دع ما يريبك إلى ما لا يُريبك » [٣] .

ولذلك فإن الاستنتاجات العقلية التى تدور فى خلد الإنسان والخارجة عن مدلول النص القرآنى الكريم والسُنَّة الصحيحة ، والتى تُؤدى به إلى الخروج من المِلَّة ، لا يُحاسَب عليها إلا إذا أظهرها ، أو لقيت قبولاً فى قلبه [٤] .

عن أبى هريرة قال : جاء ناس من أصحاب النبى ﷺ ، فسألوه : إنَّا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : « وقد وجدتموه » ؟ قالوا : نعم . قال : « ذاك صريح الإيمان » [٥] .

وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى الشيطان أحدكم فيقول : مَنْ خَلَق كذا ؟ مَنْ خَلَق كذا ؟ حتى يقول : مَنْ خَلَق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ باللّه ، ولِيَنْتَهِ » [٦] .

---

(١) رواه الدارمى فى كتاب البيوع ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، جـ ٢ ص ٢٤٥

(٢) رواه مسلم فى كتاب البر والصلة ، باب : تفسير البر والإثم ، جـ ٤ ص ١٩٨٠.

(٣) رواه الدارمى فى كتاب البيوع ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، جـ ٢ ص ٢٤٦

(٤) النووى : شرح صحيح مسلم (مرجع سابق) ص ١٤٤ - ١٥٣

(٥) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ٢٠٩ ، جـ ١ ص ١١٩

(٦) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجنوده ، جـ ١ ص ٩٣

وعن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يُقال هذا خَلَقَ اللّهُ الخَلْق ، فمن خَلَقَ اللّه ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنتُ باللّه »[1] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إن اللّه عز وجل تجاوز لأمتى عما حدَّثت به أنفسها ، ما لم تعمل ، أو تكلم به »[2] .

وإن ذلك المؤشر الباطنى الوجدانى قد يُخطىء ، إما لتكون خبرات انفعالية خاطئة ، أو لأن استنتاجاته العقلية خاطئة أو منقوصة ، ولذلك فإن الإنسان لا يُؤاخَذ على اجتهاده إذا اخطأ ، وانما يُؤْجر عليه .

قال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّه ، فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُواْ آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[3] .

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « إن اللّه وضع عن أُمتى الخطأ والنسيان ، وما استُكرهوا عليه »[4] .

وعن عمرو بن العاص أنه سمع رسول اللّه ﷺ يقول : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر »[5] .

(جـ) إن القلب مركز الذات الانسانيه :

إن القلب هو مكان الخبرات الانفعالية ، وهو المؤشر الباطنى الوجدانى للإنسان ، الذى يجعله يحس بحسن الحسن ، وقبح القبيح ، وإن لفظ « النفس » فى القرآن الكريم يعنى الذات الإنسانية[6] كما سبق .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ٢١٢ ، جـ ١ ص ١١٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ٢٠٢ ، جـ ١ ص ١١٦

(٣) الأحزاب : ٥

(٤) رواه ابن ماجه فى كتاب الطلاق ، باب : طلاق المكره والناسى ، جـ ١ ص ٦٥٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنَّة ، باب : أُجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، جـ ٨ ص ١٥٧

(٦) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١٨٢

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٣

وإن الكثير مما أسند إلى « النفس » تم إسناده إلى « القلب » كالإيمان ، والكسب ، والخوف ... إلخ ، ومن أمثلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِنْ قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ .... ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ (٦) .

وإن بين الذات الإنسانية والقلب عموماً وخصوصاً ، يجعلنا نقول : ان القلب هو مرتكز الذات الإنسانية ، كما أنه هو مرتكز الذات من الناحية العضوية (٧) .

عن النعمان بن بشير قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ ، وبينهما مشبَّهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبَّهات استبرأ لدينه وعِرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراعٍ يرعى حول الحِمَى ، يُوشك أن

---

(١) الشمس : ٧ - ١٠ . (٢) الحجرات : ١٤ (٣) غافر : ١٧
(٤) البقرة : ٢٢٥ (٥) طه : ٦٧ (٦) النازعات : ٦ - ٨
(٧) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٣

ى واقعه ، ألا وإن لكل ملك حِمَى ، ألا إن حِمَى اللّه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مُضغة ، إذا صلحت صلحَ الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » [1] .

● أقسام القلوب :

لقد سبق وأن قلتُ بأن الإنسان يتمتع بالخبرات الانفعالية لدوافعه الفطرية والمكتسبة ، وبالذات الدوافع النفسية التى تعمل على بناء الشخصية .

وإن الخبرات الانفعالية الإيجابية والسلبية كالحب والكره ... قابلة للتغيير ، والتنظيم ، والتوجيه كما سبق ، وإن القلب هو مرتكز الذات ومؤشرها .

ولذلك فإن القلوب تنقسم إلى أقسام كثيرة بين الإيجابية والسلبية ، لأن التفاعل والتناغم الوجدانى الباطنى ذو مسافة طويلة [2] بين السليم جداً والمريض جداً فى اصطلاح القرآن الكريم ، ومن هنا جاء تقسيمه للقلوب بشكل عام إلى قسمين وهما :

(أ) القلب السليم :

وهو الذى نجح فى إيجاد التعادلية والاتزان بين مقوِّمات الذات المختلفة ، فدوافعه تم الاستجابة لها بطريقة سليمة ، مما كوَّن لديه خبرات انفعالية إيجابية ، يجد فيها الاطمئنان والسعادة والرضا .... إلخ .

قال تعالى : ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [5] .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه ، جـ ١ ص ١٩

(٢) عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٨ - ٧١

(٣) سورة ق : ٣٢ - ٣٣ (٤) الصافات : ٨٣ - ٨٤

(٥) الشعراء : ٨٨ - ٨٩

ولذلك فهو يحافظ على هذه التعادلية ، ولو كان ذلك عن طريق تحمل بعض الآلام والمشاق ، لأن تحملها أسهل وأيسر من خرق التعادلية فى خبراته الانفعالية ككل ، والتى يأتى فى قمتها حبه لله تعالى ورسوله (١) .

قال تعالى : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣) .

وبما أن الإنسان خُلِقَ ضعيفاً فقد يكون منه الاجتهاد الخاطىء ، والله مُطلِعٌ على أسراره ، فمنه الاجتهاد ، ومن الله تعالى الثواب والهداية والتوفيق والسداد الذى يصل به إلى أعلى درجات السمو جزاءً له (٤) .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ﴾ (٧) .

---

(١) د . عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٨٢ - ٨٤

(٢) المجادلة : ٢٢ (٣) الحج : ٣٢

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢٨ ص ٥٥٨٨ - ٥٥٨٩

(٥) التغابن : ١١ (٦) الأنفال : ١٠ - ١١ (٧) الكهف : ١٤

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ (١) .

فإن الكثير من خصائص الإنسان ودوافعه وانفعالاته لا تعود إليه عن اختيار ذاتى ، ولكنها تعود إلى خصائص تكوينه ، والبيئة التى نشأ فيها ، لحكمة عالية فى عمارة الأرض .

وبما أن بعض الدوافع النفسية الفطرية لها تأثيرها وارتباطها بما هو عضوى مباشرة ، فالاستجابة لها تكاد تكون إلزامية ، فهى للإزام أقرب منه للاختيار كحب التملك والخلود ...

ولكن دافع التدين - هو دافع نفسى فطرى - لا يرتبط بما هو عضوى مباشرة ولكنه أقرب إلى الارتباط الروحى ، وبالتالى فقضية الإيمان والكفر أقرب للإختيار منه للإلزام .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (٣) .

وإن الاستجابة لدافع التدين فيه إعلاء واستثمار لتلك الخصائص والدوافع والانفعالات ، التى يتصف بها الإنسان بطريقة أفضل ، لما يوفره من التصورات الغائية العليا ، والمنهج الذى به يمكن صيانة نهجه فى مسيرته نحو هذه التصورات عن تعادلية واتزان فى الشخصية ، وما يكوِّنه هذا النهج من خبرات

---

(١) الفتح : ١٨ (٢) الشمس : ٧ - ١٠ . (٣) الكهف : ٢٩

انفعالية إيجابية ، تجعل قضية الإيمان دافعاً أقرب للإلزام منه للاختيار ، وهو ماعبَّر عنه الرسول ﷺ بحلاوة الإيمان .

قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِنْ قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يُحب المرء لا يُحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُقذف فى النار » (٣) .

(ب) القلب المريض :

وهو الذى لديه أعمال أو خبرات انفعالية سلبية ، تخرق التعادلية والاتزان فى الشخصية ، وقد يكون هذا المرض بليغاً يخرجه من الملّة كالكفر والنفاق .

قال تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ ، وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُواْ ، قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَتَّبَعْنَاكُمْ ، هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) الحجرات : ٧ (٢) الحجرات : ١٤

(٣) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، جـ ١ ص ٩ - ١٠ .

(٤) آل عمران : ١٦٧ (٥) البقرة : ٨ - ١٠ .

وقد يكون المرض أقل من ذلك كعمل أو حب بعض المعاصى والآثام ، التى لا تُخرج من الملّة كالتكبر ، والغل ، والحقد ، والحسد ... وإن كانت هذه الصفات من صفات أو مما دفع الكافرين والمنافقين لكفرهم ، فالبعد الوجدانى الباطنى للإنسان أعمق من القدرات العقلية (١) .

قال تعالى : ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُواْ ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾ (٤) .

وإذا كان اللّه تعالى خلق الإنسان لعبادته ، فمنه الجزاء كُلٌّ بما عمل ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فللمؤمن الثواب ، ومنه الهداية والتوفيق والسداد ، وللكافر العقاب ، ومنه الإضلال والختم على القلوب ، لعلمه تعالى الأزلى بما عليه الكافر من خبرات انفعالية موجهة لسلوكه ، وتفكيره ، وما سيكون عليه مصيره (٥) ، كما أن الإنسان يعمل على دراسة الجدوى الاقتصادية لمشروعاته ، فإذا ثبت أو غلب على ظنه عدم جدواها عمل على عدم تنفيذها ، فهل يعنى ذلك أنه هو الذى حكم عليها بذلك ؟ أم أنها هى كذلك ؟ فما رأيك بعلم اللّه تعالى بجانب علم الإنسان ؟

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٨٩

(٢) النحل : ٢٢ (٣) غافر : ٣٥ (٤) البقرة : ٢٠٤

(٥) محمد القاسمى : الاسلام كما فهمت ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٥
د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢٠٠ - ٢٠١

بالبَيِّنَات فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِنْ قَبْلُ ، كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُواْ ، صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(٣).

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنهما قال : دخلتُ على النبى ﷺ ، وعقلتُ ناقتى بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم فقال : « اقبلوا البُشرى يا بنى تميم » ، قالوا : قد بشرتنا فأعطنا - مرتين - ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البُشرى ياأهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قبلنا يارسول الله ، قالوا : جئناك نسألك عن هذا الأمر ، قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر (٤) كل شيء ، وخلق السّماوات والأرض » (٥) .

⁂ ⁂ ⁂

● وحدة القلب :

إنّ القلب واحد ، وهو مرتكز الذات التى لها خبراتها الانفعالية الإيجابية والسلبية كالحب والكُره والفرح والحزن ...

ولذلك فإن حب الإنسان لشيء ما حباً داخلياً ، وإظهار كُره له ظاهرياً يجعله كأن له قلبين ، بحيث يحب أحدهما الإيمان ، ويحب الآخر الكفر ، وهذا ما يُخالف الواقع ، لأن الخبرة الانفعالية واحدة فى قلب واحد ، ولا يمكن أن يكون له خبرتان متناقضتان لشيء واحد فى وقت واحد ، إلا إذا كان له قلبان (٦) .

---

(١) يونس : ٧٤ (٢) التوبة : ١٢٧ (٣) المطففين : ١٢ - ١٤

(٤) الذكر : اللّوح المحفوظ

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ... ﴾ (الروم : ٢٧) ، جـ ٤ ص ٧٣

(٦) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ٦٩

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٢١٢ - ٢١٣

قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ، ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [1] .

ولذلك فإن إظهار الإنسان لأمر ما ، على أنه خبرة إنفعالية له - كالحب والكُره - بينما يُبطن ما هو خلاف ذلك بُعد تناقضاً بين الظاهر والباطن للإنسان ، وقد يصل مثل هذا إلى موضوع الإيمان والكفر ، وهو ما يُعرف بالنفاق فى الدين [2] .

قال تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ، وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ، قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ ، هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [3] .

وقد يكون التناقض بين الظاهر والباطن فيما هو أخف من النفاق فى الدين كالصدق والكذب ، وكالظهار من الزوجة ادعاءً بأنها مثل محرم له كما فى آية الأحزاب السابقة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [4] .

❋ ❋ ❋

---

(١) الأحزاب : ٤

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٨٢٣ - ٢٨٢٤

(٣) آل عمران : ١٦٧ (٤) النساء : ٤٨

الفصل الثالث

خصائص الحياة العقلية

لقد ورد لفظ « العقل » فى القرآن الكريم (٤٩ مرة) (١) ، بالصيغة الفعلية التى تدل على الحدث مضافاً إليه زمن ، لتدل على الماضى ، أو الحاضر ، أو المستقبل (٢) .

وإن أكثر الصيغ وردت بالمضارع المقرون بالاستفهام « أفلا يعقلون » ، أو الترجى « لعلكم تعقلون » ، أو التقرير « لقوم يعقلون » أو النفى « لا يعقلون » (٣) .

كما جاء بصيغة الماضى ليدل على اللّوم لمن لم يتأمل ويفكر تأملاً وتفكيراً مؤدياً للفهم ، والإدراك ، والاستجابة (٤) .

قال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

أما المصدر فلم يرد فى القرآن الكريم ، وهو يدل على الحدث فقط ، دون أن يكون له زمن (٦) .

---

(١) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٣٥١

(٢) على رضا : المرجع فى اللُغة العربية ، دار الفكر ، جـ ١ ص ٢٢

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧

(٤) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٨٩ - ٩٠ .

(٥) البقرة : ٧٥

(٦) على رضا : المرجع فى اللُغة (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٢

فالقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التأمل والتفكير المؤدى إلى الإدراك ، والفهم ، والاستجابة ، فهو يدعو إلى العلم والعمل به ، والعلم يحصل بالنسبة للإنسان بعد الولادة ، فهو يُولَد جاهلاً (١) .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

فالعقل هو مرتكز التعلم ، والعلم هو المعلومات التى تم تحصيلها ومعالجتها فيه بعد الولادة ، ولذا فالتكليف للإنسان إنما يكون بعد البلوغ ، الذى يكون فيه قد حصل على المعلومات الكافية لمعرفة الواجبات على الأقل .

عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » (٣) .

والتعلم والعلم إنما هما من خصائص العقل وحده ، رغم تدخل عوامل أُخرى مباشرة فى تحصيله ، وفى إمكانياته وفى توجيهه .

وإذا كان الإنسان له إدراكاته الحِسِّية ، فهى كمقدمات ترسم تصورات تُوجهه إلى القيام بالدراسة والمقارنة ، لاستخلاص نتائج كمعانى مجرَّدة كالخير والشر ، والحُسن والقبح ، والفضيلة والرذيلة ... فيعلو الإنسان بعقله على المحسوسات (٤) .

ولقد كانت القضايا الفكرية التى وضعها القرآن الكريم أمام عقل الإنسان

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٢١٨٦

(٢) النحل : ٧٨

(٣) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفع القلم عن ثلاثة ، جـ ٢ ص ١٧١

(٤) الحارث بن أسد المحاسبى : العقل وفهم القرآن ، قدَّم له وحققه د . حسن القوتلى ، دار الكندى ودار الفكر ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٠٦

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٩٩

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٢ - ١١٣

متنوعة تقرع جميع جوانب النفس ، من أجل تحقيق هداية الإنسان التى هى هدفه (١) .

فنجد القضايا الفكرية التى تتعلق بالتنوع والتناقض بين المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ إنَّ فى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتى تَجْرِى فى البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَفِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الأُكُلِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انْظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنَّ فِى ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (٥) .

كما نجد القضايا الفكرية التى تتعلق بمراحل الخَلق .

قال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ ﴾ (٦) .

---

(١) د . عبد الحكيم محمود : الإسلام والعقل ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٣ .
د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٥٧ - ٦٤
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٤ - ١٢٦

(٢) البقرة : ١٦٤ (٣) الرعد : ٤ (٤) الأنعام : ٩٩
(٥) المؤمنون : ٨٠ . (٦) الطارق : ٥ - ٧

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ (١) .

وكذلك نجد القضايا الفكرية التى تتعلق بالتاريخ البشرى (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِى أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُواْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِى ضَلاَلٍ مُبِينٍ * قَالُواْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ الَّلاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُواْ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُواْ سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُواْ بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُواْ ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُواْ يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُواْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُواْ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ * أُفٍ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانْصُرُواْ آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٤

(٢) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٧٤ - ٧٨

د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك فى البنية الاسلامية (مرجع سابق) ص ٩٩ - ١٠٠

(٣) الأنبياء : ٥٢ - ٧٠ . (٤) آل عمران : ٦٥

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِى إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَىٰ ، أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

فالقرآن الكريم تطرق إلى القضايا الفكرية الكلية ، كما تطرق إلى القضايا الفكرية الجزئية دون أن يفصل بينهما ، لأن هنالك سُنناً وقوانين مشتركة وثابتة تدل على الإبداع والوحدة فى الخلق (٢) .

فالقرآن الكريم جعل جميع القضايا الفكرية تحت تفكير الإنسان بما يوافق خصائصه ، بالنظر إلى القضايا الفكرية الكلية من جهة ، والقيام بتجزئتها مع الربط بينهما من جهة أخرى ، ليكون لكل إنسان تأمل وتفكير حسب قدراته وإمكانياته .

قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَنْظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَىْءٍ وأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ، فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٦) .

---

(١) يوسف : ١٠٩

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٤

د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك فى البنية الإسلامية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٨٨

(٣) الأعراف : ١٨٥ (٤) فصلت : ٥٣

(٥) العنكبوت : ٢٠ (٦) الغاشية : ١٧ - ٢١

فإذا كان الإنسان يعلو بعقله على المحسوسات ، فهو الذى يحس بالمشكلة وهو الذى يفرض الفروض لحلها ، كما يقوم بمناقشتها وانتخاب الحل الأمثل(١) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ، إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً ، قَالَ هَذَا رَبِّى ، فَلَمَا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

فالإنسان لديه القدرة على التنبىء والتوقع للنتائج قبل وقوعها ، واستحضار ما ليس فى الواقع ، مما يُساعد الإنسان على إجراء المقايسات فى خياله ، مما يجنبه أن يكون ميدان للتجربة ، أو يضيق هذا الميدان (٣) .

« وقيل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟ فقال : الإصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه »(٤) .

وهكذا فإن المعلومات التى يُخزِّنها الإنسان فى عقله هى آلته ، بل ويقارن

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٣١

د . على عبد العظيم : فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٣ م ص ٢٤٤ - ٢٥١

(٢) الأنعام : ٧٤ - ٧٩

(٣) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٦ - ٤٧

د . محمد عبد الرحمن مرحبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، دار عويدات ، باريس ، ط ٢ ، ١٩٨١ م ، ص ٢٤ - ٢٥

(٤) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى : العقد الفريد ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٢ ص ١٠٥

بينها للخروج بمعلومات جديدة ليضيفها إلى معلوماته القديمة ، وكل إنسان يقوم بذلك ، فيستمر الكشف عن حقائق ومعلومات جديدة ، فيستفيد من خبراته ومعلوماته ، ومعلومات وخبرات الآخرين ، وهذا هو أساس التقدم العلمى والرقى الإنسانى [١] .

※ ※ ※

● الحواس والعقل :

إن الحواس الخمس تُعتبر هى نوافذ العقل على العالَم الخارجى المحسوس ، الذى يمثل له ميدان تأمل وتفكير ، والذى يؤدى به إلى إدراك للمعانى المجردة .

ولذلك فإن التفكير والتأمل الإنسانى له حدوده التى لا يتعداها إلا عن إيمان وإلهام ، وهو إدراك ما تقع عليه حواسه وليس ما تقع عليه حواسه كل الحقيقة ، فقد تقع الحواس على آثارها دون حقيقتها كالكهرباء الذى أدرك الإنسان آثاره دون إدراك حقيقته [٢] .

وإن إدراك الإنسان إلى أن هنالك حقيقة غائبة ، يؤمن بها ، من إدراك آثارها ، إنما هو من التفكير المجرد للمعانى ، ولذلك مكن له الاستدلال على الخالق من المخلوق [٣] .

كما أن الخيال عند الإنسان يُعتبر ميداناً رحباً لإجراء التجارب والملاحظات

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٤
سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٦٥
أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ، عالم الكتب ، دمشق ، جـ ١ ص ٧٦ ، ٧٨

(٢) د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ١٨ - ١٩
د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك (مرجع سابق) ص ١٠٨
د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٩٩

(٣) الحارث بن أسد : العقل وفهم القرآن (مرجع سابق) ص ١١٦
سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٥٢ - ٥٥

المتوقعة ، للتنبىء بنتائجها ، ولكنه لا ينفصل كثيراً عن المحسوسات ، وإنما نجد أنها ترتسم فى تفكيره [1] .

***

● الحواس الخمس :

١ - السمع :

لقد ورد لفظ « السمع » فى القرآن الكريم (١٢ مرة) [2] ، وكثيراً ما يرد مقروناً بلفظ « البصر » من تقدمه عليه ، ولعل ذلك راجع إلى كونه يقوم بوظيفته المستمرة بعد الولادة مباشرة دون انقطاع ، وفى جميع الأوقات ، بخلاف البصر الذى يقوم بوظيفته بعد الولادة بزمن ، مع انقطاعه وقت النوم ، وانقطاع الضوء ، كما أن السمع أهم فى عملية الإدراك الحسى وبالذات فى موضوع التعلم [3] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذى أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذى أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [5] .

٢ - البصر :

لقد ور لفظ « البصر » فى القرآن الكريم (٤٨ مرة) ، وبصيغة الجمع (٣٨ مرة) [6] .

---

(١) جان برنيسى : المخيلة ، ترجمة الدكتور خليل الجر ، المطبعة البوليسية ، جونيه ، ١٩٧٧ م ص ٨٨ - ٨٩

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٥ - ١٦٦
د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٠٣

(٤) الملك : ٢٣ (٥) المؤمنون : ٧٨

(٦) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٢٢ - ١٢٣

فأكثر الصيغ بصيغة الجمع ، ولعل ذلك راجع إلى أن الإنسان له عينان يرى بهما ، ولكنه يرى بكل عين جزءاً من المشهد الذى أمامه كما أنه يستطيع أن يرى الكثير من المشاهد فى وقت واحد بوضوح ، ولكنه لا يستطيع أن يسمع الكثير من الأصوات بوضوح ، كما أنه لا يستطيع أن يرى إلا أمامه بينما يسمع الأصوات من جميع الجهات (١) .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) .

كما أن الإدراك قد لا ينطبق على حقيقة الشيء المرئى كعماء الألوان وخداع البصر (٤) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى خداع البصر .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْئَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ (٥) .

٣ - حاسة اللّمس :

لقد أثبتت الدراسات العضوية الحديثة أن البشرة تنقسم إلى مربعات صغيرة ، تحتوى على خلايا حسية كثيرة ومتنوعة ومتخصصة لاستقبال أنواع معينة من الإحساسات ، فهناك الخلايا الحسية المختصة بالبرودة ، وكذا المختصة بالحرارة ،

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٦ - ١١٧
د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢١٦

(٢) السجدة : ٩ (٣) النحل : ٧٨

(٤) عبد الرحمن العيسوى : لماذا أنا مسلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ ، ط ٤ ص ١٨
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢١

(٥) النور : ٣٩

وكذلك المختصة بالألم .. فإذا زالت هذه الخلايا الحسية بطل الإحساس (١) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن موقع الإحساس إنما هو بالبشرة وأن زوالها فيه زوال للإحساس .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) .

٤ - ٥ - حاسة الشم والذوق :

إن علماء الدراسات العضوية يجعلون الإحساسات الجلدية تشمل حاسة الشم والذَوق واللّمس لاتفاقها فى كثير من الخصائص ومنها الخلايا الحسية المتنوعة والمتخصصة كما سبق (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ، لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (٦) .

فالحواس هى وسيلة التحصيل والتعلم ، وهذه الحواس محدودة ، فإدراكات الإنسان محدودة ، والإنسان دون هذه الحواس عالَم مظلم لا يُدرَك حدوده ،

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٧ - ١١٨
د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ص ٣٣٣

(٢) النساء : ٥٦ (٣) الأنعام : ٧

(٤) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٧ - ١١٨

(٥) يوسف : ٩٤ (٦) النحل : ١١٢

بدليل أن سؤال الميت فى القبر إنما يكون له بعد عودة روحه إلى جسده كما سبق، فالتعذيب والتنعيم له إنما يكون عن طريق الحواس .

❊ ❊ ❊

● العوامل المؤثرة على العمليات العقلية :

(أ) الدوافع والخبرات الانفعالية .

إن الدوافع الفطرية العضوية والنفسية تُعتبر قوة ضاغطة على الإنسان توجهه لإشباعها [١] ، كما أن الخبرات الانفعالية تُعتبر دوافع نفسية مكتسبة ، فالدوافع الفطرية والمكتسبة لها دور فى توجيه وتوظيف العمليات العقلية [٢] .

عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « كل مولود يُولَد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » [٣] .

وإن توجيه السلوك ليس آلياً ، ولكنه عن إرادة واختيار من قِبَلِ الإنسان ، مما يجعل للعمليات العقلية دوراً كبيراً فى توجيه السلوك وتقييمه عن طريق إدراك المشكلة ، وجمع البيانات حولها وفرض الفروض لحلها ومناقشتها ، والأخذ بالحل الأسلم كما سبق .

فإذا كانت الخبرات الانفعالية إيجابية كانت مساعدة للعقل فى عملية إدراكه للمشكلة ، وما يتبع ذلك من عمليات عقلية إلى أن يصل إلى انتخاب الحل الأمثل [٤] .

---

(١) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٤٧
أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٦ - ٣٠.
(٢) سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٥ .
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٣١
(٣) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤
(٤) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٤٢ - ٤٤٤
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٣١

فإذا كانت هناك خبرات انفعالية سلبية ، فإنه حسب سلبية هذه الخبرات تكون درجة الصعوبة فى مجابهة العقل فى التقييم والتوجيه والتوظيف للأفكار ، مما يكون لها أثر فى درجة إدراك حقيقة الشيء كالكُره والحب السلبى ... فإنهما يجعلان الإنسان غير متهيء نفسياً للاستماع سماع قبول فيه تدبر وتفهم (١) .

قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٣) .

كما أن للإنسان أفكاره القديمة ، وله تفاعلاته معها ، مما يكون لها أثر فى تحريف عملية الإدراك والفهم إذا كانت هذه الأفكار خاطئة (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ (٦) .

ولذلك نجد أن الإدراك والفهم الواعى للقرآن الكريم من قِبَلِ المسلمين ، يختلف عن الإدراك والفهم له من قِبَلِ المشركين ، كما أن المشركين الذين أسلموا

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٩
د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٤٢ - ٤٤٤ .

(٢) الجاثية : ٢٣ (٣) محمد : ١٤

(٤) الحارث بن أسد المحاسبى : العقل وفهم القرآن (مرجع سابق) ص ٢١٣
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٣٣ - ١٣٥
سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٥٨

(٥) البقرة : ١٧٠ . (٦) الزخرف : ٢٢ - ٢٣

يختلف إدراكهم وفهمهم له عن فهمهم وإدراكهم له قبل إسلامهم [١] .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[٢] .

(ب) القدرات العقلية والإدراكات الحسية :

إن القدرات العقلية الكامنة فى الذات تختلف من إنسان لآخر ، فنجد الذكى ، كما نجد الأبله والمعتوه ، وذلك للاختلاف فى درجة الذكاء [٣] .

وإن إدراكات الإنسان حسية محدودة بحدود المادة ، ولذا ليس له القدرة على إدراك ما لم تقع عليه حواسه كالغيبيات ، وإن كان له إدراك بعض منها عن طريق آثارها كالكهرباء ، ولكن ليس له إدراك حقيقته [٤] .

ولذلك فإن الإدراكات الحسية ، لا تبتعد كثيراً عن المادة ، حتى فى موضوع الخيال نجد أنه لا ينفصل كثيراً عنها ، ولذلك جاء فى القرآن الكريم فى الأسماء والصفات لله تعالى قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٥] .

فالعقل والحواس وسيلتان يُستعان بهما على الإدراك والمعرفة ، ولكنهما ليستا كافيتين فى الوصول إلى حقيقة ما لم تقع عليه الحواس بيقين [٦] .

---

(١) د . محمد على الجوزر : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٩١ - ٩٢

د . محمد عثمان نجاتى : علم النفس فى حياتنا اليومية ، دار القلم ، الكويت ، ط ٨ ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤

(٢) فصلت : ٤٤

(٣) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٥٠ - ٤٥١

(٤) عبد الرحمن العيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٨

د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك (مرجع سابق) ص ١٠٨ - ١٠٩

عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٣٨

(٥) الشورى : ١١

(٦) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٣

ولهذا كان الوحى الإلٰهى للإنسان الذى يعطيه اليقين فى الغيبيات ، وإن كان لبعضها أدلة وآثار وعلامات تدل عليها [1] .

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَانْظُرواْ كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] .

ولذلك فالعوامل المؤثرة على العمليات العقلية كثيرة ، ومعقدة فكان الوحى هداية للإنسان عن طريق رسم التصورات والغايات العليا ، والمنهج المؤدى إليها ، والصيانة المستمرة له .

* * *

• التشريع هداية للعقل :

لقد سبق إيضاح العوامل المؤثرة فى العمليات العقلية ، وأن الإنسان بحاجة إلى الشعور بالواجب [4] - فى مجال توظيف السلوك - الذى يكون له أثر فى تنظيم وتوجيه دوافعه وانفعالاته وخبراته ، وأن التصور للغايات العليا ، لا يكفيه لرسم منهجه الذى له أثر فى تكوين خبراته الانفعالية ، وإنما لا بد من رسم المنهج المؤدى إلى هذه التصورات الغائية العليا .

وبما أن الإنسان يتمتع بالحرية والإرادة والاختيار ، وهو خليفة لله فى أرضه ، فإن له حركيته التى لها أثر فى هذا المنهج ، ولذا لا بد من صيانة هذا المنهج بالجانب التعبدى كخط دفاعى أول ، والعقوبات كخط دفاعى ثان [5] .

---

(١) د . عبد الحكيم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ٢٤ ، ٢٧ - ٢٨
د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك (مرجع سابق) ص ١٠٨ - ١٠٩

(٢) فصلت : ٥٣ (٣) العنكبوت : ٢٠

(٤) محمد مظهر سعيد : علم النفس الإجتماعى (مرجع سابق) ص ٥٠

(٥) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٤٢ - ٤٤٤

قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

فالتشريع السماوى إنما هو هداية للعقل الإنسانى (٣) من أن يتأثر بالعوامل السلبية التى لها أثر عليه من جهة ، وتكريم له من أن يكون محطة للتجارب من جهة أُخرى .

وإن التشريع الإلٰهى يوافق العقل الإنسانى ، ولا يعارضه (٤) ، إلا لعوامل سلبية يمكن له إدراكها ولو بعد حين ، وذلك لأن ما يمكن للإنسان إدراكه بحواسه يتفق فيه العقل والشرع إلا إذا كان إدراكه للدلالة الشرعية أو العقلية أو لإحداهما منقوصاً ، وأما ما لم تقع عليه حواسه فلا يمكن له إدراك حقيقته إلا بإيمان فى وجوده حقيقة ، عن طريق وحى إلٰهى أو إدراك لآثارها ، أو لهما .

ولذلك يجب تقديم الشرع على العقل وهو ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة ، بخلاف ما ذهب إليه المعتزلة (٥) .

وإن قضية الصراع بين أهل السُّنَّة والجماعة والمعتزلة فى موضوع العقل إنما

---

(١) العنكبوت : ٤٥ (٢) البقرة : ١٧٩

(٣) الحارث بن أسد المحاسبى : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ٢١٨ - ٢١٩

د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ١٨ - ٢١

ابن القيم : مدارج السالكين ، تحقيق محمد حامد الفقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ ، جـ ١ ص ٢٢

(٤) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١١٣ ، ١١٦ - ١١٧

(٥) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٨٣

د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ١٩ - ٢٠ .

الحارث بن أسد المحاسبى : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ١٣٦

يعود إلى الاتجاه الفلسفى الذى أخذ به المعتزلة من الفلسفة اليونانية التى تقول بالعقل الأول مما لا يتفق مع روح الإسلام ، اعتماداً على أحاديث ضعيفة أو موضوعة عند أهل الجرح والتعديل .

ولعل أول كتاب فى « العقل وفضله » ما يُنسب إلى ابن المحبر [١] ، وهو الذى يعتمد عليه المعتزلة فى الكثير من الأدلة ، وقد قال الخطيب البغدادى عن هذا الكتاب : حدثنى محمد بن على الصورى قال : سمعت عبد الغنى بن سعيد عن الدارقطنى قال : كتاب العقل وضعه أربعة ، أولهم ميسرة بن عبد ربه ، ثم سرقه منه داود بن المحبر ، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة ، وسرقة عبد العزيز بن أبى رجاء ، فركبه بأسانيد أخرى ، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزى فأتى بأسانيد أخرى [٢] .

كما قال علماء الجرح والتعديل عن ابن المحبر [٣] :

قال الذهبى : إنه صاحب « العقل » وليته لم يصنفه .

وقال الدارقطنى : متروك .

وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث ، غير ثقة .

وقال ابن معين : « ما زال معروفاً بالحديث يكتب الحديث ثم تركه ، وصاحَب قوماً من المعتزلة فأفسدوه وهو ثقة » وقال : « كان داود ثقة ، ولكنه جفا الحديث ثم حدَّثَ » [٤] .

---

(١) داود بن المحبر بن قحذام أبو سليمان البصرى ، توفى سنة ٢٠٦ هـ

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، مطبعة الخانجى ، القاهرة ط ١ ، ١٣٤٩ هـ ، جـ ٨ ص ٣٦ .

(٣) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار المعرفة ببيروت ، جـ ٢ ص ٢ .

محمد ناصر الدين الألبانى : الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، المكتب الإسلامى ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ص ١٣

أحمد بن على بن حجر العسقلانى : تقريب التهذيب ، دار المعرفة ، ببيروت ، ط٢ ، ١٣٩٥ هـ ، جـ ١ ص ٢٣٤

(٤) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٢ .

ابن أبى الدنيا : العقل وفضله ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ص ٣ - ٤

ومن الأدلة التى أخذ بها المعتزلة من كتاب « العقل وفضله » لتأييد مذهبهم حديث « أول ما خلق اللّه العقل قال : له أقْبِل ، فأقْبَل ، وقال له : أدْبِر ، فأدبَرَ ، قال : ما خلقتُ خلقاً أكرم عليَّ منك ، فيك آخذ ، وبك أعطى ، وبك الثواب ، وبك العقاب ... » .

ولقد روى ابن أبى الدنيا فى كتابه « العقل وفضله » عن ابن المحبر [1] ، كما روى هذا الحديث بإسنادين بلفظ آخر وهما : « لما خلق اللّه العقل قال له : أقْبِل فأقْبَل .. » [2] و« لما خلق اللّه تعالى العقل قال له : قم ، فقام .. » [2] .

وهذا يؤيد قول ابن معين : « ما زال معروفاً بالحديث يكتب الحديث ثم تركه ، وصاحب قوماً من المعتزلة فأفسدوه ... » وقوله : « جفا الحديث ثم حدَّث » .

وإن أفضل ما قيل عن هذه الأحاديث الثلاثة السابقة ، أنها أحاديث ضعيفة [3] .

كما أن قوله : « قال : ما خلقتُ خلقاً أكرم عليَّ منك » فى مقام رواية ابن المحبر يدل على أن هنالك خلقاً قبله لغيره ، وهذا لا ينطبق عليه اصطلاح « العقل الأول » عند الفلاسفة ، وهو ما ليس قبله مخلوق [4] . ولقد كان للمبالغة فى العقل عند المعتزلة أثر كبير فى إعطائه الحرية المطلقة ، والاختيار الكامل ، والمعرفة التى تسبق الشرع ، ووجوب الهداية على الإنسان بالعقل ، فهو مكلَّف عندهم قبل ورود التبليغ [5] .

وذلك مردود لما يأتى :

---

(١) ابن أبي الدنيا : العقل وفضله (مرجع سابق) ص ١١

(٢) المرجع السابق : ص ١٢

(٣) محمد ناصر الدين الألبانى : الأحاديث الضعيفة والموضوعة (مرجع سابق) ص ١٣

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف بالرباط . جـ ١٨ ص ٣٣٧

(٥) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٥٨ - ١٥٩

١ - لو كان الأمر كذلك لكان القائد الحقيقى للإنسان العقل لا الكتب المقدسة ، كما أن التكليف إنما يكون بعد التبليغ وهو ما ذهب إليه أهل السُنّة والجماعة [١] .

قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُسُلِ ، وكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِه ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [٣] .

٢ - إن المعتزلة يُحمِّلون الإنسان فوق طاقته ، وقدراته ، وإمكانياته ، لأن قضية الخير والشر ، وقضية الحُسن والقُبح ، إنما هما من القضايا النسبية [٤] .

٣ - إن العقل وإن اكتشف شيئاً من الحقيقة ، فلا يرى أنه ملزم بها إلا بإيمان بمبدإ له حق الاحترام [٥] .

٤ - إن هناك عوامل كثيرة مؤثرة فى العمليات العقلية تحيط به كالدوافع الفطرية ، والخبرات الانفعالية ، وطبيعة الانفعالات ، لتؤثر عليه تأثيراً مباشراً وغير مباشر ، فالإنسان ليس آلياً .

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب . (مرجع سابق) ، ص ١٨٣
د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل ص ١٧ ، ١٩ - ٢٠ .
فخر الدين الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ١١ ص ١١٢ - ١١٣
ابن القيم : مدارج السكاكين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢١٧

(٢) النساء : ١٦٥ (٣) الإسراء : ١٥

(٤) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس البشرية (مرجع سابق) ص ١٨٥
د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٦٢

(٥) المرجع السابق : ص ١٨١ ، ١٨٣

٥ - إن النزعة العقلية هذه لا تتناسب مع مقام العبودية لله تعالى ، كما تجعل للعقل حق السيطرة والتحكيم على النص الشرعى [١] .

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدىً وَشِفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي أَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً ، أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٤] .

٦ - إن العودة إلى قصة خلق آدم عليه السلام ، وأن خلقه إنما كان بأمره تعالى « كن » فكان ، وليس فيه إشارة إلى هذا الجدل [٥] الذى يُذكِّر إلى حد ما بالخلاف عند الماركسيين فى أيهما أسبق فى الوجود : المادة أو الفكر [٦] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٧] .

٧ - إن ما يراه المعتزلة من إعطا الحرية المطلقة ، والاختيار الكامل للإنسان ، دفعاً لنسبة الظلم لله تعالى ، وأن الخير من إرادة الله ، وأن الشر من إرادة

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٥٩
د. عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل (مرجع سابق) ص ٢٣
الحارث بن أسد المحاسبى : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ٢٧١ - ٢٧٤
(٢) البقرة : ١٥١ (٣) فصلت : ٤٤ (٤) الجاثية : ٢٣
(٥) د. محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٦٦
(٦) المرجع السابق ص ١٦٦
م . روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٣٣٦
(٧) آل عمران : ٥٩

الإنسان ، فإنه يوقع فى المعارضة بين إرادة الخالق ، وإرادة المخلوق [1] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [3] .

فإن للّه تعالى إرادة كونية ، وإرادة شرعية ، وللمخلوق إرادة واختيار لا تخرج عن إرادته تعالى ، لأن قضية الخير والشر ، وقضية الحُسن والقبح ، إنما هى أمور مخلوقة للّه تعالى ، والإنسان فاعل مختار بإرادة خلقها اللّه فيه ، واللّه مُطلّع على إرادته واختياره اطلاعاً أزلياً كان لهما الإقرار فى الوجود ، كما أن الانسان يقع له ما لم يرده ، ولم يختره جزاءً أو امتحاناً [4] .

قال تعالى : ﴿ مَا أصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِى الأرْضِ وَلاَ فِى أنْفُسِكُمْ إلاَّ فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأَهَا ، إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ مَا أصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إلاَّ بِإذنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إذَا أصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إنَّا لِلَّهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [7] .

* * *

● العقل .. هو مناط التكليف :

لقد سبق القول بأن ما يكتشفه العقل من حقائق ليس لها صفة الإلزام إلا

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٦٤

(٢) الإنسان : ٣٠ . (٣) التكوير : ٢٩

(٤) عبد العزيز بن ناصر الرشيد : التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ، مطبعة الإمام بمصر ، ص ٦٦
د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان (مرجع سابق) ص ١٤٧ - ١٤٨

(٥) الحديد : ٢٢ (٦) التغابن : ١١ (٧) البقرة : ١٥٦

بالتكليف الشرعى ، والعقل هو وسيلة للإدراك والمعرفة والعمل ، وإن العقل ينسجم مع العقيدة الإسلامية ، بل وتفتح له أبواب البحث وتستميله وتدفعه بأن يقوم بوظيفته .

وإن القرآن الكريم يذكر العقل فى مقام التعظيم ، والإشارة إلى العمل به وتحكيمه [١] .

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٣] .

وإن الإنسان له الحرية والاختيار فى أن يكون خليفة للّه تعالى فى أرضه متحملاً مسؤولياته ، لتلتقى إرادة الإنسان مع إرادة الخالق الشرعية فى إحلال النظام ، أو أن يكون منهجه هواه ، مكتفياً بدوافعه ، وانفعالاته ، وخبراته كالحيوان [٤] .

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) د . عبد الغنى عبود : اللّه والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ١٣٤ - ١٣٥
أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٣

(٢) فصلت : ٥٣ (٣) البقرة : ١٦٤

(٤) د . عبد الغنى عبود : اللّه والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ١٣٥
حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٦٥

(٥) البقرة : ١٥١ (٦) الأنفال : ٢٢

وقال تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (١) .

وإن العقل حقيقة باطنية يحدث نموه بالتدرج (٢) ، ولذلك كان البلوغ من شروط التكليف ، والتكليف ساقط عن غير العاقل ، لأحد الأسباب التالية (٣):

(أ) حداثة السن الذى يجعله يفتقر إلى الخبرات التى تؤهله إلى التفكير السليم .

عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » (٤) .

وعن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : « لم أعقل أبوىَّ إلاَّ وهما يدينان الدين » (٥) .

(ب) عدم القدرة على الإدراك والفهم لعوامل كامنة فى الذات ، أو فى القدرات العقلية كالأبله ، والمعتوه ، والمجنون .

عن عبد اللّه بن بريدة عن أبيه أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول اللّه ﷺ فقال : يا رسول اللّه ؛ إنى ظلمتُ نفسى وزنيتُ ، وإنى أُريد أن تطهرنى ... فأرسل رسول اللّه ﷺ إلى قومه فقال : « أتعلمون بعقله بأساً تنكرون فيه شيئاً » ؟ ، فقالوا : ما نعلمه إلا وفى العقل من صالحنا فيما نرى ... » (٦) .

وعن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » ، وفى رواية : « وعن المعتوه حتى يعقل » (٧) .

---

(١) الفرقان : ٤٤

(٢) د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٨٤

(٣) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٤٢ – ١٤٦

(٤) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفع القلم عن ثلاثة ، جـ ٢ ص ١٧١

(٥) رواه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب : المسجد يكون فى الطريق من غير ضرر ، جـ ١ ص ١٢

(٦) رواه مسلم فى كتاب الحدود ، الحديث ٢٣ ، جـ ٢ ص ٢٣٢٣

(٧) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفع القلم عن ثلاثة ، جـ ٢ ص ١٧١

(جـ) فقد الوعى كالنوم والمرض الذى قد يشل التفكير .

عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر بن عبد اللّه يقول : « دخل علىّ رسول اللّه ﷺ وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ فصبُّوا علىّ من وضوئه ، فعقلت » [١] .

وعن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ... وعن المجنون حتى يعقل » ، وفى رواية : « وعن المعتوه حتى يعقل » [٢].

(د) النسيان الذى يعنى ضعف الذاكرة والحافظة :

عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج رسول اللّه ﷺ فى أضحى - أو فطر - إلى المُصلّى ، فمر على النساء فقال : « يا معشر النساء ؛ تصدقن فإنى رأيتُكن أكثر أهل النار » فقلن : وبِمَ يا رسول اللّه ؟ قال : « تُكثرن اللّعن ، وتَكْفُرن العشير ، ما رأيتُ من ناقصات عقل ودين أذهب للُب الرجل الحازم من إحداكن » ، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول اللّه قال : « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل » ؟ قلن : بلى . قال : « فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ، ولم تصم »؟ قلن : بلى . قال : « فذلك نقصان دينها »[٣].

ولقد جاء تعليل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فى القرآن الكريم بما يرجع إلى الذاكرة والحافظة [٤] .

قال تعالى : ﴿ ... وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ، فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ... ﴾ [٥] .

* * *

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الفرائض ، حديث ٨ ، جـ ٣ ص ١٢٣٥

(٢) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رفع القلم عن ثلاثة جـ ٢ ص ١٧١

(٣) رواه البخارى فى كتاب الحيض ، باب : ترك الحائض الصوم ، جـ ١ ص ٧٨

(٤) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٧٠.
سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٣٣٦

(٥) البقرة : ٢٨٢

الباب الرابع

الإنسان والدوافع

- الدوافع الفطرية .
- الدوافع المكتسبة .
- تعديل الدوافع .

تمهيد

إن الدوافع الإنسانية تعتبر المُحرِّك الأول له فى حياته المعيشية ، والفكرية ، والخُلُقية [1] .

وتتعدد الدوافع إلى دوافع فطرية عضوية ، وفطرية نفسية ، ومكتسبة نفسية ، وإن الالتقاء بينهما وبين القدرات العقلية خلق اختلافاً فى أسلوب الاستثمار والتوجيه والتوظيف لها ، حسب الإرادة والاختيار ، لأنها مصحوبة بالوعى والشعور الوجدانى ، فليست دوافع عمياء كالدوافع عند الحيوانات والطيور[2].

ولذلك فهى قابلة للتعديل والتغيير بالإعلاء والإبدال ، مما جعل الإنسان أهلاً للتكليف ، وإن التفاعل بين الدوافع الإنسانية تتطلب إيجاد التعادلية والاتزان بينها [3] .

كما أن الدوافع الفطرية العضوية ، والدوافع النفسية التى ترتبط بها مباشرة ارتباطاً قوياً ، كدوافع الخلود والتملك .. تعتبر دوافع أقرب للإلزام منه للاختيار ، بينما نجد أن دافع التدين ليس له ارتباط مباشر بالدوافع العضوية ، ولذلك فهو أقرب للاختيار منه للإلزام ، فهو أقرب للارتباط الروحى ، وهو الذى يمكن له إيجاد التعادلية بين الدوافع من جهة ، والاستثمار والتوجيه من جهة أخرى ، عن طريق الدوافع الإيمانية .

ولقد قسَّم علماء النفس الدوافع الإنسانية بطرق شتَّى ، وطرق متباينة ، فهناك من جعلها قسمين ، وهما : الدافع الجنسى ، ودافع العدوان ، وهما فطريان عند فرويد وتلاميذه ... [4] .

---

(١) انظر د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٢

(٢) انظر د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٤
محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠
محمد متولى الشعراوى : الإسلام حداثة وحضارة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٥

(٣) انظر د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٥

(٤) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٦٩

كما أن ماكدوجال [١] جعلها (١٤ غريزة) ، وجعلها وليم چيمس[٢] (٣٢ غريزة) [٣] ... ولا داعى لإيضاحها لأنها تدخل من ضمن التقسيم الذى عملت به كدوافع مشتقة أو مُركَّبة منها [٤] .

وقبل الشروع فى تفصيل ذلك أحب أن أُشير إلى حرصى على عدم التكرار والإعادة قدر الإمكان ، لأن هناك تداخلاً وتفاعلاً بين الدوافع من جهة ، كما سبق الحديث عن جوانب منها من جهة أُخرى .

وإن الدوافع الإنسانية تنقسم إلى قسمين رئيسيين وهما : الدوافع الفطرية والدوافع المكتسبة .

ولتفصيل ذلك عقدتُ لها الفصول التالية :

الفصل الأول : الدوافع الفطرية .

الفصل الثانى : الدوافع المكتسبة .

الفصل الثالث : تعديل الدوافع .

* * *

---

(١) ماكدوجال ، وليم : عالم نفس بريطانى عاش فيما بين (١٨٧١ - ١٩٣٨) ، وكان لدراساته أثر كبير فى إرساء قواعد علم النفس التجريبى والفسيولوچى فى إنجلترا ، ومن أشهر كتبه « مقدمة لعلم النفس الاجتماعى » عام ١٩٠٨ .

انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٦ ص ٢١٨

(٢) چيمس ، وليم : فيلسوف وعالم نفس أمريكى عاش فيما بين (١٨٤٢ - ١٩١٠) ، وأشهر كتبه « مبادىء علم النفس » عام ١٨٩٠ ، و« ضروب الخبرة الدينية » عام ١٩٠٢ م

انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٢٢٣

(٣) د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث . دار الشروق بجدة ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٩٢ - ٩٣

(٤) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٣٥

الفصل الأول

الدوافع الفطرية

إن الدوافع الفطرية هى التى خُلِق الإنسان عليها بطبعه ، فهى صفات موروثة ، وتنقسم إلى قسمين وهما :

• الدوافع الفطرية العضوية :

وهى التى ترجع إلى أساس فى طبيعة التكوين العضوى للإنسان ولعل أهمها :

(أ) الدافع الجنسى :

وهو من الدوافع الفطرية العضوية التى يجدها كل إنسان سَوِىّ فى تكوينه ، وهو ضرورى لبقاء النوع ، وهو مما يعمل على تكوين الأسرة التى تُعتبر الخلية الأُولى فى المجتمع [1] .

وإن قانون الزوجية من السُنَن التى تسير عليها جميع المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

فنظام الزوجية للمخلوقات إجبارى فى التوافق والتوازن والانسجام والثبات ،

---

(١) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٤٨

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ص ٣٤

د . نبيل محمد السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (مرجع سابق) ص ٨٧

(٢) الذاريات : ٤٩ (٣) يس : ٣٦

لأنها ليس لها صفة الإرادة والاختيار ، عدا الإنسان والجان - فيما نعلمه - اللّذين وقع عليهما التكليف الشرعى ، فهما يتصفان بالإرادة والاختيار والمسئولية .

قال تعالى : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدَاً ﴾ (٣) .

وإن الإسلام ينظر إلى الزواج على أنه رباط قوى وتكملة للنسق المادى والمعنوى لكل من الزوجين (٤) - نعمة من اللّه تعالى على عباده - يعقبها النسل المُحبّب للنفس .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنَ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجَاً لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٥).

فإن آدم عليه السلام لم يُغنه وجوده فى الجنة عن العلاقة الزوجية (٦) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧) .

كما أن أصحاب الجنة فى الآخرة لم يُغنهم وجودهم فيها عن العلاقة الزوجية .

---

(١) الأحزاب : ٧٢ (٢) الذاريات : ٥٦ (٣) الجن : ١ - ٢

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٦٩

(٥) الروم : ٢١

(٦) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧٠

(٧) البقرة : ٣٥

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [١] .

فإن الإسلام يقر بهذا الدافع ، ويأمر برعايته وتوجيهه واستثماره ، فلا ينكره ، ولا يحقره ، ولكن يعمل على وضع القواعد المشروعة والمبادىء الأخلاقية الثابتة التى تعمل على إنجاحه ، وتضمن استمراريته المقرونة بالمودّة ، والرحمة ، والألفة ، والمعاشرة بالمعروف ، لبناء الأسرة الصالحة ؛ وفق الغاية المطلوبة من الفرد فى إصلاح ذاته وأسرته ومجتمعه ، والذى يحقق نقاء النسل ، وعدم اختلاطه [٢] .

وإن قوة العلاقة الزوجية ، والأمن والطمأنينة التى تتمتع بها ، لها دور كبير فى رعاية وتربية الأفراد ، ليصبح كل فرد عضواً صالحاً فى المجتمع ، وبهذا يتحمّل كل فرد قطاعاً من المجتمع ، يرعاه ولا يدّخر وسعاً فى أن ينهض به ، فتتضافر الجهود الأسرية والاجتماعية فى خدمة المجتمع [٣] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٥] .

---

(١) الدخان : ٥١ - ٥٤

(٢) د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ١٤٧ - ١٥١

د . محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية ، دار ومكتبة الهلال ، ببيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ، ص ٤٩

محمد قطب : فى النفس والمجتمع . دار الشروق ببيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٦٧

(٣) محمد متولى الشعرواوى : الإسلام حداثة وحضارة (مرجع سابق) ص ١٤٥ - ١٤٦

(٤) النساء : ١ (٥) الحجرات : ١٣

عن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته » [(١)] .

وإن الرسول ﷺ لإحساسه المرهف وأخلاقه العالية ليأنس بهذه السُنَّة الإلٰهية - العلاقة الزوجية - حتى فى جهاده [(٢)] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه [(٣)] .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كان النبى ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه ، فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبى ﷺ ، فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى ، فخرجتُ مع النبى ﷺ بعدما أُنزل الحجاب[(٤)] .

ولقد حرَّم الله تعالى إشباع هذا الدافع وفق مبدأ اللّذة الفوضوية الإباحية ، التى تقضى على قيمة الإنسان الحقيقى ، وتجعل بناء الأسرة هشاً ، وبناء المجتمع أهش منها ، وما تؤدى إليه من اختلاط الأنساب وتعكر النسل ، وقد يصل الأمر إلى انعدام الأسرة ، لفقدان القيمة الحقيقية للحياة الزوجية ، المقرونة بالمحبة والمودَّة والأُلفة ، التى تُرسى بناء الأسرة ، فالمنافرة بين الطيب والخبيث ثابتة قدراً وشرعاً ، ويترتب على هذه الإباحية أمراض اجتماعية كثيرة ومحزنة [(٥)] .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن ، جـ ١ ص ٢١٥

(٢) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧١

(٣) رواه البخارى فى كتاب الهبة ، باب : هبة المرأة لغير زوجها ، جـ ٣ ص ١٣٥

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجهاد ، باب : حمل الرجل امرأته فى الغزو دون بعض نسائه ، جـ ٣ ص ٢٢١

(٥) أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ١٦٠ - ١٦٣

ابن القيم : إغاثة اللّهفان من مصائد الشيطان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨١ - ٨٢

محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام . دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٢٣٠ - ٢٣٢

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه « أن فتى شاباً أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إئذن لى بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا مَهْ ، فقال : أدن ؛ فدنا منه قريباً ، قال : إجلس ، فجلس . قال ﷺ : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال ﷺ : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال ﷺ : أفتحبه لأُختك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال ﷺ : أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لعمَّاتهم ، قال ﷺ : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك ، فقال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال : فوضع يده ﷺ عليه ثم قال : اللّهم اغفر ذنبه ، وطهِّر قلبه ، وأحصن فرجه ، قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء » (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... ﴾ (٣) .

ولقد جاء التوجيه الإسلامى للفرد بالعفاف والطهارة من الدنس ، ووجوب الزواج الشرعى عليه فى حالة الخوف على النفس من الوقوع فى الفحشاء مع مقدرته عليه ، أما إذا لم يخف على نفسه من ذلك مع مقدرته عليه فإنه يُسَّن له ذلك (٤) ، أما مَنْ لم يقدر عليه فليصبر حتى يُغنيه الله من رزقه ،

---

(١) الأعراف : ٣٣

(٢) رواه الإمام أحمد جـ ٥ ص ٢٥٦ (٣) النور : ٣٣

(٤) أبو بكر جابر الجزائرى : منهاج المسلم - دار الفكر ، ط ٨ ، ١٣٩٦ هـ ، ص ٣٧٢

وإن كان يجد لهذا الصبر مايقابله . من الإلحاح والضغط الذى يُشعره بالضعف فإن عليه بالصوم .

عن علقمة قال : بينما أنا أمشى مع عبد الله رضى الله عنه فقال : كنا مع النبى ﷺ فقال : « مَن استطاع منكم الباءة [1] فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء [2] » [3] .

وإن للصوم فى هذه الحالة فوائد كبيرة على مستوى الفرد والمجتمع ، ففيه الأجر ، والانتصار على هذا الدافع والعواطف المصاحِبة له ، كما أنه يعمل على نقل الفرد من الحالة التى يشعر فيها بالحرمان ، والذى قد يبنى لديه خبرات انفعالية سلبية كالحقد والحسد والاعتداء ... إلى الحالة التى يطمئن فيها بالعبادة ، والمراقبة للّه تعالى ، والتى تمنحه الرضا والسعادة النفسية والأمل والثواب ... وهذا يُعد علاجاً نفسياً سامياً .

كما أن الصيام يعمل على إضعاف هذا الدافع ، لأن دافع الجوع أقوى من الدافع الجنسى [4] ، والصيانة للفرد فيها صيانة للمجتمع من أمراض الانحراف كما سبق .

وبما أن الإسلام دين الفعاليات الحياتية للإنسان الاجتماعية والاقتصادية ... فإنه يمنعه من أن يقوم بعملية الرهبنة والتبتل ، فهما ليسا مما يرضاهما الله ورسوله .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا :

---

(١) الباءة : القدرة على الجماع ومؤنته .

(٢) الوجاء : رضُّ الخصيتين ، والمراد به دفع الشهوة وشرها .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الصوم ، باب : الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ، جـ ٢ ص ٢٢٨

(٤) النووى : صحيح مسلم بشرح النووى (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٧٣

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٦٩

وأين نحن من النبى ﷺ ، قد غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإنى أُصلّى اللّيل أبداً ، وقال آخر ، أنا أصوم الدهر ولا أُفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول اللّه ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما اللّه إنى لأخشاكم للّه ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأُفطر ، وأُصلّى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »[1].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

وكما أن الإسلام عمل على بناء الفرد للتحكم والتوجيه لهذا الدافع ، فقد عمد إلى سد أبواب ودواعى الإثارة الجنسية ، فأمر بصيانة الجوارح كغض البصر ، وتطهير السمع .. وأمر بالتستر الشرعى ، وحرَّم التطيب والتزين للمرأة فى خروجها من بيتها ، ومنع الاختلاط غير الشرعى [3] .

وذلك لإعانة الفرد على صيانة نفسه من الانزلاق والوقوع فى الفحشاء .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ، ذَٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح ، جـ ٦ ص ١١٦

(٢) الأعراف : ٣٢

(٣) د . محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية ، ص ٣٩ ، ٦٣ - ٦٨
سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٦

التَّابعينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ، وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ، وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « لا يَخلُونَ رجل بامرأة إلا مع ذى محرم ... » (٢) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى النبى ﷺ فخلا بها ، فقال : « والله إنكن لأحب الناس إلىّ » (٣) .

(ب) دافع الأمومة :

إن الدراسات العضوية الحديثة أثبتت أن هناك إفرازات هرمونية لهذا الميل ، وهو ميل الأم لابنها ورعايته ، وقد تم إجراء التجارب المعملية على الحيوانات ، والقردة ، كما تم إثارة العذراء به ، لتحس بعاطفة المحبة للطفل والعناية به ، مما يدل على أن هذا الدافع له ارتباط بجوانب عضوية ، بالإضافة إلى ما يمكن أن يكون من دوافع نفسية فطرية أو مكتسبة (٤) .

قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (٥) .

وإن ورود لفظ « البنين » بين لفظ « النساء » ، وهو يمثل الدافع الجنسى - ولفظ « القناطير ... » ، وهو يمثل دافع حب التملك قد يكون إشارة إلى أن دافع حب الأبناء دافع فطرى .

---

(١) النور : ٣٠ - ٣١

(٢) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : لا يخلو رجل بامرأة إلا ذو محرم ، جـ ٦ ص ١٥٩

(٣) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس ، جـ ٦ ص ١٥٩

(٤) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٧٧ - ١٧٨

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٤

(٥) آل عمران : ١٤

ولذلك يجب على الوالدين أن يكون هذا الدافع للأبناء موجهاً ، لا إفراط ، ولا تفريط ، لتكون تربيتهم تربية صالحة ، وأن يحذرا التفريق بينهم فى المعاملة ، وأن يحرصا على المساواة والعدل بينهم ، ليتجنبا ما قد يجعل البعض منهم يحس بالحرمان من العطف والعناية والرعاية ، والذى قد يبنى لديهم خبرات انفعالية سلبية كالحقد والحسد على إخوانهم وأخواتهم الذين حصلوا على التفضيل (١) ، كما جاء فى قصة يوسف عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٢) .

وعن النعمان بن بشير قال : تصدَّق عليَّ أبى ببعض ماله ، فقالت أمى – عمرة بنت رواحة – : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ ، فانطلق أبى إلى النبى ﷺ ليُشهده على صدقتى ، فقال له رسول الله ﷺ : « أفعلتَ هذا بولدك كلهم » ؟ قال : لا ، قال : « اتقوا الله ، واعدلوا فى أولادكم » ، فرجع أبى فرد تلك الصدقة (٣) .

وعن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « ألك بنون سواه »؟ قال : نعم ، قال : « فكلهم أعطيتَ مثل هذا »؟ قال : لا ، قال : « فلا أشهد على جور » (٤) .

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ١٨ ص ٩٥
النووى : صحيح مسلم بشرح النووى (مرجع سابق) جـ ١١ ص ٦٦
محمد متولى الشعراوى : الإسلام حضارة وحداثة (مرجع سابق) ص ١٣٥ – ١٣٦
د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٦٧
(٢) يوسف : ٧ – ١٠ .
(٣) رواه مسلم فى كتاب الهبات ، حديث ١٣ ، جـ ٣ ص ١٢٤٢
(٤) رواه مسلم فى كتاب الهبات ، حديث ١٥ ، جـ ٣ ص ١٢٤٣

وإن ذلك إذا لم يكن هنالك ضرورة للتفريق [1] كالمرض والفقر ... وإلا فينبغى إيضاح هذه الضرورة والمبررات للإخوان والأخوات ، حتى تطيب أنفسهم بها .

كما أن هناك دوافع فطرية عضوية أخرى كالتنفس للهواء الطلق ، والجوع ، والعطش ، والحرارة ...

٢ - الدوافع الفطرية النفسية :

لقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن الدوافع النفسية ، دوافع مكتسبة من البيئة [2] ، ولكن اطلاع العلماء على بعض الحيوانات والطيور والحشرات ، أثبتت أن هناك دوافع لا يمكن أن تكون مكتسبة .

« فهناك نوع من الزنابير عندما توشك أُنثاه على وضع البيض ، فإنها تحفر حفرة فى الأرض ، ثم تذهب لكى تصطاد نوعاً من العناكب ، وبعد أن تصطاده تُوخزه وخزة خفيفة بحيث لا يموت فى الحال ، ثم تحمله إلى حفرتها حيث يوجد بيضها ، فإذا ما خرجت صغارها وجدت أمامها العناكب طعاماً شهياً ، والعجيب فى هذا الحيوان أن الأُم تهجر بيضها بعد وضعه ، وإعداد الطعام لأفراخها الصغار ، ولا تراها بعد ذلك طوال حياتها .

هذه الأفعال وأمثالها أفعال فطرية موروثة ، لم يكتسبها الحيوان عن طريق الخبرة ، أو التعلم ، أو التقليد والمحاكاة ، فالزنابير لم يسبق لها أن رأت أُمهاتها تقوم بهذا العمل »[3] .

---

(١) أحمد بن على بن حجر : فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، رَقَّمَ كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى ، دار المعارف بيروت ، جـ ١ ص ٢١٤ - ٢١٥

(٢) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٣٧

(٣) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١١٤

انظر : شوقى أبو خليل : غريزة أم تقدير إلهى . دار الفكر بدمشق ، ط ١ ، ١٣٩٥ هـ ، ص ١١٤

وكذلك الطيور الصغيرة التى تتربى فى أعشاش صناعية إذا ما شعرت بقرب موعد وضع البيض ، بدأت فى بناء أعشاشها الطبيعية دون سابق تعلم أو تدريب [١] .

ولقد جاءت الإشارة فى القرآن الكريم إلى ثلاثة دوافع نفسية ، وهى : دافع التدين ، ودافع الخلود ، ودافع التملك ، وقد يدخل تحتها بعض الدوافع النفسية مما ذكره علماء النفس كدوافع مشتقة أو مركبة .

وفيما يلى شىء من التفصيل لذلك :

● دافع التدين :

إنه دافع نفسى يجده الإنسان فى أعماق الذات ، يجد فى رعايته الأمن ، والطمأنينة ، واليقين ، والاتزان .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يُولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، ويُنَصِّرانه كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء ؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها ، قالوا : يا رسول الله ؛ أفرأيتَ من يموت وهو صغير ؟ ، قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » [٣] .

فإن الإنسان يتمتع بقدرات عقلية ، يميز بها بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، وتتيح له فرصة التأمل والتفكير فى الكون والنفس ، الذى يرشده إلى ما يطمئن إليه .

---

(١) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢ .
د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١١٤
(٢) الروم : ٣٠ .
(٣) رواه البخارى فى كتاب القَدر ، باب : الله أعلم بما كانوا عاملين ، جـ ٧ ص ٢١١

فالعقل يدرك الترابط بين السُنَن والقوانين فى المخلوقات المتنوعة والمختلفة ، ويرجعها دائماً إلى علّة واحدة (١) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّه ، قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّه ، قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّه ، قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢).

وكذلك التأمل والتفكير فى القرآن الكريم والسُنَّة النبوية ، يجد بهما الطمأنينة ، لموافقتهما العقل ، وما تدعو إليه الفطرة ، فالعقل أساس النقل ، والنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح (٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ (٥) .

فالعقل قيم على الفطرة بالرعاية ، فتتلون بألوان مختلفة مضيئة ومظلمة(٦) ،

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٥٧ – ٥٩

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ، ص ١٢٤

د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك فى البنية الإسلامية (مرجع سابق) ص ٧٣ – ٨٨

(٢) المؤمنون : ٨٤ – ٩٠.

(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٤٧ – ٤٨

(٤) البقرة : ١٦٤

(٥) الطارق : ٥ – ٨

(٦) عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٧.

فإذا لم يكن ناضجاً ، أو لم يكن ثابتاً فى الأساس ، لعوامل ذاتية أو اجتماعية ، فإن هذا الدافع ليس له قوة داخلية تصونه من العوارض الانحرافية (١) .

عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء » ؟ (٢) .

ففى فطرته يجد دافع التدين ، وفى عقله يجد الأدلة والبراهين على توحيد اللّه تعالى ، وعظمته ، والافتقار إليه ... وحيث إن الإنسان ليس له القدرة على رسم التصورات العليا ، والمنهج الذى يُشبع هذا الدافع ، ويُرضى العقل ، لعدم إدراكه أسرار المسائل المتعلقة به من فعالياته الحياتية (٣) ، فضلاً عن التصورات العليا للوجود .

ولذلك لا بد أن يكون رسم هذه التصورات العليا والمنهج ممن يملك القدرة على إدراك أبعادها ، ولذلك فالوحى ضرورى لهداية الفطرة بنوره ، ووجوده ، ويكون للعقل القيادة والإرشاد لها (٤) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥) .

---

(١) عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢١٦٧

محمد باقر الصدر : اقتصادنا . دار الكتاب اللبنانى ببيروت ،١٤٠٣ هـ ، ص.٢٨ - ٢٨١

(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ١١ ص ١١٢ - ١١٣

الحارث بن أسد المحاسبى : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ٢١٨ - ٢١٩

عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٦٩

(٥) المائدة : ١٥ - ١٦

ولذلك فالدين ضرورى للإنسان ، ووجوب ربطه بالحياة ، ففطرة التدين ثابتة والدين ثابت ، وفيه يمكن إيجاد الدوافع الإيمانية التى تصون الفطرة من عوارض الانحراف ، فتتكون الدوافع النابعة من الداخل ، فتعمل الرقابة الذاتية للإنسان فى توجيه وتوظيف واستثمار قدراته وسلوكه التى تُشبع دافع التدين ، وتُرضى العقل ، وتخلق الانضباط الذاتى عن يقين واطمئنان [1] ، والذى له دور كبير فى بناء الخبرات الانفعالية الإيجابية كحب العلم ، وحب الخير ، ونبذ الشر . وتخلق عنده الشفافية والطُهر ... وتصونه من الخبرات الانفعالية السلبية كالحقد ، والحسد ، والحب السلبى ، والكُره السلبى ، ليصل الإنسان إلى أعلى درجات السمو رهى درجة الإحسان .

عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه على ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، قال : يا محمد ؛ أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ: « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتُقيم الصلاة ، وتُؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويُصَدِّقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان، قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقَدَرِ خيره وشره » ، قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الإحسان ، قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... » [2] .

وإن دافع الدين كأى دافع فطرى إنسانى ، ليس دافعاً أعمى ، كالدوافع عنـد

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٩ - ١١٠

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ١ ، جـ ١ ص ٣٦ - ٣٨

الحيوانات والطيور [١] ... ولكنه دافع مصحوب بالوعى ، والشعور الوجدانى ، الذي يملك الإنسان معه الاستجابة له ، ويملك عدم الاستجابة له ، ولكن الاستجابة له يخلق التوازن بين العقل والفطرة ، وعدم الاستجابة له يفقده الاتزان بينهما ، ولذلك كان التكليف له ، لأنه يملك الإرادة والاختيار .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ بَلِ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ [٤] .

فالفطرة الإنسانية قابلة للتغيير فى وجهتها ، لعوامل ذاتية وعوامل اجتماعية ، تخلق عنده دوافع نفسية مكتسبة ، لينطوى هذا الدافع فى اللاشعور ، لإهماله والغفلة عنه [٥] .

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [٧] .

فدافع التدين عنصر مما فطر الإنسان عليه ، ولا تفارقه طول حياته ، وإن تأثر

---

(١) محمد متولى الشعرواوى : الإسلام حضارة وحداثة (مرجع سابق) ص ١٧٥
محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠ .

(٢) الشمس : ٧ - ١٠ . (٣) البلد : ٨ - ١٠ . (٤) القيامة : ١٤ - ١٥

(٥) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٤٧

(٦) الحشر : ١٩ (٧) المائدة : ٧

بتلك العوامل ، لأن هذا الدافع المخبوء يبرز إلى الظهور (١) . فى عدة أوجه :

١ - الوقوع فى الشدة والمحنة التى تتطلب النجدة والخلاص (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا ببَنى إسْرَائيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بغْياً وَعَدْواً ، حَتَّى إذَا أدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ الَّذى آمَنَتْ به بَنُواْ إسْرَائيلَ وَأنَاْ منَ المُسْلمينَ * ءَالآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ منَ المُفْسدينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذى يُسَيِّرُكُمْ فى البَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إذَا كُنْتُمْ فى الفُلْك وَجَرَيْنَ بهمْ بريحٍ طَيِّبَة وَفَرحُواْ بهَا جَاءَتْهَا ريحٌ عَاصفٌ وَجَاءَهُمْ المَوْجُ منْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أنَّهُمْ أُحيطَ بهمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلصينَ لَهُ الدينَ لَئنْ أنْجَيْتَنَا منْ هَذه لَنَكُونَنَّ منَ الشَّاكرينَ ﴾ (٤) .

٢ - التأمل والتفكير الصحيح المجرَّد من المركبات الانفعالية السلبية فى الكون والحياة والنفس ، وفى القرآن والسُّنَّة الصحيحة ، والذى يقرع لدى الإنسان أبواب الهداية كما سبق .

قال تعالى : ﴿ سَنريهمْ آيَاتنَا فى الآفَاق وَفى أنْفُسهمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُ الحَقُّ ، أوَ لَمْ يَكْف برَبِّكَ أنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهيدٌ ﴾ (٥) .

٣ - الوقوع فى بعض المعاصى التى تنقص من إيمانه ، فيعمل هذا الدافع على تصحيح الوضع عن طريق النفس اللوَّامة (٦) .

---

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٣٥ - ١٣٦
عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٥٤ .

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٣١٦٤

(٣) يونس : ٩٠ - ٩١ (٤) يونس : ٢٢ (٥) فصلت : ٥٣

(٦) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٩٠ .
الفراء : معانى القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٠٨ .
ابن تيمية : الإيمان ، المكتب الإسلامى بدمشق ، ١٣٨١ هـ ، ص ٢٨٠ .

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن » (١) .

وقال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وبما أن الفطرة ثابتة ، والدين ثابت ، وكلاهما من صنع الله تعالى ، وبينهما تناسب فى الطبيعة والاتجاه ، فإنه يجب أن يكون الدين هو القيم على الحياة ، لاستيعابه جميع الدوافع الذاتية ، والفعاليات الاجتماعية والاقتصادية ... لأنه هو القادر على التحكم فيها ، ووضعها فى إطارها العام الصحيح (٤) .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ (٦) .

والدين الحنيف - عقيدة وشريعة - هو القوة التى تخلق الانضباط الذاتى ، للالتزام بالنظام والانسجام الاجتماعى ، وإيجاد أسباب الأمن والطمأنينة

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الحدود ، باب : لا يشرب الخمر ، جـ ٨ ص ١٣

(٢) القيامة : ١ - ٢ (٣) آل عمران : ١٣٥

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨

محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٧٨

(٥) الروم : ٣٠. (٦) آل عمران : ١٩

والاستقرار ، وهذا يخفف على الرقابة الخارجية - السلطة - أعباء كبيرة فى الأموال والرجال ، مما يجعلها تستثمرها فى نشاطات اجتماعية أُخرى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

« وإن كل الشعوب الإنسانية تتفق على فطرية التدين ، وإن اختلفت فى أسلوب إشباعها للاختلاف فى تصورها للإلّه ، وطريقة عبادته » (٣) ، لعجزهم عن رسم التصورات العليا ، والمنهج الذى يجب أن تسير عليه .

ولذلك فإن أى دين من الأديان - غير الدين الإسلامى الحنيف - لا يستطيع أن يكون قيماً على الحياة لعدم استيعابه الفطرة الإنسانية من جهة ، وفعاليتها الذاتية والاجتماعية من جهة أُخرى (٤) ، فينفرط عقد التعادلية عند الإنسان ، فتجعله يعيش حياة الحيرة والشك والقلق ... كما تضعف الرقابة الذاتية ، لتتحمله الرقابة الخارجية ، التى ليس لها إلا ما أدركته من الظاهر ، وهو ما لا يكفى لضبط السلوك وتوجيهه (٥) . فتكثر عوامل الضغط والكبت الخارجية على الفرد ، فيكون لها آثار سلبية على الصحة النفسية كما تخلق خبرات انفعالية سلبية (٦) .

---

(١) الحجرات : ١٣ (٢) غافر : ٤٠ .

(٣) د . محمد عبد الله دراز: الدين . دار القلم ، الكويت ، ط ٣ ، ١٣٩٤هـ ، ص ٨٠ - ٨٣ ص ٨٧

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٤٥ - ٤٦

سميح عاطف الزين : عن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٨ - ١٠٩

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٠٧

(٦) كلفن هال : اصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠٤ - ١٠٥

قال تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّه ، وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً ، كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [١] .

وعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « مثل ما بعثنى اللّه به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير ، وكانت منها أجادب [٢] أمسكت الماء فنفع اللّه بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تُمسك ماءً ، ولا تُنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه فى دين اللّه ، ونفعه ما بعثنى اللّه به ، فَعَلِمَ وَعَلَّم ، ومثل من يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى اللّه الذى أُرسلت به » [٣] .

وبذلك يتضح أن الالتقاء بين الفطرة والعقل يخلق اختلافاً فى أسلوب استثمار وتوجيه وتوظيف السلوك الإنسانى حسب الإرادة والاختيار ، لما منح الإنسان من صفات هى قبس من صفاته تعالى ، وأن عليه مسئولية عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَئذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَواْ أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَاً يَرَهُ ﴾ [٤] .

وإن الدين الإسلامى هو دين الفعاليات الإنسانية ، وهو الإطار العام الذى يمكن له أن يكون قيماً عليها ، وإن كل عمل عباده ، ولا يُسمح فى تغليب العمل بالعبادات المحضة كالصلاة والصوم ... على حساب الفعاليات الأخرى للإنسان [٥] ، فاللّه تعالى أراد منه عمارة الأرض ، والاستفادة من سُننها

---

(١) الأعراف : ٥٨

(٢) أجادب : قاحلة يابسة ، ضد الخصبة

(٣) رواه البخارى فى كتاب العلم ، باب : فضل من عَلِم وعَلَّم ، جـ ١ ص ٢٨

(٤) الزلزلة : ٦ - ٨

(٥) حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٩٥

وقوانينها بالتغيير والتبديل ، لاستثمار خصائصها وإن لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها [1] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [3] .

وإن هذا لشرف عظيم ، حظى به الإنسان ، لم يكن لغيره من المخلوقات ابتلاءً وامتحاناً ، لأداء وظيفته والوفاء بحقها ...

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [5] .

* * *

• دافع الخلود :

إنه من الدوافع النفسية الفطرية ، التى يجدها كل إنسان فى أعماق ذاته ، فهو اتجاه طبيعى غير منقطع ، والأمل يسير به دائماً إلى الأمام فى طلب المزيد من الحياة [6] .

---

(١) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام . دار الاعتصام ، ط ٣ ، ١٣٩٨هـ ، ص ٦٢ - ٦٣

(٢) الأعراف : ٣٢ — (٣) هود : ٦١

(٤) الأحزاب : ٧٢ — (٥) الإسراء : ٧٠ .

(٦) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧٣ - ١٧٤

ولقد استغل إبليس - لعنه الله - هذا الدافع القوى فى الإيقاع بآدم وزوجه فى المعصية ، عن طريق الإيحاء لهما بأن ما أمرا بتركه هو ما يمنحهما الخلود - حب البقاء - فاستجابا لهذا النداء والإيحاء [1] .

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ﴾ [3] .

وإن الإنسان يتعلم الكثير مما يحفظ ذاته كدافع المقاتلة والهروب والاستغاثة [4] .

وإن الإيمان بالله تعالى وامتثال تشريعه هو الطاقة التى تمنح الخلود الحقيقى ، خلوداً مؤقتاً فى الحياة الدنيوية مليئاً بالسعادة والطمأنينة والرضا والأمن ... وخلوداً دائماً فى الحياة الأخروية ، فيها النعيم المقيم ، فالموت الدنيوى ما هو إلا عملية انتقال من الدار الفانية إلى الدار الباقية [5] .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [6] .

وإن هذا الإيمان له أثر كبير فى عملية بناء علاقة الإنسان ومفهومه وتفكيره

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ١٢٦٨

(٢) الأعراف : ٢٠ .　　　(٣) طه : ١٢٠ .

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٧٣

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ١٠٧ ، ٢٧٧

محمد المبارك : نظام الإسلام (مرجع سابق) ص ١٥٨ - ١٥٩

(٦) التوبة : ٧٢

للوجود كله ، فالغاية وطريقها واضح عند المؤمن ، فالمؤمن دائماً له الربح ، وإن لم يكن ربحاً دنيوياً مادياً ، فهو ربح يُضيفه فى رصيده الأخروى ، بل إن الخسارة المادية فى الحياة الدنيوية فى سبيل مصلحة المجتمع تُعَدُ ربحاً فى رصيد الآخرة (١) .

قال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فى كَثِيرٍ مِنْ نَّجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أمَرَ بِصَدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ أوْ إصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴾ (٣) .

وبذلك تترابط المصالح الذاتية والاجتماعية بالدوافع الذاتية التى تضمن لها حياة أسمى وأرقى .

وإن الإيمان بالآخرة ركن من أركان الإيمان ، والذى به يعرف الإنسان مصيره ، ومآله ، وهو ما يمنحه دافعاً أقوى من الدوافع الخارجية فى الحياة الدنيوية كالثواب والعقاب .

عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول اللّه ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبته على ركبته ، ووضع كفيه على فخذيه ، قال : يامحمد ؛ أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول اللّه ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إلَهَ إلا اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه ، وتُقيم الصلاة ، وتُؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلاً » قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان .

---

(١) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٩٦ - ١٩٧

محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت (مرجع سابق) ص ٢٥٥ - ٢٥٦

(٢) النساء : ١١٤ (٣) الإنسان : ٨ - ١٠ .

قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتُؤمن بالقَدَرِ خيره وشره ... » [1] .

فالمؤمن ينظر إلى الموت باطمئنان ، لأنه انتقال من دار فانية إلى دار باقية ، فلا يُرهبه ولا يُخيفه هذا الانتقال ، إن كان محسناً ، مطمئناً إلى رحمة الله تعالى [2] .

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [4] .

وإن الإسلام لا يدعو الإنسان إلى الرهبنة ، وإهمال الحياة الدنيوية ، لأنه دين الفعاليات الحياتية ، الاجتماعية ، والاقتصادية ... ولكن يدعوه إلى أن ينظر إلى كل من الحياتين فى وقت واحد ، فله من الحياة الدنيوية منافعها وملذاتها المشروعة ، بالعمل الجاد المخلص والمثمر ، ابتغاءً لمرضاة الله تعالى ، والذى يُحقِّق للإنسان الخلود الأبدى [5] .

قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : سؤال جبريل للنبى ﷺ عن الايمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، جـ ١ ص ١٨

(٢) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ١٥٨ - ١٥٩
محمد المبارك : نظام الإسلام (مرجع سابق) ص ١٥٨

(٣) الزمر : ٩ (٤) الفجر ٢٧ - ٣٠.

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، المطبعة التجارية الكبرى بمصر ، جـ ٣ ص ٣٩٩
محمد المبارك : نظام الإسلام (مرجع سابق) ص ١٥٨ - ١٥٩

منَ الدُّنْيَا ، وَأحْسنْ كَمَا أحْسَنَ اللَّهُ إلَيْكَ ، وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِى الأَرْضِ ، إنَّ اللَّهَ لاَ يُحبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) .

وإن أعمال الكافرين الصالحة الدنيوية على العكس من أعمال المؤمنين ، فلا قيمة لها فى ميزان الآخرة (٣) .

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

وهذا هو الدافع الذى يدفع المؤمن إلى الاستشهاد فى حياته الدنيوية ، لتحقيق مصالح المجتمع الإسلامى ، والإنسانى ، وأهداف الإسلام ، فهو يُضَحِّى فى ذاته من أجل الربح الذى سيحصل عليه بعد مماته فى دار الخُلد الحقيقى (٥) .

قال تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ منَ المُؤْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وَأمْوَالَهُمْ بِأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْداً عَلَيْه حَقّاً فِى التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ وَالقُرْآنِ ، وَمَنْ أوْفَى بِعَهْدِه منَ اللَّه ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ (٦) .

عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنهما قال : « قال رجل للنبى ﷺ يوم أُحد :

---

(١) القصص : ٧٧ (٢) البقرة : ٢٠١

(٣) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٢٦٢

(٤) هود : ١٥ - ١٦

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٧٧

(٦) التوبة : ١١١

أرأيتَ إن قُتلتُ فأين أنا ؟ قال : فى الجنة ، فألقى تمرات فى يده ، ثم قاتَل حتى قُتِل »[1] .

وإن هذا الدافع يُقوِّى العزيمة للجد فى العمل الصالح ، والإخلاص به ، ابتغاءً لمرضاة اللّه تعالى ، والذى يُحقِّق الربح العظيم فى ميزان الآخرة ، فتتآزر المصالح الذاتية والاجتماعية مع الدوافع الذاتية .

قال تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَىٰ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾[3] .

وليس هناك مذهب يعمل على إشباع هذا الدافع إلا فى الأديان السماوية ، مع تمامه وكماله فى الإسلام ، وانتقاصه فى الأديان الأُخرى .

وإن من الضعف العقلى الإيمان بالخلود الزائف كالتماثيل والقبور الزائلة ، والأضعف منه الاعتقاد بالانتفاع منها .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ ﴾[4] .

وإن من لم يؤمن بيوم القيامة ، وأن الحياة للفناء ، وأن الخلود إنما هو خلود الحياة الدنيا ، له أثر كبير فى توجيه السلوك وتوظيفه ، لحرصه على حياته ومصالحه الذاتية ، ومنافعه وشهواته ورغباته فى شتَّى الوسائل ، فيُكثر الجزع

---

(١) رواه البخارى فى كتاب المغازى ، باب غزوة أحد ، جـ ٥ ص ٣ .

(٢) النجم : ٣٩ - ٤١ (٣) الحديد : ٢١ (٤) الممتحنة : ١٣

واليأس والقنوط والظلم ... لكثرة الصراع على المصالح الذاتية فى مجتمعات لا تحتكم إلا لرقابة خارجية غالباً [١] .

قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً ﴾ [٢] .

وإن هذه النظرة لا تخلو عند كل فرد منهم من الحيرة والشك والقلق فى مآله ومصيره ، وإن سعادة الإنسان إنما هى فى داخله [٣] .

ولذلك نجد اليائسين والقانطين الذين يُقدمون على الانتحار .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِىَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَايْئَسُواْ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لاَ يَايْئَسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَاءِهِ أُولَئِكَ يَئِسُواْ مِنْ رَّحْمَتِى وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [٦] .

ولقد استُغل هذا الدافع من الحاكم على المحكوم ، ومن القوى على الضعيف ، ومن طبقة على طبقة من المجتمع فى الإرهاب والسيطرة إشباعاً للدوافع الذاتية ، والذى له آثار سلبية على مسيرة الأمة .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ، وَفِى ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [٧] .

* * *

(١) سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٩٧ - ٩٩
محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت (مرجع سابق) ص ٢٥٦
(٢) الكهف : ٣٥ - ٣٦
(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٨٨ - ٨٩
(٤) يوسف : ٨٧ (٥) العنكبوت : ٢٣
(٦) الحجر : ٥٦ (٧) البقرة : ٤٩

• دافع التملك :

إنه من الدوافع النفسية الفطرية ، وهو الذى يدفع الإنسان إلى حب التملك ، والسيطرة ، والظهور ، وهو عام وشائع بين البشر (١) .

وإن هذا الدافع من العوامل التى استطاع به إبليس - لعنه اللّه - الإيقاع بآدم وزوجه فى المعصية .

قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ﴾ (٣) .

وإن هذا مما يُرَجِّح أن يكون هذا الدافع من الدوافع الفطرية ، لأن الإيحاء والإثارة لهذا الدافع من إبليس ، والاستجابة له ، يعنى أن لآدم وزوجه الاستعدادات والقدرات الكامنة فى الذات ، لأنهما ليس لهما بيئة اجتماعية يمكن أن يتعلما منها هذا الدافع ، كما أن لهذا الدافع أساساً وعلاقة بدوافع فطرية أُخرى، كالجوع والعطش ، وحب الخلود ... فهو يحقق نوعاً من الأمن والطمأنينة والاستقرار فى عملية إشباعها .

وإن اللّه تعالى عَلَّمَ آدم ﴿ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (٤) والعلم يحتاج إلى القدرات والإمكانيات الكامنة فى الذات كحب الاطلاع وامتلاك وسائله ، ولعل أهمها حب التملك ، والسيطرة والظهور .

ولذلك فإن من الأولى أن يكون هذا الدافع فطرياً نفسياً جعل آدم يستجيب للوسوسة الشيطانية .

---

(١) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٨ - ١٩١

(٢) الأعراف : ٢٠ . (٣) طه : ١٢٠ . (٤) البقرة : ٣١

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدافع فى عدة مواضع منه :

كقوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ (٢) .

وإن الملك للّه تعالى ، وما يمتلكه الإنسان إنما هو امتلاك عُرفى ، لعوامل واعتبارات ذاتية واجتماعية ، فهو مستخلَف فيه ، ووكيل ونائب عن اللّه تعالى فيه ، فيجب أن يكون تحصيله واستثماره وفق أوامر مستخلفه ومَوكِله ، فيحس الإنسان بافتقاره إلى الغَنِّى سبحانه (٣) .

قال تعالى : ﴿ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَأَنْفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِنْ رِزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾(٦).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الغَنِىُّ الحَمِيدُ ﴾ (٧) .

---

(١) آل عمران : ١٤ (٢) الكهف : ٤٦

(٣) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٥٧ – ٥٨

أبو السعود : تفسير أبى السعودُ (مرجع سابق) جـ ٨ ص ٢٠٤

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) حـ ٧ ص ٦٤٠٨

(٤) الحديد : ٧ (٥) الملك : ١٥

(٦) مريم : ٤٠. (٧) فاطر : ١٥

فإذا أدرك الإنسان ذلك وانغرس فى وجدانه الباطنى ، فإن له الهيمنة والتحكم والتوجيه لإرادته وسلوكه ، فتزكو النفس وتبدو له جميع مواهبه نعمة وإرادة من اللّه تعالى ، تستحق الحمد والشكر له تعالى ، وهذا الإحساس يمنحه صفات إيجابية متكاملة تخلق لديه نهجاً سوِّياً [١] .

قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٢] .

وإن الإنسان يعيش فى صراع بين المتناقضات ، بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ، بين الهداية والضلال ، وبين الحلال والحرام ... [٣] .

وإن إشباع هذا الدافع يجب أن يكون عن طريق التوازن بين المصالح الذاتية والاجتماعية ، لتحقيق التعادلية العادلة بين المصلحتين [٤] .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١٩ ص ٢٦٣٦ - ٢٦٣٧

البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٥٣

(٢) النمل : ١٧ - ١٩

(٣) د . عزت الطويل : دراسات نفسية وتأملات قرآنية ، مكتبة نشر الثقافة ، الإسكندرية ، ١٩٧٧ م ، ص ٨٧ - ٨٨

(٤) د . عزت الطويل : دراسات نفسية وتأملات قرآنية (مرجع سابق) ص ٨٨

محمد باقر الصدر: اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٨١

(٥) الفرقان : ٦٧

تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ ، وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَمَا تَنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ... كُلُواْ مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ، وَلاَ تُسْرِفُواْ ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

فإن إشباع هذا الدافع لا يمكن أن يكون عن طريق الفوضى ولكن عن طريق الانضباط الذاتى من جهة ، والانضباط الاجتماعى من جهة أخرى ، لإشباعه وفق مبادىء سامية تربط بين المصالح الذاتية والاجتماعية (٤) .

وإن البيئة الاجتماعية لها قيمة كبيرة ، لما تفرضه من مبادىء ، وقيَم ، وعادات ، تلعب دوراً أساسياً فى عملية التوجيه والتوظيف لهذا الدافع ، فيتعرض للتعديل والتغيير عن طريق الصعود به إلى الأعلى والأسمى ، أو عن طريق الهبوط والتنازل به إلى الحضيض .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنَ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُواْ الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة : ٢٧٢ (٢) الأنعام : ١٤١ (٣) التوبة : ٦٠.

(٤) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٠٨

محمد باقر الصدر (مرجع سابق) ص ٢٧٢ - ٢٧٤

(٥) الليل : ٥ - ١٠. (٦) الحشر : ٩

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمَ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [(١)] .

فالإسلام له عقيدته وشريعته ، كما أن له نظرته للحياة والكون والإنسان التى يطمئن الإنسان إليها ، وإطاره العام الذين يبنى فى المجتمع العواطف والأحاسيس الوجدانية السامية ، فتتلاحم وتتضافر الجهود لتحقيق المصلحة الفردية والاجتماعية فى جو يسوده التكامل والتضامن ، والذى لا يمكن تحقيقه إلا بدوافع إيمانية قوية ، تصون الإنسان من الانحراف .. [(٢)] .

قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ [(٤)] .

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاَّ من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » [(٥)]

فإن أُسلوب إشباع هذا الدافع أُسلوب إيجابى ، وكذلك الاستثمار له ، فالكون مُسَخَّر للإنسان لخدمته ، بإطار تعبدى ، وهدف سام ، فحب التملك ليس هدفاً فى ذاته ، ولكنه وسيلة لهدف أسمى وأعظم وهو عمارة الأرض ، فتكون هادفة إلى الخير وراعية له ، وباذلة الجد فى العمل الصالح لامتلاك الخيرات

---

(١) البقرة : ٢٦٨

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآ ن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨

محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٧٢ - ٢٧٤

(٣) التوبة : ١٠٥ (٤) البقرة : ٢٧٢

(٥) رواه مسلم فى كتاب الوصية ، حديث ١٤ ، جـ ٣ ص ١٢٥٥

والطيبات ، واستثمار الأرض ومنافعها وسُننها وقوانينها فى التغيير والتبديل حتى تتلاءم معه ، وإن لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها [1] .

وإن الإسلام يمنح الإنسان مفهوماً سامياً للربح والخسارة ، يختلف عما يتعارف عليه فى حياته المادية الدنيوية ، فالخسارة المادية فيها فى سبيل اللّه ومصلحة المجتمع ربح عظيم فى رصيد الآخرة [2] ، وكما أن له الأجر فى إنفاقه فإن له الأجر فى تحصيله .

قال تعالى : ﴿ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَأَنْفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [5] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لا تحاسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه اللّه القرآن ، فهو يتلوه آناء اللّيل والنهار ، يقول : لو أُوتيتُ مثل ما أُوتِىَ هذا لفعلتُ كما يفعل ، ورجل آتاه اللّه مالاً يُنفقه فى حقه ، فيقول : لو أُتيتُ مثل ما أُوتِىَ هذا لفعلتُ كما يفعل » [6] .

فبالإسلام يكون المجتمع آمناً مطمئناً تسوده العدالة والمساواة والاستقرار ، وهذا المجتمع الفاضل له دور كبير فى التوجيه والتوظيف للسلوك ، وتخلق

---

(١) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٥٦ - ١٥٧

محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت (مرجع سابق) ص ٢٥٥ - ٢٥٦

محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٥٦ - ٢٨٥

(٣) الحديد : ٧ (٤) الملك : ١٥ (٥) الجمعة : ١٠ .

(٦) رواه البخارى فى كتاب التمنى ، باب : تمنى القران والعلم ، جـ ٨ ص ١٢٩

الخبرات الانفعالية الإيجابية عند النشأ ، والتى تتمثل فى مجموعة من العواطف والأحاسيس الوجدانية القيِّمة كحُب الخير وكُره الشر ، وحُب الحسن وكُره القبيح ، وحُب الحلال وكُره الحرام ...

ولذلك فإن دافع التملك موجَّه فى وسائل تحصيله ، كما هو موجَّه فى وسائل إنفاقه ، وكذلك حب السيطرة والظهور والاطلاع ، فهى هادفة وموجَّهة ، وليست عمياء ، ولكن لكل شىء الأسلوب المناسب له .

ولذلك يُوَجَّه حب السيطرة إلى السيطرة على نقاط الضعف فى الذات ، والأسرة ، والمجتمع ، للقضاء عليها ، لتحقيق الخير له ولمجتمعه ، فيحل العدل والإحسان والمعروف محل الجور والظلم والمنكر ...

وكذا السيطرة على الأرض ومنافعها بالتعديل والتغيير حتى تلائمه ، وإن لم يقدر عمد إلى مجاراتها كما سبق .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الحشر : ٩ (٢) النساء : ١١٤ (٣) آل عمران : ١١٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (١) .

وكذلك توجيه حُب الاطلاع إلى التحصيل ، والاستكشاف لتحقيق التفوق العلمى ، فيما ينفعه وينفع الناس ، وتجنيبه الانحراف به كالتجسس والغيبة والنميمة ... أو فيما يضره ويضر المجتمع .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

فإن البيئة الاجتماعية بمبادئها وقيمها وعاداتها لها أثر كبير فى عملية التوجيه والاستثمار لهذا الدافع .

وبما أن الفطرة ثابتة ، والدين ثابت ، وموافق للعقل ، فإن الإضطراب فى المجتمعات فى ذلك يجعل عقائدها غير مُطمَئنٌ إليها ، لأنها لا تعطى النظرة الصحيحة للحياة والكون والإنسان والمنهج الذى يحتذى به ، فتخلق الاضطراب والحيرة والشك فى كل ذلك .

وإن هذه النظرة لا يمكن أن تكون أداة لضبط السلوك الإنسانى ، وخاصة فى موضوع حُب التملك والسيطرة والظهور ، لأن مَن هذه نظرته مع عقيدته ومنهجه ، ومفهومه للحياة والكون ، لا يمكن أن تكون لديه رقابة داخلية على أسلوب التحصيل والاستثمار والتوجيه كالدوافع الإيمانية التى نجدها عند المؤمن ، فتتكوَّن لديه خبرات انفعالية سلبية على مستوى الفرد والمجتمع ، والتى لها آثار سلبية فى بناء المجتمع .

فالدوافع الذاتية لأفراد هذه المجتمعات تدفعهم إلى تقديم مصالحهم الذاتية

---

(١) هود : ٦١　　　　(٢) الحجرات : ١٢

على المصالح الاجتماعية ، لعوامل تحول دون استثمار الوعى العملى عند الإنسان استثماراً مخلصاً فى توفير المصالح الاجتماعية ورعايتها [١] .

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٤] .

فهذه المجتمعات تعتمد على الرقابة الخارجية بنسبة كبيرة والتى تكون على ما تُدرك من الظاهر ، مما لا يكفى فى توجيه السلوك [٥] .

لذلك تجد الأساليب غير المشروعة فى سبيل إشباع هذا الدافع إما لضعف فى الرقابة الخارجية ، والتى لا تستطيع أن تقضى عليها لمعرفة الأفراد بأساليب الاحتيال والمكر ، والطرق التى لا يمكن أن يصل إليها القانون ، أو أن تكون هذه الأساليب ممن يملك نفوذاً لا يمكن للرقابة الخارجية أن تصل إليه ... فيتغذى فى أفراد المجتمع السخط والحقد والحسد والكراهية ... فيزداد الضعف فى الانضباط الذاتى فى المجتمع .

ولذا يصل الأمر إلى أن يرى الإنسان أن الحياة كل شىء ، وأنه الأجدر والأولى فى كل خير [٦] .

---

(١) محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٨١ - ٢٨٢

(٢) الكهف : ٣٤ (٣) آل عمران : ١٨٠. (٤) البقرة : ٢٦٨

(٥) د. يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٠٧

(٦) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٥٥

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى ، أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً ، وَلاَ يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدتُّ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (٣) .

* * *

(١) القصص : ٧٨ (٢) الكهف : ٣٥ - ٣٦ (٣) المعارج : ١٩ - ٢٣

الفصل الثانى

الدوافع المكتسبة

لقد سبق الحديث عن الدوافع الفطرية ، العضوية ، والنفسية ، وأن هناك قدرات عقلية تجعلها دوافع شعورية واعية ، والاستجابة لها عن إرادة واختيار ، فتختلف أساليب الاستثمار والتوجية للتوفيق بين الدوافع من جهة ، وبينها وبين البيئة الاجتماعية من جهة أُخرى وذلك عن طريق التعديل لهذه الدوافع بالدوافع المكتسبة - المُتعلِّمة - التى تُعتبر مشتقة ومتنوعة منها نتيجة للتفاعلات المتعددة [1] .

ولذلك فإن كثيراً من الفضائل والقيم والمبادىء الاجتماعية معيارية ونسبية فى الظروف المختلفة للأفراد والمجتمعات وإن كان هناك ما هو مشترك إلا أن المعيار مختلف [2] .

ولذلك يختلف الأفراد والمجتمعات فى أُسلوب استثمار وتوجيه الدوافع الفطرية بالدوافع المُكتسبة عن طريق الإعلاء والصعود بها أو الانحطاط والتنازل بها [3] .

---

(١) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص١٣٥ ، ص ١٤٣ - ١٤٤

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

(٢) عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس البشرية (مرجع سابق) ص ١٨٥

(٣) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١١٧

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٠ - ١٣٢

د . جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤

قال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

ولذلك لا بد من مبدأ قوى له صفة الثبات والاحترام عند الأفراد والمجتمعات (٥) ، والذى يمنحهم التصورات الغائبة العليا والمنهج الذى يُرشدهم والصيانة المستمرة له عن الانحرافات .

وإن هذا مما لا يملكه الإنسان - كما سبق - وأنه حسب مفهومه للحياة والكون والإنسان يكون أُسلوب الاستثمار للدوافع الفطرية .

وإن الإسلام له نظرته للحياة والكون والإنسان التى يطمئن إليها لإشباعها دوافعه من جهة ، وموافقتها للعقل من جهة أُخرى .

فإن الدين ثابت ، والفطرة ثابتة مما يجعله هو القادر على إيجاد التعادلية

---

(١) النساء : ١١٤ (٢) الحشر : ٩

(٣) الليل : ٥ - ١٠ . (٤) البقرة : ٢٦٨

(٥) محمد مظهر سعيد : علم النفس الإجتماعى (مرجع سابق) ص ٥ .

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٥ ، ص ٤٨

والاتزان فى الاستجابة لدوافعه ، وفق مبدأ له حق الاحترام يعمل على ضبط الدوافع ، ويعمل على إعلائها وحمايتها بالرقابة الداخلية [1] .

و لذلك تُحاط الدوافع الشعورية الواعية ، بصفات مكتسبة إيجابية وثابتة لها تأثيرها على تكوين الشخصية ، فالخبرة السائدة التى تدور حولها خبراته الانفعالية [2] جميعاً ، هى حبه للّه تعالى ولرسوله ﷺ مما يكون له أثر فى توجيه السلوك .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ، وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [5] .

فهذه الدوافع المكتسبة ، إمكانيات تكمن فى الذات على أساس فطرى

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧

محمد نبيل السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث (مرجع سابق) ص ٨٧ - ٨٨

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٤٧ - ٤٨

(٢) د . محمد مصطفى زيدان وآخرين : علم النفس التربوى ، دار الشروق بجدة ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٧٠ .

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٤٣

(٣) التوبة : ٢٤ (٤) البقرة : ١٦٥ (٥) آل عمران : ٣١

لتسمو وتعلو بالدوافع الفطرية ، إلى الدرجات العليا لتحقيق الرُّقى ، لمعالجة المواقف عن إرادة واختيار بنجاح » [1] .

قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه ، وَالَّذينَ مَعَهُ أَشدَّاءُ عَلَى الْكُفَّار رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً منَ اللَّه وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... ﴾ [2] .

فإن النظرة الإسلامية تعمل على إيجاد الخبرات الانفعالية الإيجابية كالحب ، والكُره ، والتنافس الشريف ... وغيرهما من العواطف والأحاسيس الوجدانية الإيجابية ، التى تُحقِّق للإنسان الاطمئنان ، والأمن ، والاستقرار .. كما تحقق للمجتمع التلاحم والتضامن ، والتراحم ... فتتحقق المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية عن دوافع نابعة من الداخل [3] . وليست عن طريق الكبت ، والضغوط الخارجية التى يحس الإنسان بثقلها [4] .

قال تعالى : ﴿ الَّذينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئنُّ قُلُوبُهُمْ بذكْر اللَّه ، أَلاَ بذكْر اللَّه تَطْمَئنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [6] .

---

(١) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٣٥
د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية [مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨
د . جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤

(٢) الفتح : ٢٩

(٣) محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ - ٢٨٨
د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٢٨٨

(٤) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠١ - ١٠٥
محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٢

(٥) الرعد : ٢٨ - ٢٩ (٦) الأنعام : ٨٢

وقال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ، وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً ﴾ (٣) .

وإن النظرة البشرية تختلف للاختلاف فى مفهومها للحياة والكون والإنسان فتختلف القيم والمبادىء الاجتماعية بين المجتمعات وربما فى المجتمع الواحد ، وإن كان منها ما هو مشترك إلا انها تظل معيارية كما سبق .

وإن أى نظرة لا تتفق مع الفطرة ، ولا مع القدرات العقلية تخلق اختلالاً فى التعادلية والاتزان فى إشباع الدوافع وما سيكون لها من آثار سلبية فى إيجاد الخبرات الانفعالية السلبية ، فتتكون الدوافع المكتسبة السلبية التى لها أثر فى منهج الإنسان الحياتى ، وبناء الشخصية كالحقد ، والحسد ، والبخل ، والأنانية ، والاعتداء ... (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ (٥) .

وفى قصة يوسف عليه السلام قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلاَلٍ مُبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ ﴾ (٦) .

---

(١) آل عمران : ١٠٣ (٢) الحشر : ٩ (٣) الإنسان : ٨ - ٩

(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ١٨ ص ٩٥

محمد متولى الشعراوى : الإسلام حضارة وحداثة (مرجع سابق) ص ١٧٥

عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٤٨

(٥) الكهف : ٣٤ (٦) يوسف : ٨ - ٩

وفى قصة هابيل وقابيل قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ، إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، وَذَلِكَ جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [١] .

ففى كل من القصتين يتضح أن الحرمان ، وما يترتب عليه من الحقد والحسد، هما مما يبنى فى الإنسان دافع العدوان وبالتالى فهو دافع مُكتسب لخبرات انفعالية ذاتية سلبية .

وهذا بخلاف ما يزعمه فرويد من أن دافع العدوان دافع فطرى موروث [٢] بالإضافة إلى أن هذه النظرة تعطى مفهوماً متشائماً للإنسان .

ولذلك تختلف الخبرات الانفعالية السائدة عند أفراد المجتمع والتى يدور حولها توجيه السلوك كحب المال ، وحب السيطرة ، وحب الظهور ، وحب الاعتداء ... فيكون السلوك مرتكزاً فيما يدور حول إشباعها ، فتتضارب مصالح الأفراد فيما بينها من جهة ، كما تتضارب المصالح الذاتية مع المصالح الاجتماعية من جهة أخرى فتضعف الرقابة الداخلية أو تنعدم .

ولذلك تعمل الرقابة الخارجية - السلطة - للحد من ذلك عن طريق الكبت والضغوط الخارجية المتغيِّرة ، والتى يحس الفرد بثقلها والتى لها آثار سلبية على الصحة النفسية [٣] كالقلق ، والحيرة ، والشك ، والاضطراب .

وإننى أوافق فرويد فى رأيه إذا كان رسم المنهج ومبادئه وقيمه من صنع البشر ،

---

(١) المائدة : ٢٧ - ٣٠ .

(٢) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ٤٤

(٣) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠١ - ١٠٥

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٢

وأن الصيانة له عن طريق الرقابة الخارجية فقط ، فى أن لها آثاراً سلبية على الصحة النفسية نتيجة للكبت والضغوط الخارجية ، كعقدة الخوف ، وعقدة النقص، وعقدة الشعور بالعظمة ، والشعور بالذنب ...

ولكننى أعتقد أن فرويد يجهل أو يتجاهل التاريخ البَشرى ، وخاصة التاريخ الإسلامى ، الذى لعبت فيه الرقابة الداخلية دوراً كبيراً فى الانضباط الذاتى عن يقين ، واطمئنان ، وأمن واستقرار نفسى ، ورضى بحكم الرقابة الخارجية ، بل إن الرقابة الذاتية تدفع الفرد للاعتراف بجريمته للسلطة .

وكما يشهد التاريخ الإسلامى بما منح الفرد من الصحة النفسية فى أعلى قممها .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدىً وَشِفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِى آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَىً ، أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٢).

وإن الإنسان فى حياته يواجه الكثير من المواقف المحزنة والمؤلمة لما يتمتع به من الحرية والإرادة والاختيار .

وإن هناك فرقاً بين المؤمن وغير المؤمن فى تعامله معها ، فالمؤمن يقابلها بالرضا وطلب الأجر عليها ، والكافر يقابلها بالفزع والجزع وأحياناً باليأس والقنوط ما دامت فى مرحلة الوعى (الشعور) وعن طريق الكبت لها من الوعى إلى اللاوعى (اللاشعور) يتم معالجتها بطريقة طبيعية – النسيان – لتخفيف التوتر ، ولكن يظل تأثيرها على سلوكه من حيث لا يدرى (٣) .

---

(١) الرعد : ٢٨ (٢) فصلت : ٤٤

(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ١٦٦ ، ص ١٩٤ – ١٩٧

د . جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٥٦ – ٦٦

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٢٥ – ١٢٨

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣) .

ويمكن تنشيط الدوافع الداخلية ، وترضيتها بالدوافع الخارجية كالثواب والعقاب ، مادياً ، أو معنوياً ، والذى لها أثر فى توظيف السلوك كماً وكيفاً ، كما أن لها أثراً فى الصحة النفسية (٤) .

ولا شك أن هناك فرقاً بين المؤمن وغير المؤمن فى تقييم هذه الدوافع ، للاختلاف فى نظرتهما للحياة والكون والإنسان .

قال تعالى : ﴿ ... الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ، فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) .

---

(١) البقرة : ١٥٦ — (٢) الروم : ٣٦ — (٣) البقرة : ٨ - ١٢

(٤) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

برسيڤال سيموندز : الدروس التى تتعلمها التربية من علم النفس (مرجع سابق) ص ١٦ - ٢١

محمد مصطفى زيدان : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٧٣

سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣٩

(٥) المائدة : ٣

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

* * *

---

(1) البقرة : ١٧٩

(2) البقرة ١٨٨

الفصل الثالث

تعديل الدوافع

إن الدوافع الإنسانية الفطرية دوافع واعية شعورية قابلة للتعديل والتغيير فى وجهتها ، حسب الإرادة والاختيار ، ليكتسب الإنسان دوافع متعلمة ذاتية وبيئية ، للاستفادة من خبراته وتجاربه فى معالجة المواقف ، وإن لها اتصالاً عاماً ، وليس خاصاً ووثيقاً بالدوافع الفطرية ، فلا يصل الإنسان إلى البلوغ إلا وقد حصل على التجارب والملاحظات التى تُفيده فى إشباع دوافعه الفطرية [1] .

وإن هذه المرونة هى التى جعلت الإنسان مكلفاً كما جعلته يستطيع أن يتأقلم مع البيئة المتغيرة ، فليست دوافعه عمياء كالحيوان ولولا ذلك لما استطاع أن يكون هو سيد المخلوقات [2] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [3] .

وليس معنى ذلك أن التعديل للدوافع الفطرية قانون ثابت على جميع القوى الثابتة فى الذات ، ولكنه فى الدوافع المكتسبة التى تمثل الأسلوب فى الاستثمار والتوجيه فى إشباع الدوافع الفطرية .

وذلك لأن الدوافع لها عنصران أساسيان وهما [4] :

---

(١) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٠٥ - ٢٠٦

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٣

(٢) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤

(٣) الإسراء : ٧٠ .

(٤) أنور الجندى : قضايا العصر ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٦٦

(أ) ما له صفة الثبات والإستقرار :

وهى الأصول ، والحقائق الثابتة ، والمقدمات ، والجوهر ، فلا يستطيع أن يقضى عليها كحقيقة الدوافع الفطرية .

(ب) ما له صفة التحول والانتقال :

وهو ما يتعلق بأسلوب التوجيه للسلوك لإشباع الدوافع الفطرية والمكتسبة كالعبادات ، والمعاملات ... وكالمبادىء والعادات والتقاليد ...

وليس معنى التطور أو التعديل الاتجاه دائماً إلى الأفضل ، لأنه مثل ما أنه يكون إلى الصعود بصفات الإنسان ، يكون إلى الهبوط والانحطاط بها [(١)] .

وإن الإسلام – عقيدة وشريعة – يعمل على أن يكون هذا التطوير إلى الحياة الأفضل والأسمى للفرد والمجتمع ، فى توجيه السلوك عن طريق الانضباط الذاتى برقابة داخلية ، ويأتى فى قمتها درجة الإحسان كما سبق .

كما يعمل على إيجاد الرقابة الخارجية التى تتمثل بالقيادات الصالحة والدعوات المباركة ، التى تحترم الفرد ، ويطمئن إليها ويحترمها . وفق الشريعة السماوية التى يؤمن بها فى مختلف نواحى الحياة ، والتى تتفق مع كل زمان ومكان [(٢)] .

ولذلك فإن التعديل يكون عن طريقين رئيسيين وهما :

(أ) الإعلاء :

إن الدين الحنيف قد عَنِىَ فى منهجه بصيانة السلوك الإنسانى بتوجيهه إلى

---

(١) أنور الجندى : قضايا العصر (مرجع سابق) ص ١٦٩ - ١٧٠.

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ١٣٠. - ١٣٢

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٨

(٢) أنور الجندى : قضايا العصر (مرجع سابق) ص ١٦٩ - ١٧٠.

أن يتحلى بالصفات الحميدة التى تُكسبه دوافع مُكتَسبة إيجابية تعمل على إشباع دوافعه بطريقة إيجابية تضمن الاستغلال الأمثل للقُوَى الكامنة فى الذات - كما سبق - ولكن نقتصر هنا على بعض الأمثلة بإيجاز شديد .

١ - دافع التدين :

وهو دافع طبيعى يمكن عن طريقه إيجاد الدوافع الإيمانية والتى تمثل خبرة انفعالية سائدة ، فإذا كانت على أساس من الدين الثابت ، والفطرة الثابتة ، تخلق التعادلية فى الشخصية والتى تحقق البناء الصالح للفرد والمجتمع (١) .

أما الانحراف بها فيخلق اختلافاً فى الخبرات الانفعالية السائدة ليكون لكل فرد مشربه الذى يدور حوله سلوكه لتتضارب المصالح بين الأفراد وبين الأفراد والمجتمع وبين مصالح المجتمعات ولا شك أن هذا له آثار سلبية فى بناء الفرد والمجتمع .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

٢ - الدافع الجنسى :

دافع طبيعى لا ينكره الإسلام ، ولكن يُحبِّذه ، لأنه استئناس بسُنَّة من سُنَنه تعالى ، ووضع له التنظيم ، لإشباعه بأسلوب يضمن نجاحه واستمراريته فى بناء الفرد والأُسرة والمجتمع ، فى جو تسوده المحبة والمودة والألفة والتضامن والتلاحم (٣).

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٢٧٦٧

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٤٧

سميح عاطف الزين : عن الحكم (مرجع سابق) ص ١٠٩ - ١١٠

د . عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى (مرجع سابق) ص ٧٠

(٢) الروم : ٣٠

(٣) د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع (مرجع سابق) ص ١٤٧ - ١٥١

محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ٢١١ - ٢١٢

د . محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية (مرجع سابق) ص ٤٩

أما الفوضى الإباحية فى إشباعه فإنها تؤدى إلى اختلاط الأنساب وأمراض اجتماعية محزنة على مستوى الفرد ، والأسرة ، والمجتمع [1] .

٣ - دافع التملك :

وهو دافع طبيعى ، وقد وضع الإسلام له القواعد المشروعة فى تحصيله وإنفاقه ، وأوجد باب المنافسة فى توجيهه ، بالإضافة إلى ما أوجبه فيه .

عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لا تحاسد إلا فى اثنتين : رجل أتاه اللّه القرآن فهو يتلوه آناء اللّيل والنهار ، يقول : لو أُوتيتُ مثل ما أُوتىَ هذا لفعلتُ كما يفعل ، ورجل أتاه اللّه مالاً يُنفقه فى حقه فيقول لو : أُوتيت مثل ما أُوتِى هذا لفعلتُ كما يفعل » [2] .

وإذا كانت هذه المنافسة فى إنفاقه فى سبيل اللّه ومرضاته فلا شك أن هناك انضباطاً ذاتياً فى أساليب التحصيل له ... ومثل هذا لا نجده إلا عند المؤمن .

٤ - حب الاستطلاع :

فليكن موجهاً إلى التعلم ، والتأمل ، والتفكير فى سُنن اللّه تعالى فى الكون والحياة والنفس للاستفادة منها فى تعديلها أو مجاراتها ، لما فيه مصلحة الفرد والمجتمع ... ومنزه عما يضر المجتمع كالتجسس .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُواْ اللّهَ ، إِنَّ اللّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [4] .

(١) ابن القيم : إغاثة اللّهفان من مصائد الشيطان (مرجع سابق) ص ٨١ - ٨٢

(٢) رواه البخارى فى كتاب التمنى ، باب : تمنى القرآن والعلم ، جـ ٨ ص ١٢٩

(٣) هود : ٦١ (٤) الحجرات : ١٢

٥ - حب السيطرة :

ليكون موجهاً توجيهاً سامياً نحو السيطرة على الطبيعة ، والأعداء والجهاد فى سبيل اللّه ... ونقاط الضعف فى الذات ، والمجتمع لتحقيق الأمن ، والعدالة والسلامة ... والذى يمنع الظلم والجور ...

قال تعالى : ﴿ ... وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُواْ وَتعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ، وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ، ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

(ب) الإبدال :

هو عملية الانتقال من خبرة انفعالية إلى خبرة انفعالية أخرى معارضة للأولى (٣) ولذلك فإن هذه العملية قد تكون بالصعود والسمو إلى الخبرات الانفعالية الإيجابية ، وقد تكون بالعكس إلى خبرات انفعالية سلبية . كالكُره ، أو الحب السلبى ، المعارَض بالكُره والحب الإيجابى . وكالعادات والتقاليد السيئة ، المعارَضة بأخرى إيجابية .

ولذلك فإن الخبرة الانفعالية المعارضة يجب أن تكون قوية ومخططة فى غاية الدقة وليس هناك قوة أقوى من الإقرار بالإيمان وتنشيطه كدافع قوى يُسَهِّل

---

(١) المائدة : ٢ (٢) المائدة : ٥٤

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٧.

د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٣٩ - ١٤١

د. سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

عملية التخلص من الخبرة الانفعالية السلبية فتكون عملية التعديل ليست عن ضغوط خارجية تسبب الكبت والأمراض النفسية ، ولكن عن دوافع ذاتية نابعة من الداخل [1] ولقد عمل الرسول ﷺ ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة لإقرار الإيمان وتنشيطه .

ولذلك نجد أن المشركين فى مكة المكرّمة - الذين أحبوا أوثانهم وأصنامهم ودافعوا عنها بكل ما أُوتوا من قوة ، وكرهوا الرسول ﷺ وعقيدته - بإسلامهم حل محل هذه الخبرة الانفعالية السلبية خبرة انفعالية إيجابية وهى الكُره والنفور من هذه الأصنام والأوثان ، وحب اللّه ورسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُباً للَّهِ ، وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ للَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العَذَابِ ﴾ [2] .

فإن الإبدال يمثل حدوث اختيار جديد بناءً على تأثيرت داخلية وخارجية ولذلك فإنه يجب أن تكون عملية الانتقال مخططة ، وقوية وبالتدرج إذا كانت الخبرة الانفعالية السلبية قوية كمعالجة الإسلام لموضوع تحريم الخمر والربا .. [3] .

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٧١

د . محمد نبيل السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس (مرجع سابق) ص ٨٧ - ٨٨

د . محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٢٢

(٢) البقرة : ١٦٥

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٧١ - ١٧٦

مصطفى الرفاعى : الإسلام ومشكلات العصر . دار الكتاب اللبنانى ببيروت ، ١٩٧٢ م ، ص ٢٠٠ - ٢٠١

د . وسيلة بلعيد بن حمدة : مباحث فى علوم القرآن . دار الجوينى للنشر ، تونس ، ص ١٥ - ١٦

فبعد تثبيت العقيدة لدى المسلمين ، والطاعة لله ورسوله ﷺ عمد الإسلام إلى معالجة الخبرات الانفعالية السلبية .

فعالَجَ موضوع حبهم لشرب الخمر ، بالخبرة الانفعالية المعارَضة بالتدرج كما يأتى :

(أ) الإشارة اليها بالكراهية ، وأن مضارها أكثر من نفعها [١] .

قال تعالى : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسرِ ، قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [٢] .

(ب) العمل على تحديد أوقات شربها وتضييقه وتحريم القيام بالصلاة للسكارى [٣] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ ﴾ [٤] .

(جـ) بعد هذه التهيئة لقبول الخبرة الانفعالية الإيجابية المعارِضة للخبرة الانفعالية السلبية السابقة ، جاء التحريم للخمر [٥] ، فحل محل الحب الكُره لها ، فقام المسلمون بالاستجابة لعملية الإبدال بدافع ذاتى متدرج ومخطط وقوى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الخَمْرُ وَالْمَيْسرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِى الخَمْرِ وَالْمَيْسرِ وَيَصدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٦٠ .

(٢) البقرة : ٢١٩

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ١٠ ص ١١١ - ١١٢

(٤) النساء : ٤٣

(٥) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٢٨٢ - ٢٢٨٦

(٦) المائدة : ٩٠ - ٩١

وكذلك موضوع الربا فقد مَرَّ فى أربع مراحل أساسية للانتقال من الحب له ، إلى النفور منه وهى بإيجاز :

(أ) عدم رضا الله تعالى عنه [١] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِّباً لِيَرْبُوَاْ فِى أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُواْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [٢] .

(ب) الإشارة إلى أنه مُحرَّم عند اليهود [٣] .

قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [٤] .

(جـ) التحريم للربا الفاحش [٥] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٦] .

(د) التحريم للربا [٧] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾ [٨] .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٢٢٧

(٢) الروم : ٣٩

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٨٤

(٤) النساء : ١٦٠ - ١٦١

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٥٥

(٦) آل عمران : ١٣٠

(٧) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٣٣٠ - ٣٣٢

(٨) البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩

فإن التدرج المنظم والقوى فى عملية الانتقال من خبرة انفعالية إلى أُخرى معارضة لها يضمن لهذه العملية النجاح [١] .

عن عائشة أُم المؤمنين رضى اللّه عنها « إذ جاءها عراقى فقال : أى الكفين خير ؟ قالت : ويحك وما يضرك ، قال يا أُم المؤمنين ؛ أرينى مصحفك ، قالت: لِمَ ؟ قال : لعلى أُولف القرآن عليه ، فإنه يُقرأ غير مؤلَّف ، قالت : وما يضرك آيَة قرأت قبل ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المُفصَّل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا أثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شىء لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولونزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبداً ... » [٢] .

ولذلك نرى أثر التدرج المخطط والمنظم فى عملية الانتقال من خبرة انفعالية إلى أُخرى ، كحب الخمر ، والكُره له .

عن أنس بن مالك قال : « كنتُ ساقى القوم يوم حُرِّمت الخمر فى بيت أبى طلحة ، وما شرابهم إلا الفضيخ - البُسر والتمر - فإذا مناد يُنادى فقال : اخرج فانظر ، فخرجت فإذا مناد ينادى : ألا إن الخمر قد حُرِّمت . قال : فجرت فى سكك المدينة ، فقال لى أبو طلحة : اخرج فأهرقها ، فهرقتها ... »[٣] .

فالخبرة الانفعالية تمثل تنظيماً نفسياً له صفة الإلزام والدوام ، إلا باختيار جديد قوى يستطيع أن يحل محل الخبرة الانفعالية السابقة [٤] .

وقد تكون هذه الخبرة الانفعالية حول شىء مادى كحب الرجل لزوجته وأبنائه وحب الطالب لجامعته ، والإنسان لمنزله ...

وقد يكون لشىء معنوى كحب الخير ، وكُره الشر ، وحب العدالة ، وكُره الظلم ...

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٧١

(٢) رواه البخارى فى كتاب فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، جـ ٦ ص ١٠٠ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الأشربة ، حديث ٣ ، جـ ٣ ص ١٥٧ .

(٤) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٣٧ - ١٤٠ .
د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

فإذا حدث اختيار جديد قوى يستطيع أن يحل محل هذه الخبرات ككُره الرجل لزوجته بعد حبه لها ، لأى سبب قوى كالخيانة الزوجية مثلاً ...

وإذا كان الفرق بين الإنسان والحيوانات أن دوافعه شعورية واعية وأن دوافعها عمياء ، فلا بد أن يُدعم صفاته السلوكية بما يصنعه هو فى نفسه ، والذى لا يمكن أن يكون إلا بمبدإ له حق الاحترام (١) .

ولذلك نرى القيمة العظيمة للمربين ، والأُسرة ، والمدرسة والمجتمع فى بناء الفرد الصالح ، لبناء المجتمع الصالح ، فيجب أن تكون الدوافع الخارجية المنشطة كالثواب ، والعقاب ، منظمة ومتدرجة فى إيجاد عملية الإبدال لتعديل الدوافع وضمان نجاحها (٢) .

ولقد رأى بعض العلماء ، الإبقاء على الدوافع دوماً دون تعديل ، لأنها دوافع فطرية موروثة ، لا يمكن القضاء عليها أو تغييرها .

ولذلك فإن تنظيم العلاقة الزوجية ، يعترض عليه الدافع الجنسى ، ومنع الحرب والاقتتال ، يعترض عليه دافع العدوان ، وكذلك تحديد المِلكية والتعاون والعدل ... (٣) .

بل ويرون أن المُصلحين ما هم إلا أصحاب أحلام جميلة مثالية لا يمكن تحقيقها . كأرسطو مثلاً ، يرى أن العبيد خُلِقوا ليكونوا عبيداً كما أن السادة خُلِقوا ليكونوا سادة (٤) .

وفيما سبق ما يكفى للرد على هذه النظرة الساذجة للإنسان .

* * *

---

(١) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص ٦١٤

(٢) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٥

د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٦٧

(٣) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٤

(٤) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ١٨٤

أرسطو : السياسية ، ترجمة لطفى السيد . الدار القومية للطباعة والنشر ، بمصر ، ص ٩٢

الباب الخامس

الإنسان والخلافة

- الخلافة .
- الإنسان والخلافة .

الفصل الأول

الخلافة

● التحليل اللّفظى :

« خلف » ضد قُدّام ، وَخَلَفَ الشيء : تركه وراءه [(١)] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [(٢)] .

و « تخلّف » بمعنى تأخر [(٣)] ، كقولك : تخلّف فلان عن فلان .

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُواْ عَنْ رَّسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [(٤)] .

وخلف فلان فلاناً – بتحريك اللام وسكونها – أى حل محله وقام مقامه إما بعده كالوارث والموروث ، والجيل بعد الجيل ، والقرن بعد القرن ...

وإما معه أى يحل محله ، ويقوم مقامه – وهو موجود – فى

---

(١) ابن منظور : لسان العرب المحيط ، إعداد وتصنيف يوسف خياط . دار لسان العرب ، بيروت ، جـ ١ ، ص ٨٨٢

الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٥

(٢) فصلت : ٤١ - ٤٢.

(٣) ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٨٣

الفيروز آبادى : القاموس المحيط (مرجع سابق) جـ ٣ ص ١٣٨

(٤) التوبة : ١٢٠.

تصريف أموره معه ، أو بتفويضه نيابة عنه ، كالوكيل والموكِل ... [1] .

وقيل إن « خلَف » بتحريك اللام تكون فى الخير ، فتقول : خلَفُ صدق ، وفى السكون تكون للشر : فتقول : خَلْفُ سوء .... وهو خلاف مشهور عند اللّغويين [2] .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَلاَئِكَةً فِى الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾ [4] .

و « أخلف » بمعنى عوَّض وأبدل [5] ، فإذا ذهب له ما يخلفه عادة كالمال والولد مما يمكن إبداله وتعويضه بمثله قيل له : أخلفَ اللّهُ عليك ، ولك . أما إذا ذهب له ما لا يخلفه غالباً كالأب والأم فيقال له : خَلَفَ اللّهُ عليك [6] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ، وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [7] .

وقال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾ [8] .

---

(١) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٥ - ١٥٦

أيوب بن موسى الحسينى : الكليات . منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى بسوريا ، ١٩٨٢ م ، جـ ٢ ص ٣٠٠ .

أحمد رضا : معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) جـ ٢ ص ٣٢٢

(٢) ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٨٣

ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمود محمد الطناحى وطاهر أحمد الزاوى . المكتبة الإسلامية ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ ، جـ ٢ ص ٦٥ - ٦٦

(٣) الزخرف : ٦٠ . (٤) مريم : ٥٩

(٥) مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٨٣

(٦) ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٦٦

الفيروز آبادى : القاموس المحيط (مرجع سابق) جـ ٣ ص ١٣٨

(٧) سبأ : ٣٩ (٨) آل عمران : ٩

و « اختلف » ضد اتفق ، والاختلاف والمخالفة أعم من الضد ، فليس كل مختلفين ضدين ، وإن كان كل ضدين مختلفين [١] .

قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ ... ﴾ [٣] .

و « اختلف » بمعنى التبس [٤] .

قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ، بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ ﴾ [٥] .

ونكتفى بهذا القدر من التحليل اللفظى ، لأن ما يهمنا فى هذا الباب من مادة « خلف » المعنيين التاليين :

(أ) أن يخلف المستخلِف خليفة فى مكانه بعده ، دون أن يكون للمستخلف أى قوامة على خليفته كالوارث والموروث والجيل بعد الجيل ، والرئيس بعد الرئيس ، والوكيل بعد الوكيل ... [٦] .

---

(١) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٦
أيوب بن موسى الحسينى الكفوى : الكليات (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٢٩٩
ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٨٣

(٢) الزمر : ٤٦ (٣) البقرة : ٢١٣

(٤) أيوب بن موسى الحسينى : الكليات (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٣٠١
مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٨٤

(٥) النحل : ٣٨ - ٣٩

(٦) ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٨٣

وبذلك يكون المعنى المقصود بـ « خلف » خلف غيره بعده [١] .

قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ [٢] .

(ب) أن يخلف المستخلِف خليفة فى مكانه ، أو فى عمله معه ، أو بتفويضه نيابة عنه [٣] وللمستخلف حق القوامة عليه ، فمتى حدث منه تقصير فى مهمته التى أسندت إليه ، أو تم الاستغناء عنه ، فإن للمستخلِف حق عزل خليفته .

ولذلك لا يلزم من الخلافة موت المستخلف له كالوكيل والموكل ، والنائب والمنوب عنه [٤] .

وبذلك يكون المعنى المقصود بـ « خلف » غيره معه أو بتفويضه .

وإن هذين المعنيين يتحققان ويتطابقان فى آن واحد [٥] كقولك : استخلفتك بعد زيد ، أى جعلتك خليفة لى مكان زيد ، فيخلف المخاطب زيداً ويحل محله ، كما أن المخاطب يكون خليفة للمتكلم .

* * *

● المقصود بالخلافة فى القرآن الكريم :

لقد ورد فى القرآن الكريم لفظ « خليفة » مرتين ، ولفظ « خلفاء » ثلاث مرات ، ولفظ « خلائف » أربع مرات ، ولفظ « استخلف » مرة واحدة ،

---

(١) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٥ - ١٥٦
الفيروز آبادى : القاموس المحيط (مرجع سابق) جـ ٣ ص ١٣٧

(٢) الأعراف : ١٦٩

(٣) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٥
ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) جـ ١ ص٨٨٣

(٤) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٦
أيوب بن موسى الحسينى : الكليات (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٢٩٩

(٥) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٧٩

ولفظ « يستخلف » أربع مرات ، ولفظ « مستخلفين » مرة واحدة [1] .

و « خليفة » على وزن « فعيلة » ، وتُجمع على التأنيث « خلائف » ككرائم وصحائف ، لأن وزن « فعيلة » لا تُجمع على « فعلاء » ، ولكن « خليفة » جُمِعت على «خلفاء» ، لأن اللَّفظ مذكر المعنى و« خلفاء » جمع «خليف» [2] .

والتاء فى « خليفة » للمبالغة فى الدلالة على عظم حاله وأوصافه ، وأنه الغاية فى ذلك كعلاَّمة [3] .

وقيل « خليفة » على وزن « فعيلة » بمعنى « مفعول » كقتيل بمعنى مقتول ، فخليفة بمعنى مخلوف أى يخلفه مَن كان بعده وقيل « خليفة » على وزن « فعيلة » بمعنى « فاعل » أى يخلف ما كان قبله [4] .

و « خليفة » تأتى بمعنى السلطان الأعظم [5] كالخليفة أبو بكر ، والخليفة عمر بن الخطاب ....

و « خلفه خلافة » أى كان خليفته ، فالخلافة هى « النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه ، وإما لموته ، وإما لعجزه ، وإما لتشريف المستخلف » [6] .

ونجد أن ما ينطبق على خلافة الإنسان للّه تعالى فى الأرض ، أن يكون تشريفاً للخليفة من قِبَلِه تعالى .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (مرجع سابق) ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢) ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٨٣

ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٦٩

(٣) أيوب بن موسى الحسينى : الكليات (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٣٠٠ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٢

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٢٥

(٥) الفيروز آبادى : القاموس المحيط (مرجع سابق) جـ ٣ ص ١٣٧

ابن منظور : لسان العرب المحيط (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٨٣

(٦) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب فى القرآن (مرجع سابق) ص ١٥٦

ولقد اختلف العلماء فى تحديد معنى « خليفة » فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ [1] .

ولقد ترتب على هذا الاختلاف ، اختلافهم فى المراد بالخليفة والمستخلِف له .

● الخليفة :

لقد اختلف العلماء فى المراد به على أقوال وهى :

١ - بنو آدم وذريتهم :

فإن « خليفة » على وزن « فعيلة » بمعنى « فاعل » أى يخلف ما كان قبله ، وآدم عليه السلام هو أول من عمر الأرض وخلفه بعده ذريته ، ولم يخلف غيره [2] .

ولقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

ففى قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ..... ﴾ إشارة إلى من يخلفون آدم عليه السلام ، وهم ذريته الذين يُتصور منهم مثل ذلك [4] .

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٢

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٨٠ .

الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٧١

(٣) البقرة : ٣٠ .

(٤) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٢

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٢٥

٢ - آدم عليه السلام :

فإن « خليفة » على وزن « فعيلة » بمعنى « مفعول » أى يخلفه من كان بعده من ذريته ، وهو لم يخلف غيره (١) .

كما أن آدم عليه السلام - وهو فى الملإ الأعلى - هو الذى علم مسميات الأشياء كلها ، وسجدت له الملائكة تكريماً له ، وهو الذى فاز على الملائكة فى المناظرة معهم .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

٣ - آدم عليه السلام وكل نبى :

فإن المراد بـ « خليفة » فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً .... ﴾ (٣) . هو آدم عليه السلام ، وهو نبى .

عن أبى ذر : « ... قلتُ : يا رسول الله ؛ أى الأنبياء كان أول ؟ قال : آدم . قلت : يا رسول الله : ونبى كان ؟ قال : نعم نبى مُكَلَّمٌ ... » (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٨.
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٢
القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٢٥
(٢) البقرة : ٣١ - ٣٤ (٣) البقرة : ٣٠.
(٤) رواه أحمد ، جـ ٥ ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٦٥

فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) .

أى جعلناك خليفة لمن كان قبلك من الأنبياء لتحكم بالحق ولا تتبع الهوى (٢).

فكل نبى هو خليفة للّه تعالى فى إجراء أحكامه ، وتنفيذ إرادته فى عمارة الأرض وسياستها ، فهم نائبون عن اللّه تعالى لا لحاجة له ، ولكن لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه تعالى ، وتلقى أمره سبحانه بغير وسيط (٣) .

ويكون المقصود بـ « الخليفة » السلطان الأعظم الذى تم تعيينه من قِبَلِه تعالى بالوحى إليه نبياً .

٤ - آدم عليه السلام وذُرِّيته :

فإن المراد بـ « الخليفة » هو النوع الإنسانى ، وإن كان المراد بـ « خليفة » آدم عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٤) . فإن ذلك إنما اكتفاء بذكره عليه السلام عن ذكر أبناءه وذُرِّيته ، لأن ذكره يشملهم ، ويدل عليهم كقولك : قبيلة مُضر ، أى بنو مُضر .

فإن اللّه تعالى لم يرد آدم عليه السلام وحده ، وإنما أراد النوع الإنسانى (٥) وهذا هو الراجح لما يأتى :

---

(١) سورة ص : ٢٦

(٢) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٣٧٢

البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٦٠٢ .

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢٦ ص ١٩٩

(٣) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٧ ص ٢٢٣

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢٦ ص ١٩٩

أيوب بن موسى الحسينى : الكليات (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٣٠٠ .

(٤) البقرة : ٣٠ .

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٩

الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٧١

الشوكانى : فتح القدير(مرجع سابق) جـ ١ص ٦٢

(أ) إن فى قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

ففيه ما لا يُتصور وقوعه إلا من ذُرِّيته ، وهو ما فهمته الملائكة من أن الخلافة له ولذُرِّيته (٢) .

وكذلك ما فهمه إبليس - لعنه الله - فى الملإ الأعلى .

قال تعالى : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٣) .

أما كيف فهمت الملائكة ذلك فقد اختلف العلماء فيه على أقوال وهى :

١ - إن فى الآية محذوفاً تقديره (٤) : « إنى جاعل فى الأرض خليفة يفعل كذا وكذا فقالوا : أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ... » ؟.

٢ - إن ما فهمته الملائكة إنما هو من إعلام الله تعالى لهم بذلك (٥) .

٣ - إن الملائكة عرفوا ذلك من اللّوح المحفوظ (٦) .

---

(١) البقرة : ٣٠.

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٩
الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٧١
البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٢٣

(٣) الحجر : ٣٢ - ٤٠.

(٤) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٢

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٩

(٦) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٧١

٤ - إن ذلك مما شاهدته وعرفته الملائكة عن طبيعة المخلوقات الأرضية كالحيوانات ، والطيور ... والتى سبقت الإنسان فى وجوده ، وأنه يشاركها فى طبيعتها [١] .

٥ - إن الملائكة قاسوا الإنسان على الجن الذين سكنوا الأرض قبله [٢] .

٦ - إن الملائكة فهموا « خليفة » بالسلطان الأعظم الذى يفصل بين الناس فى المظالم [٣] .

٧ - إن الملائكة يعلمون أنهم المعصومون ، وأن غيرهم لا يكونون بصفتهم [٤] .

وإن التأمل فى هذه الأقوال يُظهر التقارب بين الأقوال الثلاثة الأولى وهى تأتى فى الدرجة الأولى فى الترجيح ، ثم يليها القول الرابع ، ثم القول الخامس . واللّه أعلم .

(ب) إن عناصر وخصائص التكوين لآدم عليه السلام هى عناصر وخصائص التكوين لذُرِّيته فكل منهم يتكوَّن من الطين ونفخة الروح كما سبق .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٩

(٢) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٧١

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٩

(٤) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٧١

(٥) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٦) السجدة : ٧ - ٩

(جـ) إن عمارة الأرض له عليه السلام ولذُرِّيته ، وليس له وحده وكذلك التكليف ، وكذا الغاية من الوجود .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [3] .

(د) إن التكريم لآدم عليه السلام فى الملإ الأعلى إنما هو تكريم للإنسان عامة ، وإن خلقه وتصويره خلق وتصوير لذريته [4] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِى الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [6] .

● المستخلِف له :

وكذلك لقد اختلف العلماء فى ذلك على أقوال ، وهى :

---

(١) هود : ٦١ (٢) الأحزاب : ٧٢ (٣) الذاريات : ٥٦

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٦.٤

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٩١

البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٢٣

(٥) الأعراف : ١٠ - ١١ (٦) الإسراء : ٧٠

١ - الملائكة :

فإن الخليفة يخلف الملائكة [١] الذين فى الأرض قبله ، لأنهم خُلقوا قبل آدم عليه السلام ، بدليل أن اللّٰه تعالى قد أعلن ذلك لهم قبل خلقه عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وإذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلاَئكَة إنِّى خَالقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلاَئكَة إنِّى جَاعلٌ فى الأرْض خَليفَةً ، قَالُواْ أتَجْعَلُ فيهَا مَنْ يُفْسِدُ فيهَا وَيَسْفكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إنِّى أعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ... ﴾ [٣] .

٢ - الجن :

فإن الخليفة يخلف الجن الذين سكنوا الأرض قبله [٤] ، فإن الجن قد خُلِقوا قبل آدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥] .

فإن تقديم الجن على الإنس إنما هو لتقدم وجودهم على الإنس .

كما أن إبليس - لعنه اللّٰه - من الجن على القول الراجح ، وقد اطلع على آدم عليه السلام قبل تمام خلقه ، لأنه داخل فى الأمر فى قوله تعالى : ﴿ وَإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلاَئِكَةِ إنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإذَا

---

(١) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٢
القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٢٥
الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٧١

(٢) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٣) البقرة : ٣٠.

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٢٥
الطبرى : تفسير الطبرى - تحقيق محمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر ، جـ ١ ص ٤٥.
الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن (مرجع سابق) ص ١٦٢

(٥) الذاريات : ٥٦

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ (1) .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لما صوَّر الله آدم فى الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يُطيف به ، ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خُلِقَ خَلْقاً لا يتمالك » (2) .

٣ - آدم قبل آدم عليه السلام :

وإن هذا القول يعتمد على أساطير هندية عن آدم عليه السلام وأنه كان عبداً عند سيد منهم فهرب إلى غرب الهند .

كما قال به بعض العلماء المحدَثين فى محاولة للجمع بين خلق آدم عليه السلام والجماجم التى تم اكتشافها قريبة من جماجم الإنسان الحالى (3) . ولقد سبق مناقشتها فى الباب الأول .

كما استدلوا بأقوال بعض الشعراء ، كأبو العلاء المعرى (4) :

جائز أن يكون آدم هذا   قبله آدم على إثر آدم

ويؤكد ذلك فى قوله :

وما آدم فى مذهب العقل واحدٌ   ولكنه عند القياس أوادم

ولقد جاءت الإشارة فى القرآن الكريم إلى أن آدم عليه السلام خلق جديد لم يسبقه مثله .

---

(1) الحجر : ٢٨ - ٣١

(2) رواه مسلم فى كتاب البر والصلة ، حديث ١١١ ، جـ ٤ ص ٢٠١٦.

(3) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٢٤ - ١٢٦

عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء . مؤسسة الحلبى وشركاه ، ط ٢ ، ص ١١

(4) طه حسين : من تاريخ الأدب العربى . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤م ، جـ ٣ ص ٦٢٣

قال تعالى : ﴿ إذْ قَالَ رَبُّكَ للْمَلاَئكَة إنِّى خَالقٌ بَشَراً منْ طِينٍ * فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (١) .

كما أن هنالك « بعض الأساطير اليونانية والفارسية التى تقول بأن هنالك جنساً آخر قبل الإنسان على الأرض ، وهو ما يسمونه بـ« الطّم » و« الرّم » وبـ « التيتان » والتى تعتبر من التعبير عن غير الموجود والمجهول كالغول وهيان ابن بيان .

وكذلك ما قيل عن مخلوقات أُخرى سبقت الإنسان اسمهم « الحن » و« البن » فإنما هى من أوهام وأساطير القدماء » (٢) .

وعلى كل هذه الأقوال الثلاثة السابقة يكون لفظ « خليفة » على وزن « فعيلة » بمعنى « مفعول » أى يخلف ما كان قبله من الملائكة أو الجن أو المخلوقات أُخرى سبقته عليه السلام .

٤ - اللّه تعالى :

قال تعالى : ﴿ وإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إنِّى جَاعِلٌ فِى الأرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣) .

وإذا كانت الآية لم تذكر المستخلِف له ، فإن ما يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة ، هو أنه خليفة للّه تعالى ، وليس هنالك ما يصرفه عن هذا المعنى من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية صحيحة .

كقولك : إنى جاعل فى الدار خليفة . فالخليفة لك لا لغيرك .

وإن الأرض مِلك للّه تعالى ، وإن ما يملكه الإنسان إنما هو تَملُّك مجازى كما سبق .

---

(١) سورة ص : ٧١ - ٧٢

(٢) محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير . الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ ، جـ ١ ص ٣٩٩ بتصرف

(٣) البقرة : ٣٠.

فقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [١] أى خليفة له ، ومما يُقوِّى هذا الرأى ما يأتى :

(أ) إن الأقوال السابقة تريد بكلمة « خليفة » معنى : خَلَف غيره بعده ؛ أى حل محل مخلوقات أُخرى قبله دون أن يكون للمستخلِف له أى قوامة على الخليفة ، وإنما هى خلافة زمانية ومكانية .

أما جعله خليفة للّه تعالى فيُراد بكلمة « خليفة » معنى النائب أو المفوَّض [٢] ، وهو الذى حل محله فى إجراء أحكامه وتنفيذ إرادته فى عمارة الأرض [٣] ، وللمستخلِف القَوَامة على خليفته ، وإن هذه الخلافة من اللّه تعالى للإنسان فيها تشريف له ، لتلتقى إرادته مع إرادة اللّه الشرعية فى إحلال النظام فى عمارة الأرض .

(ب) أن اللّه تعالى أعلن هذه الخلافة فى الملإ الأعلى قبل ظهورها للحفاوة بالخليفة وتكريمه [٤] ، والإشارة إلى أنه ذو شأن عظيم كما تدل عليه « التاء » فى « خليفة » [٥] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [٧] .

وليس من هذا التكريم والحفاوة شيء للملائكة ، أو للجن ، أو لبَشر سبقوه . ولا نجد حكمة لذلك إلا أن تكون خلافة عن اللّه تعالى [٨] .

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢٦ ص ١٩٩

(٣) مجمع اللُّغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٨٣

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٢٦ - ١٢٧

(٥) أيوب بن موسى الحسينى : الكليات (مرجع سابق) ص ٣٠٠ .

(٦) البقرة : ٣٠ . (٧) سورة ص : ٧١ - ٧٢

(٨) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٢٧

(جـ) إن من عناصر وخصائص التكوين للإنسان « الروح » والذى منحه قبس من صفاته تعالى كالإرادة ، والعلم ، والرحمة ، والعدل ... والتى يعلو بها الإنسان على المحسوسات إلى المعانى المجرَّدة كالخير والشر والحق والباطل ... والتى تزدخر بها حياته الباطنية [١] ، والتى عن طريقها يمكن له إدراك ما لم تقع عليه الحواس عن طريق آثارها كما سبق .

قال تعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [٢] .

وإن اللّه تعالى لم يطلب من الملائكة التكريم والحفاوة بآدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه ، وإنما عَلَّقَ ذلك بنفخ الروح فيه [٣] .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [٤] .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « خَلَقَ اللّه آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسَلِّم على أولئك النفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة اللّه ، فزادوه : ورحمة اللّه ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن » [٥] .

وعن ابن عمر قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لا تُقَبِّح الوجه ، فإن ابن آدم خُلِقَ على صورة الرحمن تبارك وتعالى » [٦] .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٣١ (٢) السجدة : ٧ - ٩

(٣) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ١٢٦

(٤) سورة ص : ٧١ - ٧٢

(٥) رواه البخارى فى كتاب الاستئذان ، باب : بدء السلام ، جـ ٧ ص ١٢٥

(٦) رواه الطبرانى فى صحيحه بإسناد رجاله ثقات . انظر : =

ومن هذا الحديث السابق يترجح أن الضمير فى « صورته » فى الحديث الأول يعود إلى اللّه تعالى .

وبذلك يكون المعنى المراد - واللّه أعلم - بـ « الصورة » الصفة [(١)] ، وهى ما عبَّر عنها بالقبس من صفاته تعالى كالحرية والإرادة والعلم والعدل والرحمة .. والتى منحها اللّه تعالى للإنسان كما سبق .

فإن عناصر وخصائص التكوين لآدم عليه السلام هى عناصر وخصائص التكوين لذُرِّيته ، وإن التكريم له فيه تكريم لذُرِّيته ، لأن خلقه وتصويره ، هو خلق وتصوير لذُرِّيته ، فالخلافة والتكليف وصف عام للإنسان [(٢)] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فى الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فيهَا مَعايشَ ، قَليلاً مَا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا للْمَلَائكَة اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إلاَّ إبْليسَ لَمْ يَكنُ منَ السَّاجِدينَ ﴾ [(٣)] .

ولذلك فمن الأولى أن يكون من انفرد بهذه الخصوصية ، وهذا القبس من صفاته تعالى خليفة له سبحانه .

(د) إن هذه المكانة التى حظى بها الخليفة عند اللّه تعالى ، وأن كل شىء فى الأرض والكون مُسَخَّرٌ له ، وخُلقَ من أجله ، فمن كانت هذه منزلته عند اللّه تعالى فمن الأولى أن يكون خليفة له سبحانه ، بمعنى النائب أو المفوَّض .

= ابن حجر العسقلانى : فتح البارى (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٨٣

نور الدين الهيثمى : مجمع الزوائد ، دار الكتب ببيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م ، جـ ٨ ص ١٠٦

ابن أبى عاصم : كتاب السنة ، ومعه ظلال الجنة فى تخريج السُنَّة ، للألبانى ، المكتب الإسلامى ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) جـ ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى (مرجع سابق) جـ ١١ ص ٣

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٦٠٤

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٩١

البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مرجع سابق) ص ٢٠٠

(٣) الأعراف : ١٠ - ١١

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِىَ الفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

(هـ) إن الجن والملائكة وغيرهما من المخلوقات يشاركون الإنسان فى العبودية للّه تعالى ، ولكن له خصوصية الروح ، وخصوصية حمل الأمانة ، وخصوصية الخلافة كما سيأتى .

ولذلك فمن الأولى أن يكون خليفة اللّه تعالى بمعنى النائب أو المفوض ، لا لغيره من المخلوقات بمعنى خلف غيره بعده فى الزمان المكان .

(و) إذا لم يكن فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ تصريح بالمستخلِف له ، فقد جاء فى الأحاديث النبوية التصريح به .

عن ثوبان قال : قال رسول اللّه ﷺ : « يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قِبَلِ الشرق ، فيقتلونكم قتلاً لن يُقتله قوم » ، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه ، فقال : « فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حَبْواً على الثلج ، فإنه خليفة اللّه المهدى » (٣) .

---

(١) لقمان : ٢٠ .   (٢) الجاثية : ١٢ - ١٣

(٣) رواه ابن ماجه فى كتاب الفتن ، باب : خروج المهدى ، جـ ٢ ص ١٣٦٧ ، وصححه الحاكم وابن كثير . انظر :

الحاكم : المستدرك على الصحيحين (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٤٦٣

ابن كثير : كتاب الفتن والملاحم ، تحقيق إسماعيل الأنصارى . مؤسسة النور بالرياض ، ١٣٨٨ هـ ، جـ ١ ص ٣١

وعن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، هو خليفة الله فى الأرض ، وخليفة كتابه ، وخليفة رسوله » [1] .

وعن سبيع بن خالد قال : أتيتُ الكوفة فى زمن فتحت « تستر » أجلب منها بغالاً ، فدخلتُ المسجد فإذا صدع من الرجال ، وإذا رجل جالس ، تعرف إذا رأيته أنه من رجال أهل الحجاز ، قال : قلت : مَن هذا ؟ فتجهمنى القوم ، وقالوا : ما تعرف هذا ؟ هذا حذيفة صاحب رسول الله ﷺ ، فقال حذيفة : إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، فأحدقه القوم بأبصارهم ، فقال : إنى قد أرى الذى تنكرون ، إنى قلت : يا رسول الله ؛ أرأيتَ هذا الخير الذى أعطانا الله ، أيكون بعده شر ، كما كان قبله ؟ قال : نعم ، قلت : فما العصمة من ذلك ؟ قال : السيف . قلت : يا رسول الله ؛ ثم ماذا ؟ قال : « إن كان لله خليفة فى الأرض ، فضرب ظهرك وأخذ مالك ، فأطعه ، وإلا فمت وأنت عاض بجذل شجرة ... » [2] .

ولذلك يجب أن يكون المستخلِف له فيما لم يُصرَّح به فى الآيات القرآنية هو المستخلِف له فى هذه الأحاديث النبوية ، كما أن المقتضى اللُّغوى يقتضى ذلك ، لأنه هو الذى ينصرف إليه ذهن السامع .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [3] أى إنى جاعل فى الأرضَ خليفةَ لى [4] .

---

(١) السيوطى : الفتح الكبير ، نسخة مصوَّرة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٩٥ حديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ ١ ص ٧٥٦

علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى : كنز العمال ، ضبطه وفسَّر غريبه : بكرى حيانى ، وصحَّحه ووضع فهارسه : صفوة السقا . مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩ هـ ، جـ ٣ ص ٧٥

(٢) رواه أبو داود وأحمد واللفظ لأبى داود فى كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائله – خليل أحمد السهارنفورى : بذل المجهودفى حلل أبى داود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ١٧ ص ١٣٦ – ١٣٩ . – وصححه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٤٢٣

(٣) البقرة : ٣٠.

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٢٥

كقولك : إنى جاعل فى الدار خليفة . أى خليفة لى .

وقال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الحِسَابِ ﴾ (١) .

أى : يا داود إنا جعلناك خليفة لنا فى الأرض (٢) .

كقولك : إنا جعلناك خليفة فى الدار . أى خليفة لنا فى الدار .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ، أَءِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ، قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

فـ « خلفاء » مضاف و « الأرض » مضاف إليه أى : خلفاء الأرض ذاتها ، ولذلك فالمعنى : خلفاء له فى الأرض ، بصرف النظر عما سبقوه عليها (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) .

فـ « خلائف » مضاف و « الأرض » مضاف إليه أى : خلائف الأرض ذاتها ، ولذلك فالمعنى : خلائف له فى الأرض (٦) بصرف النظر عما سبقوه عليها .

وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِى الفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ

---

(١) سورة ص : ٢٦

(٢) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٣٧٧

(٣) النمل : ٦٢

(٤) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٠ .

(٥) الأنعام : ١٦٥

(٦) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٨٦

الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ١٤ ص ١٥

أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨٠ .

خَلائفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (١) .

أي : وجعلناهم خلائف لنا ... ولذلك تتضمن الآية أمرين وهما : الخلافة للمؤمنين ، وإغراق الذين كفروا .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

أي : يجعلهم خلفاء له في الأرض ، كما جعل خلفاء له من قبلهم (٣) .

كقولك : استخلفتُك في الدار كما استخلفتُ الذى من قبلك .

أي : جعلتك خليفة لى في الدار كما جعلتُ خليفة لى الذى من قبلك .

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ، قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

أي : يجعلكم خلفاء له في الأرض ، فتتضمن الآية نعمتين وهما : إهلاك عدوهم ، والخلافة عن الله تعالى في الأرض .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً ، إِنَّ رَبِّى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (٥) .

أي : ويجعل خلفاء له غيركم ...

وإذا تقرَّر أن الإنسان خليفة لله تعالى ، فإن مقتضى القول في الآيات القرآنية التى صَرَّحَ فيها بالمستخلِف له هو تطابق المعنيين لكلمة « خَلَفَ » ، وتحققهما في آن واحد (٦) كما سبق – وهما بإيجاز :

---

(١) يونس : ٧٣ (٢) النور : ٥٥

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٤٧

(٤) الأعراف : ١٢٩ (٥) هود : ٥٧

(٦) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨.

(أ) « خَلَفَ » بمعنى خَلَفَ غيره بعده ، وحل محله دون أن يكون للمستخلِف أى قوامة على الخليفة ، وإنما هى خلافة زمانية ومكانية كالوارث والموروث .

(ب) « خلف » بمعنى النائب أو المفوَّض ، ويكون للمستخلِف القوامة على خليفته ، كالوكيل والموكِل .

كقولك : استخلفتُك من بعد زيد . أى جعلتُك خليفة لى بعد خليفتى زيد .

فالمتكلم هو الذى جعل المخاطَب يخلف زيداً فى مكانه ومحله ، وهو الذى جعل المخاطَب خليفة له .

وليس هنالك ما يمنع من انطباق وتحقيق المعنيين فى ذلك ، وهذا ما نشاهده فى الآيات القرآنية التالية [1] :

قال تعالى : ﴿ ... وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَصْطَةً ، فَاذْكُرُواْ آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [2] .

أى : جعلكم خلفاء له مكان قوم نوح .

ولم يقل « خلفاء قوم نوح » إشارة إلى البُعد الزمنى بينهما ، وخصَّ قوم نوح هنا بالذكر لأخذ العبرة من مآلهم ومصيرهم الذى حل بهم ، حتى لا يغتر قوم عاد بما منحهم اللّه تعالى من زيادة فى الخَلْق ، وبسطة فيه ، مما لم يكن لمثلهم فى زمانهم ، فهم خلفاء اللّه تعالى من جهة بمعنى النائب أو المفوَّض ، كما أنهم خلفوا قوم نوح فى الزمان والمكان ، أو فى الزمان فقط من جهة أُخرى [3] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ

---

(١) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٨.

(٢) الأعراف : ٦٩

(٣) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٣٩

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٢١٨

فِى الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتاً ، فَاذْكُرُواْ آلاَءَ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

أى : جعلكم خلفاء له مكان قوم عاد (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِى الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

أى : جعلناكم خلائف لنا مكانهم .

وقوله تعالى : ﴿ ... إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ (٤) .

أى : يجعل آخرين خلفاء له مكانهم (٥) .

ففى كل من الآيات السابقة نجد أنها تتضمن « خَلَفَ » بمعنى « الخلف » ، و« خَلَفَ » بمعنى « النائب » أو « المفوَّض » ، وأن المعنيين يتحققان ويتطابقان فى آن واحد .

ولقد جاءت الإشارة الصريحة فى القرآن الكريم إلى أن الإنسان مُستخْلَف من قبَلِه تعالى فى بعض نشاطاته وفعالياته .

قال تعالى : ﴿ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَأَنْفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٦) .

ولا شك أن النشاط الاقتصادى جزء مهم من الفعاليات الإنسانية فى الحياة على هذه الأرض .

وأن الكثير من نشاطاته الأخرى لا تقل أهمية عن نشاطه الاقتصادى .

ولذلك فمن باب أولى أن تكون فى حكمه .

* * *

---

(١) الأعراف : ٧٤

(٢) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٤٢

(٣) يونس : ١٤

(٤) الأنعام : ١٣٣

(٥) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢١١

(٦) الحديد : ٧

الفصل الثانى

الإنسان والخلافة

مما سبق يتضح أن الإنسان هو خليفة اللّه فى الأرض ، وأنها خصوصية له لم تكن لغيره من المخلوقات .

ولا شك أن لهذه الخلافة مقوِّماتها التى تتعلق بالخليفة ذاته ، وبما استُخْلِفَ فيه ، ولكل مقوِّم دور بارز فى تحقيقها ، وفيما يلى تفصيل ذلك :

١- الإنسان :

لقد سبق الحدْيث عن عناصر التكوين للإنسان ، وخصائصه التى يتمتع بها ، مما يفرض علىّ أن أتجنب التكرار ، وأن أُوجز فيما أضطر إلى إعادته .

إن الإنسان يتكوَّن من عنصرين :

(أ) الجانب المادى :

وهو الجسد الذى يتكوَّن من عناصر الطين (الماء + التراب) ، وإن هذا الجانب له حاجاته التى تتعلق بالدوافع الفطرية العضوية كالجوع ، والعطش ، والتنفس للهواء الطَلق...

وإن مقادير هذه العناصر تختلف حسب أهمية كل عنصر ، وإن نقص أى عنصر منها يُعتبر حالة مرضية ، وقد يصل بالإنسان إلى الموت كما سبق (١) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (٢) .

---

(١) د . خالص الجلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢ ، ٤٧

البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٠ .

(٢) المؤمنون : ١٢

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أجَلاً ، وَأجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ ، ثُمَّ أنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (2) .

(ب) الجانب الروحى :

وهو ما منحه الله تعالى للإنسان ، فاتصف بقبس من صفاته سبحانه ، كالعِلم ، والحرية ، والإرادة ... (3) .

كما منحه دوافع نفسية واعية كحب التدين ، وحب التملك ، وحب الخلود ... (4) .

قال تعالى : ﴿ إذْ قَالَ رَبُّكَ للْمَلائكَة إنِّى خَالقٌ بَشَراً منْ طينٍ * فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه منْ رُوحى فَقَعُوا لَهُ سَاجدينَ ﴾ (5) .

وقال تعالى : ﴿ وإذْ قَالَ رَبُّكَ للْمَلائكَة إنِّى خَالقٌ بَشَراً منْ صَلْصَالٍ منْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه منْ رُوحى فَقَعُوا لَهُ سَاجدينَ * فَسَجَدَ المَلائكَةُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ ﴾ (6) .

وإن هناك علاقة وثيقة بين عنصرى التكوين ، وتأثيراً متبادلاً بينهما لا يمكن معها فصل أحدهما عن الآخر ، فهما يشكلان وحدة ممتزجة ، وإن الإفراط أو التفريط فى أحدهما على حساب الآخر لا يتفق مع طبيعة الإنسان ، فالازدواجية

(1) الأنعام : 2 (2) طه : 55

(3) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص 33 ، 49 - 50 .
أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص 83

(4) جمال الدين بوقلى حسن : قضايا فلسفية (مرجع سابق) ص 614
د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص 135 ، 143 ، 144
فيشته : غاية الإنسان (مرجع سابق) ص 184 - 185

(5) سورة ص 71 - 72. (6) الحجر : 28 - 30 .

ليست أمراً طارئاً عليه ، وإنما هى طبيعته التى خُلِقَ عليها ، واستحق بها الخلافة لتحقيق التعادلية والاتزان بينهما [1] .

قال تعالى : ﴿ إذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ ، إنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبَاً ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ يَا بَنِى آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ ، إنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [5] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تَقَالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ، قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإنى أُصلّى اللّيل أبداً ، قال آخر : أنا أصوم الدهر ، ولا أُفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين

---

(١) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١

د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤١

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٦

(٢) سورة ص ٧١ - ٧٢ (٣) النساء : ٢٨

(٤) المائدة : ٨٧ - ٨٨ (٥) الأعراف : ٣١ - ٣٣

قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلّى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » [1] .

وإن التقسيم للدوافع إلى دوافع فطرية نفسية ، ودوافع فطرية عضوية ، ودوافع نفسية مكتسبة ، إنما هو تقسيم يقتضيه المنهج العلمى فى دراستها وإلا فإنها تمتزج فى كيان واحد فى السلوك العملى للإنسان .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [2] .

وحيث إن من عناصر التكوين للإنسان عناصر الأرض ، فإنه الأجدر والأقدر على التعامل معها ، لأنه مخلوق منها .

وإن حاجاته العضوية ترتبط بها ارتباطاً قوياً فلا يستطيع الفكاك منها ، لأنه دونها يفقد حياته .

كما أن المخلوقات الأرضية المرئية كالحيوانات ، والطيور ، والأسماك ، والنباتات ... تتكوّن عناصرها من عناصر الأرض ، وهى مما سُخِّر للإنسان للاستفادة منها ، وهو القادر على التعامل معها جميعاً ، لتفوقه عليها ، بما منحه الله من قُدرات عقلية ونفسيه ، لم تكن لغيره من المخلوقات [3] .

قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ

---

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الترغيب فى النكاح ، جـ ٦ ص ١١٦

(٢) الشمس : ٧ - ١٠ .

(٣) الراغب الأصفهانى : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، دار مكتبة الحياة ببيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٦٢ - ٦٣

(٤) الجاثية : ١٣

وَالأنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُواْ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ ، وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الأرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) .

وأما الملائكة فإنهم خُلقوا من عنصر آخر غير أرضى ، وهو النور .

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَت الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجان من مارج من نار ، وخُلِقَ آدم مما وُصِفَ لكم » (٤) .

وليس للملائكة خصائص التكوين للإنسان ، كالحرية والإرادة والتعلم ...

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ﴾ (٦) .

---

(١) الزخرف : ١٢ - ١٣ (٢) النحل : ١٢ - ١٤ (٣) الإسراء : ٧٠.

(٤) رواه مسلم فى كتاب الزهد ، حديث ٦٠ ، جـ ٤ ص ٢٢٩٤

(٥) التحريم : ٦ (٦) البقرة : ٣١ - ٣٢

وأما الجن فإنهم لم يُخلقوا من عناصر الأرض كلها ، وإنما خُلقوا من بعض عناصرها غير المرئية عن طريق التحول ، فهم إنما خُلقُوا من مارج مَن نار .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمإٍ مَّسْنُونٍ * وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ (١) .

ولقد ورد فى السُنَّة النبوية أن غَذاءهم من العظم والرَوث مما يُشير إلى أنه من عناصرهما غير المرئية ، حيث إن كلاً منهما لا يفنى عن إدراكنا إلا بعضْ عناصرهما غير المرئية ، لأن المواد الجيرية والفسفورية لها خواص نارية ، ولو كان غذاؤهم فى عناصرهما المرئية لتم رؤيتهم (٢) .

عن أبى هريرة رضى اللّه عنه « أنه كان يحمل مع النبى ﷺ أداوة لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها فقال : مَن هذا ؟ ، فقال : أنا أبو هريرة . فقال : أبغى أحجاراً أستنفض بها ولا تأتنى بعظم ولا بروثة . فأتيته بأحجار أحملها بطرف ثوبى حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت : ما بال العظم والروثة ؟ قال : هما من طعام الجن » (٣) .

وكذلك فإن استغناء الجن عن الأوكچسين فى الغلاف الجوى ، يدل على أنه ليس من عناصر تكوينهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * إلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ (٤) .

وأما الإنسان فإنه بحاجة عضوية لعناصر الأرض جميعها بما فيها الأوكچسين بنسبته الموجودة فى الغلاف الجوى للكُرة الأرضية كما سبق .

كما أن من عناصر التكوين للإنسان الروح ، الذى منحه قبس من صفاته تعالى ، والتى تزدهر بها حياته الباطنية والعقلية ، والتى كان له على أساسها دوافعه الفطرية النفسية ، والنفسية المكتسبة ، والتى تتصف جميعاً بأنها واعية ، بعكس الدوافع عند الحيوانات والنباتات ... التى تُعتبر عمياء كما سبق .

---

(١) الحجر : ٢٦ - ٢٧ (٢) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٧.
(٣) رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار ، باب : ذكر الجن ، جـ ٤ ص ٢٤. - ٢٤١
(٤) الحجر : ١٦ - ١٨

ولقد أكرم اللّٰه تعالى الإنسان بحسن الخَلْق والخُلُق ، مما جعله فى قمة المخلوقات ، وجعل اللّٰه تعالى له المشاركة فى عمارة الأرض .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) .

وإن الإنسان إذا اتصف بصفات عالية ، فهى صفات له كإنسان ولعل أهمها :

(أ) التعلم :

إن الإنسان له قدراته وإمكانياته العقلية ، التى يستطيع بها أن يدرك ما تقع عليه حواسه ، والتى تُغذى حياته الباطنية بالمعانى المجردة التى تُوحى بها .

كما أن الإنسان يتمتع بالقدرة على إعطاء هذه المدَركات وما تُوحى به المصطلحات اللُّغوية ، التى يستطيع بها أن يُعبِّر عنها ، بالبيان ، والقراءة ، والكتابة ، فيستطيع أن يُدوِّن معلوماته وخبراته له وللآخرين ، وأن تبادل هذه المعلومات والخبرات يُثرى الحياة فى مسيرتها العلمية والعملية ، فيصل الإنسان بها إلى مزيد من الرُّقِّى (٤) .

وأن للإنسان دافع حب الاستطلاع ، الذى يدفعه إلى تحصيل المعارف ، وكأنها هدفه ، فتزدهر حياته الباطنية والعملية ، فتزدهر الحياة فى تحقيق

---

(١) التين : ٤ (٢) الصافات : ١٢٣ - ١٢٥ (٣) الإسراء : ٧٠.

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٧

محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

عبد الكريم الخطيب : الإنسان (مرجع سابق) ص ٢٥ - ٢٦ .

الأهداف الإنسانية ، عن طريق دوافع ذاتية للأفراد ، فالتقدم العلمى هدف أصيل فى الحياة [1] .

وإن التعلم هو موضوع الامتحان بين آدم عليه السلام والملائكة فى الملإ الأعلى .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [2] .

وإن الفوز فى هذا الامتحان من قِبَلِ آدم عليه السلام يعنى أن دائرة التعلم – القدرات العقلية – عند الإنسان أوسع من دائرته عند غيره من المخلوقات ، وإن الإشارة إلى العلم فى هذا المقام تدل على أنه قمة مقوِّمات الإنسان للخلافة فى الأرض .

وإذا كانت دائرة القدرات العقلية عند الإنسان أوسع من بقية المخلوقات فإن دائرة الاستثمار لها أوسع .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[4] .

وإن هناك عوامل كثيرة تُؤثر على العمليات العقلية فى صحة أحكامها ، فمنها ما يتعلق بعوامل كامنة فى الذات كقوة الذكاء وضعفه ، ودقة الحواس

---

(١) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ٨٣

(٢) البقرة : ٣١ – ٣٣ (٣) هود : ٦١ (٤) الحديد : ٢٥

وضعفها ، ومنها ما يتعلق بعوامل خارجية تُؤثِّر عليها كالخبرات الانفعالية ، التى لها أثر كبير فى تسهيل أو عرقله الإدراك كالحب والكُره ... [1]

عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدىً وَشِفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً ، أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُواْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [4] .

كما أن الحواس تقع فى أخطاء فى عملية الإدراك والذى يؤدى إلى أخطاء فى الحكم على المدَركات كخداع البصر [5] .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْئَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [6] .

وإن القدرات العقلية تحكم - أحياناً - على الإدراكات الحسية فى صحتها وخطئها عن طريق التجارب والخبرات السابقة ، لما للمحسوسات من اتفاقات واختلافات تُوحى بمعقولاتها التى تحكم بها على الحواس .

---

(١) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص . ٤٥ - ٤٥١
أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٦ - ٣٠.
سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص . ١٥
(٢) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفِع القلم عن ثلاثة ، جـ ٢ ص ١٧١
(٣) فصلت : ٤٤ (٤) البقرة : ١٧٠.
(٥) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، دار الحياة ببيروت ، ط٢ ص٣٢
(٦) النور : ٣٩

ولذلك فإن القدرات العقلية تعلو على الحواس ، وتحكم عليها ، فهى أعلى مرتبة منها [1] .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴾ [2] .

وإذا كانت العمليات العقلية تعلو على الحواس فإن الإنسان يعلو بها فى عملية إشباعها ، فالمعلومات والخبرات السابقة لديه ودرجة تُشَرُّبه بها تُوحى إليه بجوانب الخير ، وجوانب الشر ، وعن طريق الدوافع النفسية يلزم الطيبات ، وينبذ الرذائل .

قال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [3] .

وعن وابصة بن معبد الأسدى أن رسول الله ﷺ قال لوابصة : « جئتَ تسأل عن البر والإثم ؟ قال : نعم . قال : فجمع أصابعه فضرب بها صدره ، وقال : « استفت نفسك ، استفتِ قلبك يا وابصة - ثلاثاً - البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إلَيه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » [4] .

وإن القرآن الكريم قد وضع الكون كله مكان تأمل وتفكير للإنسان ليخرج بإدراكاته العلمية للطبيعة ، وسُنَنها وقوانينها ، وخصائصها ، بدوافع ذاتية .

وإن القيمة الحقيقية لتلك الإدراكات الإنسانية تكمن فى عملية الاستثمار لها ، وتوجيهها بما تُوحى إليه من معانى باطنية ، والتى ستصل به إلى مسائل

---

(١) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٢

(٢) الحج : ٤٦ (٣) الحجرات : ٧

(٤) رواه الدارمى فى كتاب البيوع ، باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، جـ ٢ ص ٢٤٥ -٢٤٦

اجتماعية واقتصادية ... فيجب أن لا يأخذ منها إدراكاته الحسية فقط ، ولكن يجب أن يأخذ منها إدراكاته المعنوية ، التى هى قيمة الإنسان ، والتى تُحتِّم عليه أن يكون استثمارها ، وتوجيهها نحو العمل الصالح ، فليست قيمة العلم فى اكتشاف الجديد بقدر قيمته فى توجيه الاستثمار .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فيه تُسيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخيلَ وَالأعْنَابَ وَمنْ كُلِّ الثَّمَرَات ، إنَّ فى ذَلكَ لآيَةً لقَوْمٍ يَتفكرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ ، وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بأمْره ، إنَّ فى ذَلكَ لآيَات لقَوْمٍ يَعْقلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فى الأرْض مُخْتَلفاً أَلْوَانُهُ ، إنَّ فى ذَلكَ لآيَةً لقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذى سَخَّرَ البَحْرَ لتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْله وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

وبذلك ندرك مدى ضعف الإنسان أمام حجم المسائل التى تُحيط به ، وأن علمه يمكن أن تُحيط به الكثير من العقبات ، التى تجعله يخرج من كل علم بمسائل تُحيط به من آثارها ، ولا يمكن أن تكتمل أسلوب التوجيه والاستثمار لها إلا وفق أصول وقواعد ثابتة ، تتفق مع خصائص التكوين للإنسان ، لأنه يعيش فى مسائله بين العلم والجهل وما بينهما .

قال تعالى : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّموَات وَالأرْض وَالجبَال فَأَبَيْنَ أنْ يَحْملْنَهَا وَأشْفَقْنَ منْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ ، إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقمْ وَجْهَكَ للدِّين حَنيفاً ، فطْرَتَ اللَّهِ الَّتى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْديلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) النحل : ١٠ - ١٤ (٢) الأحزاب : ٧٢ (٣) الروم : ٣٠ .

(ب) الإرادة :

لقد سبق الحديث عن الدوافع الإنسانية ، وأن له دوافعه الروحية التى هى قبس من صفاته تعالى ، وأن له دوافعه الفطرية العضوية التى تعتبر دوافع إلزامية فى عملية إشباعها ، وأن له دوافعه الفطرية النفسية التى ترتبط بالدوافع العضوية كحب التملك وحب الخلود ... وأنها أقرب للإلزام منه للاختيار .

وأن للإنسان خبراته الانفعالية ، التى تُعتبر دوافع مكتسبة نفسيه ، تُسَهِّل أو تُعَرِّقل سلوكه ، والتى يكتسبها فى حياته العملية من البيئة الخارجية ، وتعامله معها ، والتى تُوحى إليه بصفات إيجابية أو سلبية ليس له فيها اختيار ذاتى ، أو تُقلِّل نسبة الاختيار .

ولذلك فإن سلوك الإنسان الذى تدفعه إليه خبرات انفعالية فقط كالحب والكُره .. والتى يَتَّصف بها من تعامله مع البيئة لا يستحق عليها ثواباً ، وإن كانت صالحة ، لأنها إرادة عن نزوات ورغائب ذاتية أو اجتماعية .

عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « كل مولود يُولَد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء » [1] .

وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه عن رسول اللّه ﷺ قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا افقهوا ، وتجدون خير الناس فى هذا الشأن أشدهم له كراهية ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه » [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [3] .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين : جـ ٢ ص ١٠٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب المناقب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣) جـ ٤ ص ١٥٤

(٣) المائدة : ٥

وحيث إن الإنسان إنما خُلِقَ لغاية عُليا ، وهى العبادة للّه تعالى ، والعبادة ليست استجلاب لعنصر غريب عن الإنسان ، وإنما له دافع التدين الذى يعتبر أقرب للاختيار منه للإلزام الذاتى [١] .

قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَّبِكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ، إِنَّا اعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ... ﴾ [٢] .

وإن الإيمان الحق هو الذى يُشبع هذا الدافع ، وهو الذى تتجه إليه مقاصد السلوك الإنسانى ، فيعلو بالصفات الإيجابية ، ويتخلص من الصفات السلبية وفق أُصول وقواعد وأحكام ثابتة .

وإن الإنسان له اختيار ذاتى فى رفع ذلك إلى اللّه تعالى ، ومجاهدة النفس فى ذلك ، ولكل مجاهدة ، ولكل أجر ، سواء فى إعلاء الصفات الإيجابية أو فى التخلص من الصفات السلبية ، والصفات الإيجابية التى يكتسبها الإنسان من البيئة نعمة تستحق الحمد فى إعلائها ، كما أن الصفات السلبية ابتلاء وامتحان تستوجب المجاهدة للتخلص منها .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذى جَعَلَكُمْ خَلائفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣] .

ولذلك فإرادة الفضيلة وسط بين أطراف كإرادة العفة التى هى وسط بين الشره فى الشهوة وجمود الشهوة ، والحياء بين الوقاحة والخرق أى شدة الحياء [٤] .

وإن هذا الإيمان الموافق للفطرة الإنسانية يجد أرضاً خصبة عند الإنسان ، ليكون دافعاً أقرب للإلزام منه للاختيار وهو ما عَبَّر عنه الرسول ﷺ بحلاوة الإيمان .

---

(١) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٠ .

(٢) الكهف : ٢٩ (٣) الأنعام : ١٦٥

(٤) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٧

عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُقذف فى النار » (١) .

وبهذا الإيمان تتحقق التعادلية والاتزان فى إشباع الدوافع الإنسانية لتتصف بصفات إيجابية ، تعمل على تقوية الإرادة فى عملية توجيه السلوك وترشيده ، عن طريق الرعاية والاستجابة للنفس اللّوامة ، لتصل به إلى النفس المطمئنة بوعد الله تعالى ، فلا يجد صعوبة فى الاستجابة لها فيما يدعو إليه من الحق والخير .

قال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ * ارْجِعِى إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِى فِى عِبَادِى * وَادْخُلِى جَنَّتِى ﴾ (٣) .

وإن لكل إنسان تفاعله الخاص مع عناصر تكوينه ، ومع البيئة التى يعيش فيها ، والذى لا يشاركه فيه غيره كالتعلم والإرادة والعمل ... فمن كان عمله أصدق واختياره أفضل ، وعمله أصلح كان أكمل فى الإنسانية (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ أَتِىَ الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَداً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾ (٥) .

وإذا كان الإنسان فى طبيعة خلقه يتصف بالضعف فى العلم والإرادة ... لعوامل كثيرة تؤثر عليهما - كما سبق - فإن للعقيدة الإسلامية أسلوب علاجها مما يعتريه من عيوب تخرق عملية الاتزان والتعادلية ، وهو التوبة الصادقة ،

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، جـ ١ ص ٩

(٢) القيامة : ١ - ٢ (٣) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

(٤) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٥ - ٣٦

(٥) مريم : ٩٣ - ٩٦

والندم عليها ، والعزم على أن لا يعود إليها [١] ، فإن التوبة تسمو بالإرادة من الضعف إلى القوة .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

ولقد عصى آدم وزوجه بإرادتهما ، فتعكّر صفوهما .

قال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [٣] .

كما تابا إلى اللّه تعالى بإرادتهما .

قال تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [٥] .

وإن ذلك من طبيعتهما التى أرادها اللّه تعالى للإنسان ، وهى مما يحتاج إليه فى تقدير الذات ، لما للانفعالات من قيمة عظيمة فى حياة الإنسان ، وإثرائها .

فإن للإنسان إرادة فى توجيه سلوكه فى عملية إشباع دوافعه الواعية لما منحه اللّه من دوافع روحية هى قبس من صفاته تعالى ، وهذه الإرادة المبنية على أُسس من الحرية والاختيار ... ويترتب عليها المسؤولية فى الانضباط والانتظام فى إدارة السلوك وفق أُصول وقواعد وأحكام تتناسب معه فى تفاعله الداخلى ، وتفاعله مع البيئة .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [٦] .

---

(١) ابن القيم : مدارج السالكين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٣١٤ - ٣١٥

(٢) آل عمران : ١٣٥ (٣) طه : ١٢١ (٤) البقرة : ٣٧

(٥) الأعراف : ٢٣ (٦) الشمس : ٧ - ١٠ .

وإن التفاوت فى القدرات والاستعدادات (الجسمية والعقلية والنفسية) له أثر كبير فى عملية تصنيف الناس إلى قدرات مختلفة فى المجتمع والتى لها دور فى تحقيق التكامل فى عمارة الأرض (١) .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِياً ، وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣) .

وإن التفاوت بين الناس إنما هو تفاوت فى النعم ، الذى يترتب عليه تفاوت فى التكليف..

قال تعالى : ﴿ لاَ يَكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ (٤) .

وإن الإنسان عالَم صغير بجسده أمام هذا الكون الفسيح ، وله فيه إدراكاته ، وحركته ، واتصاله ، ولكن يضل فى باب التأمل والتفكير له جوانبه الواسعة الخفية والغامضة ، كما أن للعالَم الواسع جوانبه الخفية والغامضة (٥) .

ولقد منح الله تعالى الإنسان المواهب والقدرات للتأمل والتفكير فى العالَمين .

---

(١) أبو على أحمد بن مسكويه : الفوز الأصغر ، دار مكتبة الحياة ببيروت ص ١٠٥ - ١٠٧
أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٧
عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام ، المختار الإسلامى ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٣٩٧هـ ، ص١٢ - ١٤

(٢) الأنعام : ١٦٥ (٣) الزخرف : ٣٢ (٤) البقرة : ٢٨٦

(٥) أبو على أحمد بن مسكويه : الفوز الأصغر (مرجع سابق) ص ٩٢
د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِى أَنْفُسِكُمْ ، أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ (٢) .

٢ - الأرض والكون :

إن الاطلاع على الدراسات الحديثة عن الكون ، مما تم إدراكه من بعض المجموعات والمجرّات الكونية ، وما لها من سُنَن وقوانين ثابتة ودقيقة ، تجعل الإنسان يرى بعينيه الإبداع والقدرة على الخلق ، وأنه لا يزن جناح بعوضة بالقياس إلى هذا الكون فى جانبه المادى .

وإن لهذه القوانين والسُنَن أهمية كبيرة فى استمراره فى الوجود ، واستقراره وأمنه ، وفى حياته ومعيشته على الأرض بجميع قُواه ، وجميع جوانب ومسائل حياته الاجتماعية والاقتصادية ... (٣) .

وبذلك نُدرك شيئاً من التسخير الذى جعله الله تعالى للإنسان من قبل هذا الكون فى حياته .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِىَ الفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) فصلت : ٥٣ — (٢) الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٣) آلن هاينك : أسرار الكون ، ترجمة د . سيد رمضان هدارة ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة خاصة ص ٢٩ - ٤٥

(٤) لقمان : ٢٠ — (٥) الجاثية : ١٢ - ١٣

وإن هذا التسخير العام لقوانين وسُنَن الكون يصحبه تسخير خاص لقوانين وسُنَن الأرض وما تحتوى عليه من خيرات ومنافع ، له استثمارها بما منحه اللّه تعالى من مواهب وقُدرات موازية لها [1] .

قال تعالى : ﴿ اللّهُ الّذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ، إنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الّذي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [4] .

وإن هذا التناسق والتناسب والإبداع فى الخلق يوحى للإنسان بأنه لم يُخلق عبثاً .

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾[5].

وإن الإنسان ليس غريباً عن الأرض ، لأنه خُلِقَ منها ، وهو أولى بالخلافة فيها لما لديه من خصائص التكوين ، ولا يستطيع أن ينقطع عنها ، لأن بعض عناصره تتكوّن منها ، ففيها بقاؤه ، ولذلك يلزم اتصاله بها ، وهى المُسَخَّرة له لتناسبه .

---

(١) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٦٤ – ٦٥
صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبناء الإنسان ، مطبوعات تهامة ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ص ٥٤
عمر سليمان الأشقر : العقيدة فى اللّه (مرجع سابق) ص ٨٧
(٢) إبراهيم : ٣٢ – ٣٤ (٣) النحل : ١٤
(٤) سورة ص : ٣٦ (٥) المؤمنون : ١١٥

وإن هذه الأرض هى التى فهمتها الملائكة من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ (١) .

وإن الكواكب الأخرى لها أسماء فى الملإ الأعلى غير الأرض لما يدل عليه التعريف بـ « الـ » ، فهى المعهودة عند الملائكة ، ولا يمكن أن يكون للإنسان وجود حر منفصل عن هذه الأرض فى أى كوكب آخر .

وإن هذه الكواكب مُسَخَّرة للإنسان بما يستفيد منها على الأرض كاللّيل والنهار ، والحرارة ، والبرودة ، والزراعة ، والملاحة ...

فالكون مُسَخَّر لفعاليات الإنسان ونشاطه للقيام بمهمة الخلافة عن اللّه تعالى فى الأرض (٢) .

وإن المُلك للكون والأرض للّه تعالى ، وهو ما لا يختلف فيه عاقلان ، وإن اختلفوا فى تسميته سبحانه (٣) .

قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .

أما المُلك بالنسبة للإنسان فإنه مُلك حيازة محدودة فى الزمان والمكان ، وهو حق انتفاع ورعاية يتضمن تحمل المسؤولية .

كما أن اللّه تعالى لم يخلق هذه القوانين والسُنَن والمنافع التى تُحيط بالإنسان لنفسه ، وإنما خلقها للإنسان (٥) .

---

(١) البقرة : ٣٠.

(٢) د . حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٨٥

(٣) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦١

أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك ، ترجمة أحمد إدريس . دار القلم بالكويت ، ط ١ ، ١٣٩٨هـ ، ص ٩ - ١١

(٤) المائدة : ١٢٠.

(٥) د . ابراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ١١٦

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الغَنِىُّ الحَمِيدُ ﴾ (٣) .

وإن التسخير الذى يُحيط بالإنسان من كل جانب ، والقدرات والمواهب - الجسمية ، والنفسية ، والعقلية - الموازنة له تجعل الإنسان لديه القدرة على الكشف عن أسرار هذا الكون ومنافعه (٤) .

بل إن الطموح يدفع الإنسان إلى مزيد من التحسين والتفوق فى الاستثمار ، ودوره ينتهى بنقطة بداية الطموح الآخر ... وهكذا إلى أن لا ينتهى دور العمارة (٥) .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٦) .

وإن هذا التسخير وهذه المواهب والقدرات نعمة وتكريم من اللّه تعالى للإنسان ، ومقدمة للاستخلاف ، تُعينه على القيام بمهمة العبادة للّه تعالى (٧)

---

(١) البقرة : ٢٩ (٢) الأعراف : ١٠ (٣) الحج : ٦٤

(٤) د . إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٣

(٥) الراغب الأصفهانى : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (مرجع سابق) ص ٥٢

(٦) هود : ٦١

(٧) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦٩

د . إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٣

ولذلك فإن العمارة المادية تكاد تكون إلزامية ، لارتباط النشاط الإنسانى فيها بالدوافع العضوية والدوافع النفسية القريبة منها ، والتى تعتبر إلزامية لحركة ونشاط الإنسان .

ولكن هذه العمارة ليست مقصودة لذاتها ، وإنما لهدف أسمى وأشرف وهو العبادة لله تعالى ، والتى توافق خصائص تكوين الإنسان وليست غريبة عنه[1] .

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتاً ، فَاذْكُرُواْ آلاءَ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَواْ فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ، كَذَلِكَ نَجْزِى القَوْمَ المُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِم لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ * فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [4] .

ولذلك فإن مقام الإنسان فى استثمار جميع خصائصه وما سُخِّرَ له عن اتزان وتعادلية ، وليس فى استثمار بعضها دون بعض سواء أكانت مادية أو روحية.

وإن اختراق هذه التعادلية والاتزان ينزل بالإنسان من مقامه العالى ، مما لا تتصف به الحيوانات فى النزول من مقامها ، ولذلك فإن الإنسان بذلك يهبط إلى مستوى أقل منها .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾ [5] .

---

(١) البهى الخولى : الثروة فى ظل الإسلام (مرجع سابق) ص ٦٧ - ٦٨

(٢) الأعراف : ٧٤ (٣) يونس : ١٣ - ١٤

(٤) الشعراء : ١٤٦ - ١٥٠ . (٥) الأعراف : ١٧٩

ولقد أودع اللّه تعالى الإنسان خصائصه ، ومنحه التسخير للكون لاستثمارهما فى عمارة الأرض تكريماً له ، وعوناً له للقيام بمسؤولية العبادة للّه تعالى وحده التى خُلِقَ من أجلها (١) .

ولذلك فإن الإنسان إما أن يقابل هذا التكريم بالحمد والشكر عن طريق الإيمان ، والقيام بالتكليف ، الذى يحقق له التعادلية والاتزان فى خصائصه .

وإما أن يقابل هذا التكريم بالكفر الذى يكون من عوامل كثيرة مؤثرة على الذات - كما سبق - وقد يصل إلى تأليه الإنسان لغروره بما مُنح من مواهب وقدرات وما سُخِّرُ له فى الكون (٢) .

ولذلك فإن الإنسان المؤمن المهتدى بمنهج اللّه تعالى أولى فى هذه العمارة ، لأنها تتفق مع جميع خصائصه ، ولأن جميع خصائصه تم استثمارها فى العمارة .

ولذلك فإن المنهج الإلّهى له الهداية والقيادة والإنتاج والعمارة عن أمن وسعادة ، يمتدان فى حياة الإنسان فى الزمان والمكان لتحقيق الأمن والسعادة فى الدارين (٣) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٤) .

٣ - التكليف :

إن التكليف لا يمكن أن يكون إلا لمن يملك خصائص فى التكوين كالحرية والإرادة والاختيار ... والتى يترتب عليها تحمل المسؤولية .

---

(١) عمر سليمان الأشقر : العقيدة فى اللّه (مرجع سابق) ص ٨٧

(٢) محمد متولى الشعراوى : كيف نفهم الإسلام . دار العودة ببيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣

(٣) د . إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٦

عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام (مرجع سابق) ص ١٨ - ١٩

(٤) الأنعام : ٨٢

قال تعالى : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ ، إنَّه كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (١) .

لقد ورد لفظ الأمانة فى القرآن الكريم خمس مرات ، وَخصِّص فى كل آية بمعنى (٢) وهى :

(أ) الوديعة وما فى حكمها :

قال تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أنْ تُؤَدُّواْ الأمَانَات إلَىٰ أهْلِهَا وَإذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أنْ تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ ، إنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ، إنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (٣) .

(ب) رعاية العهد والذمة :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ ﴾ (٤) .

(جـ) القيام بالتكليف الإلٰهى :

قال تعالى : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ ، إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (٥) .

وإن المعنيين الأولين يندرجان تحت هذا المعنى لأنهما قيام بمتطلباته ، فهما جزء من التكليف الإلهى .

وإن اللّه تعالى خلق الإنسان لغاية سامية ، وهى العبادة له سبحانه ولم تكن بالتسبيح والتقديس فقط ، لأن جميع المخلوقات تتصف بها (٦) .

---

(١) الأحزاب : ٧٢

(٢) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٢٥
عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣٢ - ٣٤

(٣) النساء : ٥٨ ، وانظر البقرة : ٢٨٣

(٤) المؤمنون : ٨ - ١٠ ، وانظر الأنفال : ٢٧ - ٢٨ (٥) الأحزاب : ٧٢

(٦) محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٠٤ - ٤٠٧
سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١٥ ص ٢٢٣٠ - ٢٢٣١

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (٢) .

ولكن العبادة عند الإنسان تتسع وتتفق مع خصائصه الروحية والمادية التى لم تكن لغيره من المخلوقات كالعلم والحرية والإرادة ...

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (٤) .

وإن العبادة هى محور التكليف الذى يتسع مع اتساع خصائص الإنسان ، وما سُخِّر له ، وليست العبادة عنصراً جديداً تزكو به النفس الإنسانية ، وإنما هى مبنية على أُسس من خصائصها كدافع التدين ، لأن إشباعه بالدين القيم يقيم التعادلية فى إيجاد الحصانات والضوابط لبقاء الفطرة السليمة ، وتزكيتها ، لتحافظ على صفاتها التى هى قبس من صفاته تعالى فى جانب الإيجابية (٥) .

---

(١) الذاريات : ٥٦ — (٢) الإسراء : ٤٤

(٣) البقرة : ٣٠ - ٣٢ — (٤) الأحزاب : ٧٢

(٥) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٠.

البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم ، مكتبة وهبة ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يُولَد على الفطرة فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء » (٢) .

ولذلك فإن الإنسان لديه المواهب والقدرات التى يقابلها تسخير فى الكون ، للقيام بمهمته كاملة ، ليكون مستثمراً لها أقصى ما يمكن أن تكون عليه عملية الاستثمار لعمارة الأرض .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ، إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٥) .

فإن التكليف الإلهى للإنسان يُشَكِّل منهجاً عملياً له فى عقيدته وأحكامه وأصوله وقواعده ، لأنه يتناسب مع خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له .

---

(١) الروم : ٣٠ .
(٢) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤
(٣) الإسراء : ٧٠ . (٤) هود : ٦١ (٥) إبراهيم : ٣٢ - ٣٤

قال تعالى : ﴿ أفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ للإسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ منْ رَبِّه فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّه ، أُولَئكَ فِى ضَلاَلٍ مُبِينٍ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ طسَ ، تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ وكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ آلم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الحَكِيمِ * هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٣] .

ولذلك فإن التكليف يُعين الإنسان على عمارة الأرض من قِبَلِه بمنهج علمى ، يخلق لديه التعادلية ، التى تستثمر جميع خصائصه بطريقة إيجابية ، فالتكليف فى سعته وشموله لم يترك مجالاً فى فعاليات النشاط الإنسانى إلا ونفذ إليه فى توجيهاته وإرشاداته [٤] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [٥] .

كما أن المنهج الإلهى يُجَنِّب الإنسان الآثار السلبية التى يقع فيها دونه فى إدراكاته ومعارفه ، وحركته ونشاطه ، على مستوى الفرد والمجتمع كاليأس والقنوط ، والبخل والجزع ، والحسد والأنانية ...

قال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [٦] .

---

(١) الزمر : ٢٢ (٢) النمل : ١ - ٢ (٣) لقمان : ١ - ٥

(٤) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ١١٩ *

محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

(٥) الأنعام : ٣٨ (٦) طه : ١٢٣ - ١٢٤

وقال تعالى : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَاْيْئَسُواْ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لاَ يَاْيْئَسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ (٤) .

فالتكليف يعمل على بناء الذات الإنسانية والمنهج الذى يتناسب معها للقيام بعمارة الأرض بأحسن ما يمكن أن تكون عليه العمارة لما يُوفره هذا التكليف من عوامل النجاح كالدوافع الذاتية للأفراد لرعايته وفق أُسس صحية وليست مرضية ، والتى تُوجِد لدى الإنسان الأمن الاستقرار ... لا القلق والحيرة والاضطراب (٥) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٧) .

---

(١) يوسف : ٨٧ — (٢) المعارج : ١٩ - ٢٦

(٣) آل عمران : ١٨٠. — (٤) الكهف : ٣٤

(٥) محمد باقر الصدر : اقتصادنا (مرجع سابق) ص ٢٣٥ ، ٢٨٧ - ٢٨٨
كلڤن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠١ - ١٠٥

(٦) الرعد : ٢٨ — (٧) الأنعام : ٨٢

وإذا كان النظر فى مخلوقات اللّه تعالى يفيد طمأنينة فى الجملة ، فليس إفادتها للطمأنينة كإفادة ذِكر اللّه تعالى ، وهذا وجه ما يفيده قصر الاطمئنان على الذِكر [1] .

وإن الحرية للإنسان ذات مفهوم اجتماعى ، فلا بد من القواعد التى ترعاها بمبررات منها ، وإلا صارت ظلماً وجوراً ، فالحرية لكل إنسان فى المجتمع ، وإلا ذهبت الحرية والإنسان معاً .

ولذلك لا بد من السيطرة على النفس للمحافظة على حرية الجميع ، والحرية شُعَب ، ولكل حرية حدودها ، التى ينبغى أن يكون احترامها مبنياً على أساس من الدوافع الذاتية الصحية وأن لا تكون عن نزوات ورغبات وشهوات ..[2] .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [4] .

وكذلك يجب السيطرة على البيئة الاجتماعية لأن لها وحيها الخفى والجلى الذى يؤثر فى تشكيل الفرد من حيث لا يدرى كالخبرات الانفعالية والعادات والتقاليد ... الإيجابية والسلبية .

ولذلك فإن السيطرة على النفس والبيئة هى هدف أى رسالة جادة لامتلاك

---

(١) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٨١

(٢) محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ، دار مكتبة العربى ، القاهرة ص ١٨١ - ١٨٢

د . أحمد حافظ نجم : حقوق الإنسان . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ٦٣ - ٦٩

(٣) النازعات : ٤٠ - ٤١ (٤) القصص : ٧٧

الحياة العامة لصيانة الفرد والمجتمع فى الحاضر والمستقبل ، فلا بد أن يقنن لهما قواعد العلاقة الخاصة والعلاقة العامة [1] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [4] .

ولذلك فإن التكليف أمر ضرورى للمحافظة على الحرية والإنسان ، وهذا التكليف إما أن يكون تكليفاً إلهياً أو تكليفاً وضعياً .

(أ) التكليف الوضعى :

إن التكليف الوضعى ينبنى على عدة أُسس أهمها بإيجاز :

١ - الإدراكات والمعارف البَشرية التى لا يمكن أن تُحيط بجميع المسائل التى تُحيط بالإنسان ، كما لا تُحيط بتأثيراتها القريبة والبعيدة فى تعاملها مع فعاليات النشاط الإنسانى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [5] .

---

(١) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٤ - ٦٥
د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى . دار المعارف بمصر ص١٨

(٢) النساء : ٥٩ (٣) آل عمران : ١١٠ .

(٤) النساء : ١١٤ (٥) الأحزاب : ٧٢

وقال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ * وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١) .

٢ - إن كل مجتمع له خبراته الانفعالية كالحب والكُره ... وله عاداته وتقاليده الإيجابية والسلبية ، فالتعامل معها ينبنى على أساس من ذاتيات أفراد أو فئات أو طبقات (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُواْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٥) .

٣ - إن هذا التكليف يعتمد على الرقابة الخارجية - السلطة - بنسبة كبيرة، فيقل الاحترام الذاتى له ، وقد يكون هناك صراع بين الأفراد والسلطة فى التقيد به ، أو الصراع بين الأفراد أنفسهم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ ﴾ (٦) .

---

(١) المائدة : ٥٠ .
(٢) محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ص ٣١
عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ١٠٠
(٣) البقرة : ١٧٠ . (٤) الفتح : ٢٦
(٥) الروم : ٣٠ - ٣٢ (٦) القصص : ٤

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (١) .

وإذا كان هناك أشياء لها حق الاحترام عند أفراد المجتمع كالخبرات الانفعالية والعادات ... المشتركة فإن فيها الإيجابى والسلبى .

ولذلك فإن هذا التكليف يعيش فى العالم المحسوس ، والممكن القريب ، والذى لا ثبات له ، والحياة ميدان رحب للخير والشر ، وخصائص الإنسان تستجيب لهما ، والبيئة لها تأثيرها القوى الظاهر والخفى فى تشكيل منهجه فى الحياة (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤) .

وإن الإنسان ليس لديه القدرة على تحديد وتشكيل مسائله المحيطة به وأبعادها ، فكيف يكون له القدرة على تقنينها ؟

وإن كل دين أو منهج فسدت به الحياة إنما هو جملة إدراكات بشرية ناقصة ، وأكاذيب ، ونزوات وشهوات ، أو دين منسوخ مُحرَّف تعدَّى حدوده القومية والزمنية .

---

(١) الأنعام : ٦٥

(٢) أبو على أحمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق (مرجع سابق) ص ٣٦

د . ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ٢٠١

(٣) الشمس : ٧ - ١٠ . (٤) الأعراف : ١٧٦

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمَ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّهِ ، إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ، فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ، وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ ، إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى عن اليهود : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

(ب) التكليف الإلٰهى :

إن التكليف الإلٰهى يُشكِّل منهجاً عملياً للإنسان ينبنى على أساس من خصائصه وما سُخِّر له فى الكون ، كما أن تأديته فيه الحمد والشكر للمنعم بتلك المواهب والقدرات والتسخير فى الكون ، بل إن التكليف نعمة تستحق الحمد للّه تعالى ، لأنه الحل الوحيد لمشكلة الإنسان .

ولذلك فإن التكليف له أسباب النجاح ، ولعل أهمها بإيجاز :

١ - إنه تكليف إلٰهى له حرمته عند أفراد المجتمع فى عقيدته وأصوله وأحكامه ، ويتفق مع خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له فى عمارة الأرض ، فيعمل على تنظيمه فى جانب الإيجابية ، لأن اللّه تعالى يعرف الحقيقة ، والهداية الصحيحة المسار (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) القصص : ٥٠ . (٢) المائدة : ٤٨ (٣) البقرة : ٧٥

(٤) البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٥) الأنفال : ٢

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) .

٢ - الرقابة الداخلية عند أفراد المجتمع فى الالتزام بالتكليف والإخلاص فى تأديته ، بل والعمل على الزيادة فيه من السُنَن والمستحبات مما يساعد على الانضباط الذاتى فى احترامه (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٤) .

وعن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه على ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .... قال : فأخبرنى عن الإحسان قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... » (٥) .

٣ - الرقابة الخارجية التى يتمتع أفرادها بالرقابة الداخلية تلك فى احترام التكليف الإلٰهى ، وأن لها الاحترام والطاعة من قِبَلِ الأفراد ، كما أن لهم حرمتهم وحقوقهم عليها .

---

(١) الملك : ١٢ - ١٤

(٢) ابن القيم : مدارج السالكين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢١٣ - ٢١٧
الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ٢٦ ص ٢٤ - ٢٦

(٣) النور : ٥١ - ٥٢ (٤) فاطر : ٣٢

(٥) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ١ ، جـ ١ ص ٣٦

ولأهمية السلطة فى المجتمع أفردتها كمقوِّم أساسى من مقوِّمات تحقيق الخلافة .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ، فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (١) .

٤ - إن العلاقة بين الأفراد والسلطة علاقة تعاون ، مما يعينها ويضمن لها النجاح فى القيام بمهامها ، فهم يشاركونها ويتوازعون معها السلطة برقابة داخلية تعنى الانضباط الذاتى ، ومساعدتها فى القضاء على التقصير فى المجتمع (٢) .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم ، مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (٤) .

وإن هذه المشاركة وتلك الرقابة الذاتية تخفف العبء على السلطة للقيام بمهامها فى التوجيه والتنمية لأنها تُقلّل من تكاليف الإنتاج البشرية والمالية ، مما يجعل الدولة تستثمرهما فى قطاعات إنتاجية أخرى .

قال تعالى : ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) النساء : ٥٩

(٢) أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٣٥ - ٣٦

محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٤٨ - ٥٢

(٣) آل عمران : ١١٠ . (٤) النساء : ١١٤ (٥) الأعراف : ٣١

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ (١) .

وإن هذه البيئة الاجتماعية التى تعيش فى جو هذا التكليف ، لها خصائصها فى توحيد مشارب أفراد المجتمع ، لأن له مقوِّماته العامة التى تتفق مع جميع خصائصهم ، ويعمل على تنظيمهم فى جانب الإيجابية كما يعمل على التوفيق بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية .

قال تعالى : ﴿ ... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ، وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥) .

ولذلك فالتكليف الإلٰهى اختيار فى سبيل الطاعة والإيجابية فى الفعاليات الإنسانية ، فالحكم له وحده ، لا لغيره ، وهو موطن منافسة بين المؤمنين (٦) .

---

(١) الفرقان : ٦٧ (٢) المائدة : ٢ (٣) المائدة : ٥٤
(٤) الفتح : ٢٩ (٥) الحشر : ٩
(٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ .٣ ص ٣٨٥٩ - .٣٨٦

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ألابْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِك يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيم * يُسْقَونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ ، وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [1] .

وفى معية الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتَابِ اللَّه يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ، فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ، وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [2] .

وفى ولاية اللّه سبحانه ..

قال تعالى : ﴿ ... وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [3]

ولذلك فالمؤمن مقياس الصلاح .

قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّه وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُواْ ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [5] .

وإن الأمانة هى التكليف الإلهى ، وليست الحرية والإرادة [6] لأنهما من خصائص الإنسان التى خُلِقَ عليها ، وعلى أساسها عُرِضَت عليه وتحمُّلها ، فالتكليف يضبط حركة الإنسان ونشاطه فى الخلافة فى الأرض ، وهى كائنة له لا لغيره .

أما غيره ، فلم تكن له تلك الخصائص التى أهلته للخلافة ، وتحمل الأمانة ،

---

(١) المطففين : ٢٢ - ٢٦ (٢) التوبة : ٣٦ (٣) الجاثية : ١٩
(٤) التوبة : ١٠٥ (٥) غافر : ٣٥
(٦) د . حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٨٦

فالسماوات والأرض والجبال ... ليس لها خصائص العلم والحرية والإرادة ... وإنما لها سُنَن وقوانين ثابتة ، تؤدى وظيفتها وفقها ، ولذلك فالإنسان فى قمة المخلوقات (١) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (٢) .

وإن الإنسان كلما ازداد علمه أو استثماره لما سُخِّر له ، أو توسعت دائرة سلطاته ازداد تكليفه إلى أن يصل الأمر إلى العلماء والأغنياء وولى الأمر (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذى جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِى إِلَيْهِمْ ، فَسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

عن أبى الدرداء قال : ... سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالِم ليستغفر له مَن فى السموات ومَن فى الأرض ، والحيتان فى جوف الماء ، وإن فضل العالِم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً ، وَرَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (٦) .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢٢ ص ٢٨٨٤ - ٢٨٨٥
(٢) الأحزاب : ٧٢
(٣) د . أحمد رمضان أحمد : الخلافة فى الحضارة الإسلامية ، دار البيان العربى بجدة ، ط ١، ١٤٠٣ هـ ، ص ٣٧
(٤) الأنعام : ١٦٥ (٥) الأنبياء : ٧
(٦) رواه ابن ماجه والترمذى وأحمد واللفظ لأبى داود فى كتاب العلم ، باب : فى فضل العلم ، جـ ١٥ ص ٣٢٧ - ٣٢٩

وقال تعالى : ﴿ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَأَنْفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١) .

وعن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته » ، قال : وحسبتُ أن قد قال : « والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » (٢) .

وإذا كان هناك تفاوت فى المواهب والقدرات والرزق ، فإن التكليف يُسوِّى بين الناس فى القيام بالرسالة الملقاة على عاتقهم ، فالحرية والعدالة والمواطنة .... للجميع دون تفريق ، فليس فى المجتمع الإسلامى فوارق عنصرية .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

عن أبى نضرة – قال : حدثنى مَن سمع خطبة رسول الله ﷺ فى وسط أيام التشريق فقال : « يا أيها الناس ؛ ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى .... » (٤) .

وإن الإنسان لم يُخْلَق لنفسه ، ولم يُخْلَق ليكون عبداً لعنصر من عناصر المخلوقات ، ولا ليتمتع كالحيوان ، لأن هذه عوامل تحط من خصائصه كالحرية والإرادة والاختيار ... (٥) .

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾(٦).

---

(١) الحديد : ٧

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجمعة ، باب : الجمعة فى القرى والمدن ، جـ ١ ص ٢١٥

(٣) الحجرات : ١٣ (٤) رواه أحمد جـ ٥ ص ٤١١

(٥) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٧

(٦) المؤمنون : ١١٥

ولذلك فإن العمارة المادية التى قد تعمرها الحضارة المادية تكاد تكون إلزامية، لأنها وسيلة لإشباع الدوافع الإلزامية والقريبة منها عند الإنسان ، والتى لها دور فى الحياة ، وطواعيتها للتفاعل مع سُنَن الإنتاج والتنمية ، فتكون داخلة تحت الإرادة الكونية فقط [1] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ ﴾ [2] .

أما العمارة التى تتفق مع خصائص الإنسان المادية والروحية فهى ما تكون نتيجة للتفاعل بين تلك الدوافع والتكليف الإلٰهى لتلتقى الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية ، وبهما تستحق الخلافة .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ آلر ، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ ، إِنَّنِى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ ، وَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [4] .

ولقد راعى التكليف الإلٰهى مواطن الضعف فى تقنين مشاكله فكان له خصائصه التى تتلاءم معه .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُواْ فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾ [9] .

---

(١) د. محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ٣٨

(٢) محمد : ١٢ — (٣) الروم : ٣٠ — (٤) هود : ١ - ٣

(٥) النساء : ٢٨ — (٦) الحج : ٧٨

وإن الإنسان لم يُخْلَق ليكون ملكاً ، وإنما ذا طبيعة مزدوجة تتنازعه دوافعه في منهجية الحياة ، ويعتريها الكثير من عوامل الضعف في الالتزام بالتكليف [1] .

فالإنسان تحمَّل الأمانة - التكليف - لما يتمتع به من خصائص في التكوين ، ولكنه جهل تبعياتها لحظة الأداء ، والتي تدير النشاط فالتحمل شيء ، والأداء شيء آخر [2] .

وإن هذا الضعف من خصائص الإنسان التي أرادها الله تعالى ، لما له من أثر في إثراء الحياة الإنسانية وجمالها كالانفعالات .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يُذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم » [3] .

ولذلك فإن الضعف ليس مشكلة عند المؤمن ، لأن للتوبة باباً أوسع لحلها ، بالندم ، والعزم على التخلص منها ، والعمل الصالح الجاد المثمر فهو دائماً في حيوية ونشاط ، وتفاعل مع الحياة [4]

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [5]

وذلك أيضاً وفق خاصية من خصائص الإنسان ، وهي النفس اللَّوَّامة ، إذا تم تنميتها واستثمارها ، لأنها تعمل على معالجة ذلك بالسمو والإعلاء في حركته ونشاطه [6] .

---

(1) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٣ - ٨

(2) محمد متولي الشعراوي : في تربية الإنسان المسلم ، دار العودة ببيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٥٨

(3) رواه مسلم في كتاب التوبة ، حديث ١١ ، جـ ٤ ص ٢١٠٦

(4) ابن القيم : مدارج السالكين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٦٥ - ٢٦٨

(5) آل عمران : ١٣٥

(6) الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : معاني القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٠٨

قال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَة * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَة ﴾[1] .

وإذا كانت حركة ونشاط المؤمن فى عمارة الأرض بجانبيها المادى والروحى عبادة لله تعالى ، فهى تدعوه إلى مراقبة الله فى كل عمل .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ﴾ [2] .

كما أن العبادات المحضة تغذى فى نفس المؤمن تلك الشحنة كالصلاة .

قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَاب وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [3] .

فالله تعالى أراد أن تكون عبادته بما يحقق النفع لنا لا له سبحانه ، وما يساعدنا على حل مشاكلنا ، فهى واجبة لحلها ، ولذلك أوجبها علينا [4] .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ [5] .

بل إن الله تعالى حث على المزيد منها كالنوافل .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضتُ عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددتُ عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » [6] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ يرويه عن ربه قال : « إذا تقرَّب العبد

---

(١) القيامة : ١ – ٢ (٢) سورة ق : ١٦ (٣) العنكبوت : ٤٥

(٤) عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٢٣

(٥) العنكبوت : : ٦

(٦) رواه البخارى فى كتاب الرقاق ، باب : التواضع ، جـ ٧ ص ١٩٠ .

إلىَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ، وإذا تقرَّب منى ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإذا أتانى مشياً أتيته هرولة » [1] .

فالزهد هدف أخلاقى يسمو بحركتنا ونشاطنا .

عن عبد الله بن عمر ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : أى الناس أفضل ؟ قال: « كل مخموم القلب صدوق اللِّسان » . قالوا : صدوق اللِّسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : « هو التقى النقى ، لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد » [2].
وهذا حديث إسناده صحيح [3] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ؛ كن ورعاً تكن أعبد الناس ، وكن قنعاً تكن أشكر الناس ، وأحبَّ للناس ما تحبّ لنفسك تكن مؤمناً ، وأحسِن جوار من جاوَرك تكن مسلماً ، وأقل الضحك ، فإن كثرة الضحك تُميت القلب » [4] .

وهذا حديث إسناده حسن [5] .

ومما سبق يتضح أن التكليف الإلهى هو الحل الوحيد لمشكلة الإنسان فى منهجه لعمارة الأرض ، وهو الذى يستطيع أن يتعامل مع الذات الإنسانية بجميع خصائصها ، لتحقيق السعادة فى الدارين .

ولذلك فهو غايته السامية للقيام برسالته فى عمارة الأرض بجانبيها المادى والروحى ، فتلتقى خلافة الإنسان فى الأرض مع التكليف الإلهى ، أى بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب : باب ذكر النبى ﷺ وروايته عن ربه ، جـ ٨ ص ٢١٢

(٢) رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد ، باب : الورع والتقوى ، جـ ٢ ص ١٤٠٩ - ١٤١٠ .

(٣) سنن ابن ماجه ، تحقيق د. مصطفى الأعظمى (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٤٢٩

(٤) رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد : باب : الورع والتقوى ، جـ ٢ ص ١٤١٠.

(٥) سنن ابن ماجه ، تحقيق د. مصطفى الأعظمى (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٤٢٩

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [2] .

ولهذا فإن التفريط فى التكليف الإلَهى ، وفقدانه فى عمارة الأرض يعنى انتهاء خلافة الإنسان فى الأرض ، للارتباط بينهما فى استمرارية وجوده .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة » . قال : كيف إضاعتها يارسول الله ؟ قال : « إذا أُسِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » [3] .

٤ - الدولة :

لقد سبق الحديث عن أن كل إنسان خليفة للّه تعالى ، وأنه مُكلَّف للقيام بمهمته وغايته .

وإن الدولة تُعتبر محور تجمع فعاليات النشاط الإنسانى ، فتدور حوله فى عملية تنظيمية ، ليكون لذلك النشاط فعالية أقوى وأنجع

ولذلك لا بد من الأُسس التى تقوم عليها الدولة لرعاية أهدافها ولعل أهمها :

(أ) الحاكمية للّه تعالى :

لقد سبق القول بأن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بجميع المسائل التى تحيط به، وأبعادها ، لعوامل عقلية ونفسية .

ولذلك فإن الإنسان ليس لديه القدرة على تقنين منهج عملى يتناسب مع خصائصه .

---

(١) البقرة : ٣٠ .   (٢) الذاريات : ٥٦

(٣) رواه البخارى فى كتاب الرقاق ، باب : رفع الأمانة ، جـ ٧ ص ١٨٨

قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (1) .

وإن الله تعالى رحمة منه بعباده أنزل إليهم التقنين ، الذى يتناسب مع جميع خصائصهم المادية والروحية ، ليغطى جميع جوانب الحياة الذاتية من جهة ، والتشريعية ، والقضائية والتنفيذية من جهة أخرى ، لتتكافل فى بناء الذات والمجتمع ، لأن التكليف الإلهى نفذ إليها جميعاً بعقيدته وأحكامه وأصوله (2) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (3).

فالتشريع الإلهى يشتمل على ما فى الشرائع السماوية الصحيحة وآراء وقوانين الحكماء الوضعية من محاسن ، وبُعده عما تنطوى عليه من عيوب ، للاختلاف بين علم اللّه تعالى ، وعلم الإنسان ، الذى يترتب عليها اختلاف فى التقنين (4) .

ولذلك فإن التشريع أمر يخص اللّه تعالى ، وهو داخل فى مفهوم العبادة له سبحانه .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ، أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (5) .

---

(1) المائدة : 50 .

(2) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ١١٩
محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٥
أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه ، دار الفكر ، ١٣٨٩ هـ ، ص ٤٦

(3) الأنعام : ٣٨

(4) محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام ، الشركة التونسية للتوزيع - الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٩ م ، ص ٢١٤

(5) يونس : ٥٩

وقال تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ (١) .

وإن أى دولة فى الأرض إنما هى فى الحقيقة تتحمل خلافة عن الله تعالى فيها ، لعمارتها بقوانينه ، التى تلتقى مع خصائصهم وما سُخِّرَ لهم (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الحِسَابِ ﴾ (٣) .

وأما إذا حُكمت الدولة بقوانين وضعية ، وأعرضت عن حكم الله تعالى ، فهى كافرة بأنعم الله سبحانه الذى منح الإنسان خصائصه وسَخَّر له ما فى الأرض والكون ، وأنزل التكليف الذى يتناسب معه فى فعالياته ونشاطه (٤) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِنْ كِتَابِ اللَّه وَكَانُواْ عَلَيْه شُهَدَاءَ ، فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِى ثَمَناً قَلِيلاً ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٥) .

وكذلك إذا حُكمت بأحكام مختلطة بين التكليف الإلهى والقوانين الوضعية المعارضة للكتاب والسُنَّة (٦) .

قال تعالى : ﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، فَمَا

---

(١) النساء : ٦٥

(٢) أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٢.

(٣) سورة ص : ٢٦

(٤) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٨
القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص٣١٨٧ - ٣١٨٨

(٥) المائدة : ٤٤

(٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٨٧ - ٨٩

جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

ولذلك فإن الدولة فى كل من الحالتين ضالة ومُضِلّة .

وإن الحاكمية للّه تعالى تعنى سيادة القانون على جميع أفراد المجتمع ، فلا تفريق بين قوى وضعيف ، أو حاكم ومحكوم .

عن عائشة رضى اللّه عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : مَنْ يُكَلِّم رسول اللّه ﷺ ، ومن يجترىء عليه إلا أُسامة حِبُّ رسول اللّه ﷺ ، فكلم رسول اللّه ﷺ ، فقال : « أتشفع فى حد من حدود اللّه » ؟ ، ثم قام فخطب فقال : « يا أيها الناس ؛ إنما ضل مَن قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم اللّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطع محمد يدها » (٢) .

كما تعنى الحاكمية للّه تعالى أن كل فرد خليفة له سبحانه ، أنه مكلف بأداء واجبات تتطلب تمكينه من أدائها (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (٥) .

---

(١) البقرة : ٨٥

(٢) رواه البخارى فى كتاب الحدود ، باب : كراهية الشفاعة فى الحد إذا رُفِعَ إلى السلطان ، جـ ٨ ص ١٦

(٣) البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ص ٢٩ .
أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥ .

(٤) النور : ٥٥ (٥) الحج : ٤١

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

(ب) ذات حزب واحد :

إن الدولة الإسلامية ذات حزب واحد ، وهو حزب المؤمنين ، فليس للكافرين نصيب فيها ، وإنما يدخلون فيها بحكم التابعية التى ترعاها الدولة لجميع أفرادها كالمواطنة ، والحياة ، والعدل ، والحرية .... (٢) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُّمْ وَلاَ تَنْقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٤٧ – ٤٨
سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٨٩

(٣) النساء : ٥٩
(٤) المائدة : ٥٥ – ٥٦

(٥) آل عمران : ١١٨
(٦) النحل : ٩١

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مَن قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد على مسيرة أربعين عاماً » [(١)] .

ولذلك فإن لغير المسلمين عقيدتهم ومبادئهم ودينهم وأحكامهم فى الأحوال الشخصية - الزواج والطلاق - والقضاء فيما بينهم فيها [(٢)] .

قال تعالى : ﴿ ... فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً ، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ ، إِنَّ اَللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(٣)] .

وأما المعاملات والجنايات فهم مُلْزَمون بأحكام الإسلام بصفتها القانونية ، لا الدينية [(٤)] .

فالمؤمنون حزب الله ، حزب الحق ، فليس بينهم حزب للموافقين أو حزب للمعارضين ... لأنهم جميعاً يرعون حاكمية الله ، كما يرعون حكم الحاكم فى الأمور الاجتهادية التى لا تخالف الشرع ، والذى يلتزم به الجميع عن طيب خاطر [(٥)] .

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجزية والمعاهدة ، باب : إثم من قتل معاهداً بغير جرم ، جـ ٤ ص ٦٥

(٢) سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٨٩

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٤٨

ابن القيم : أحكام أهل الذمة ، تحقيق د . صبحى الصالح . دار العلم للملايين ببيروت ، ط٢ ، ١٤٠١ هـ ، جـ ١ ص ٣٧ ، جـ ٢ ص ٧٨٩

(٣) المائدة : ٤٢ - ٤٣

(٤) سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٩٢ - ٩٣

(٥) د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ١٨

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٦٠ .

بالمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُواْ للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (٢) .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « مَن أطاعنى فقد أطاع اللّه ، ومَن يعصينى فقد عصى اللّه ، ومَن يُطع الأمير فقد أطاعنى ، ومَن يعص الأمير فقد عصانى » (٣) .

(جـ) بيعة ولى الأمر :

إن البيعة لولى الأمر من قِبَلِ الشعب التزام بينه وبينهم فى رعاية أحكام اللّه، ورعاية مصالحهم ، فتفويضه من قِبَلِهم إنما ليكون مركزاً لهم فى إدارة وتنظيم شؤونهم ، وهم متضامنون معه فى رعاية جميع شؤون الدولة (٤) .

عن عبادة بن الصامت قال : « بايعنا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف فى اللّه لومة لائم » (٥) .

وعن عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعت » (٦) .

وعن معقل بن يسار قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « ما من أمير يلى أمر المسلمين ، ثم لا يجهد لهم وينصح ، إلا لم يدخل معهم الجنة » (٧) .

---

(١) التوبة : ٧١ (٢) النساء : ١٤٤

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٣٢ ، جـ ٣ ص ١٤٦٦

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٣ ، ٥٧
إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١١

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : كيف يبايع الإمام الناس ، جـ ٨ ص ١٢٢

(٦) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : كيف يبايع الإمام الناس ، جـ ٨ ص ١٢٢

(٧) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٢٢ ، جـ ٣ ص ١٤٦٠ .

وعن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يداً من طاعة ، لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية » [(١)] .

فالتفويض للوالى لا يعنى أن الخلافة تخصه ، لأن المؤمنين جميعاً خلفاء الله ، وليست لفرد أو طبقة أو فئة ... فلا تفريق ولا امتيازات ولا عصمة ولا قداسة... فليس من حق الوالى أن ينتزع حقهم فى الخلافة ، بل يجب أن يعمل على تمكينهم من القيام بها ، لأن الكل مُكلَّف [(٢)] .

قال تعالى : ﴿ الَّذينَ إنْ مَّكَّنَاهُمْ فِى الأرْضِ أقَامُواْ الصَّلاَةَ وآتُواْ الزَّكَاةَ وَأمَرُواْ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ المُنْكَرِ ، وَلِلّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أمْنَاً ، يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [(٤)] .

ولذلك يجب أن يكون اختيار الوالى من أتقى المؤمنين وأفضلهم وأكفئهم ، ليضمنوا رعاية هذا المنصب ، وأهميته فى تحريك دفة المجتمع [(٥)] .

عن عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته : « إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم ...» إلى أن قال : « وأهل الجنة ثلاثة :

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٥٨ ، جـ ٣ ص ١٤٧٨

(٢) البهى الخولى : الإسلام فى حياة المسلم (مرجع سابق) ص ١٩٠.

أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٢١

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٠ - ٥١

(٣) الحج : ٤١ — (٤) النور : ٥٥

(٥) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٧

ذو سلطان مُقْسِط متصدِّق موفَّق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قُربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال ...» [1] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يُزكيهم ، ولهم عذابٍ أليم : رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل ، ورجل بايعَ إماماً لا يبايعه إلا لدنياه ، إن اعطاه ما يريده وَفَىٌّ له ، وإلا لم يف له ، ورجل يبايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أُعطَى بها كذا وكذا ، فصدَّقه ، فأخذها ولم يُعْطَ بها » [2] .

وإن الولاية لا يُختار لها من يُرشِّح نفسه ، بل وأى منصب آخر.

عن أبى موسى قال : دخلتُ على النبى ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى ، فقال أحد الرجلين : يارسول الله ؛ أمِّرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال : « إنَّا والله لا نُولِّى على هذا العمل أحداً سأله ، ولا أحداً حرص عليه » [3] .

ولذلك فإن ترشيح الإنسان نفسه إلى منصب الولاية قد يُعاقَب عليه ، فليس فى المجتمع الإسلامى دعاية انتخابية [4] .

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لى رسول الله ﷺ : « ياعبد الرحمن ؛ لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكِّلْت إليها ، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها ، وإذا حلفتَ على يمين فرأيتَ غيرها خيراً منها ، فَكفِّر يمينك وائتِ الذى هو خير » [5] .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث ٦٣ ، ص ٢١٩٧ - ٢١٩٨

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : مَن بايع رجلاً لا يبايعه إلا للدنيا ، جـ ٨ ص ١٢٤

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ١٤ ، جـ ٣ ص ١٤٥٦

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : من لم يسأل الإمارة أعانه الله ، جـ ٨ ص ١٠٦

وعن عرفجة قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « مَن أتاكم وأمركم جميع ، على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم أو يُفرِّق جماعتكم ، فاقتلوه » (١) .

وحيث إن الإنسان يجب أن يستغل كل قوته فى تحكيم كتاب اللّه بذاته ، أو عن طريق نصير له ، فإنه إذا طلب الولاية لضعف فى المجتمع ، وهو كفؤ لها لإقامة حكم اللّه ، فيجوز اختياره (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾ (٣) .

وإن للوالى إسناد المناصب فى الوزارات ، والمؤسسات ، وولاة الأقاليم ... إلى من تتوفر فيهم التقوى ، والكفاءات المناسبة لها .

عن أبى ذر قال : قلتُ : يارسول اللّه ؛ ألا تستعملنى ؟ قال : فضرب بيده على منكبى ، ثم قال : « يا أبا ذر ؛ إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » (٤) .

كما يجب على الوالى محاسبة رجال الدولة فى احترام حرمة الوظيفة ، والقيام بالمهام التى أُلقيت على عاتقهم ، فهو رئيس للدولة ، ورئيس للحكومة .

ولذلك فإن التفويض من قِبَله للمناصب لا يُعفيه من المسئولية ، وإنما يجب مراعاة ومراقبة هذا التفويض ، والعمل به (٥) .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٦٠ ، جـ ٣ ص ١٤٨٠.

(٢) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٩

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٥٢

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٥٨ - ٥٩

(٣) الإسراء : ٨٠.

(٤) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ١٦ ، جـ ٣ ص ١٤٥٧

(٥) محمد الطاهر بن عاشور : أصول النظام الإجتماعى فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٢١٤ - ٢١٥ =

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١) .

وعن معقل بن يسار قال : سمعتُ النبى ﷺ يقول : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنفحه إلا لم يجد رائحة الجنة » (٢) .

ولذلك فإن للوالى الطاعة فى ظل الحاكمية لله تعالى ، التى ترعى العلاقة الخاصة ، والعلاقة العامة ، فترقى الأخلاق والمعاملات فى رعاية حقوق الدولة ، فله الطاعة فيما سَنَّه من أنظمة وقوانين لا تخالف الشرع فى أحكامه وأصوله (٣) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٤) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » (٥) .

= د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ٧

(١) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ [النساء : ٥٩] ، جـ ٨ ص ١٠٤

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : من استرعى رعية فلم ينصح ، جـ ٨ ص ١٠٧

(٣) أبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك (مرجع سابق) ص ٢١ ، ٣٥ - ٣٦

(٤) النساء : ٥٩

(٥) رواه البخارى فى كتاب الأحكام ، باب : السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ، جـ ٨ ص ١٠٥

وأما إذا خرج الوالى عن حاكمية الله تعالى فى سن القوانين والأوامر فلا طاعة له ، لأن كل إنسان خليفة لله تعالى ، وليس له حق فى أن ينتزع حقه فى القيام بما ألزم به .

عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة ، فيما أحب وكره ، إلا أن يُؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة » (١) .

وإذا كان الوالى من أهل المعاصى فيجب عزله من أهل الشورى إذا أمكنهم ذلك دون أن يُجرُّوا المسلمين إلى فتنة ، وإلا فيجب على المؤمنين أن يُظهروا عدم رضاهم عنه ممن يملكه ، وتركه بشرط أن يكون من المقيمين للصلاة .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه ، فليصبر ، فإنه مَن فارَق الجماعة شبراً ، فمات فميتة جاهلية » (٢) .

وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون أُمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برىء ، ومن أنكر سَلِم ، ولكن من رَضِىَ وتابع » ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ، ما صَلُّوا » (٣) .

وعن عوف بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال : « خياركم أئمتكم الذين تُحبونهم ويُحبونكم ، ويُصلُّون عليكم وتُصلُّون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » . قيل : يا رسول الله ؛ أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، وإذا رأيتم مِن ولاتكم شيئاً تكرهونه ، فاكرهوا عمله ، ولا تنزعوا يداً من طاعة » (٤) .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٣٨ ، جـ ٣ ص ١٤٦٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٥٥ ، جـ ٣ ص ١٤٧٧

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٦٢ ، جـ ٣ ص ١٤٨٠

(٤) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٦٥ ، جـ ٣ ص ١٤٨١

(د) الشورى :

إن المجتمع الإسلامى مجتمع متكافل ومتضامن فى ظل رعاية حاكمية اللّه تعالى فى الأرض ، فكل فرد فى موقعه خليفه للّه فى تطبيق أحكامه ، وليس لأحد أن ينتزع منه هذا الحق ، ويأتى فى قمتها تعيين الوالى ، ومنهجه فى إدارة شؤون الدولة ، لأنهم متضامنون معه فى المسؤولية (١) .

وإن المشورة واجبة بين الحاكم والمحكوم ، لما تُحقِّقه - غالباً - من كبير القدر الممكن من الصواب ، وهذه ميزة قد لا تتوفر فى الرأى الانفرادى .

قال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٣) .

وليس معنى المشورة أن يلتزم ولى الأمر فى الأخذ برأى الأغلبية ، فله أن يخالفها باجتهاد لا يخالف الشرع ، إذا لم يكن عن هوى فى النفس ، وإنما عن تقوى ، وما يقره يكون ملزماً (٤) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

---

(١) د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ٦

(٢) الشورى : ٣٦ - ٣٨ (٣) آل عمران : ١٥٩

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٨ - ٥٩

أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٢٠ - ١٢١

سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٩١

وَأُولِى الأمْرِ منكُمْ ، فَإنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (١) .

ولذلك فإن نظام التصويت ليس مقياساً للصواب والخطأ ، وإنما المشورة للعلماء ، وأهل الاختصاص حسب كل موضوع يتم عرضه ومداولته ، لأن رأى العالِم فى مسألة وفى اختصاصه يرجح على رأى الأغلبية ممن ليس لهم علم فيها .

فيجب أن يكون التصويت مبنياً على أساس من المعرفة بموضوع التصويت ، وإلا فلا تصويت لا بالسلب ، ولا بالإيجاب .

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ (٢) .

ولذلك فإن للعلماء والعارفين حرية النقد ، ممن يكون هدفهم إظهار الحق واتباعه ، والتعاون فى معرفته (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَإذَا جَاءَهُمْ أمْرٌ مِنَ الأمْنِ أوِ الخَوْفِ أذَاعُواْ بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إلَى الرَّسُولِ وَإلَى أُولِى الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ ... وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أنْ تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإثْمِ وَالعُدْوَانِ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ، إنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ (٥) .

---

(١) النساء : ٥٩ (٢) الإسراء : ٣٦

(٣) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٩٤

أحمد نجم حافظ : حقوق الإنسان بين القرآن والاعلان (مرجع سابق) ص ١٢٥ - ١٢٦

د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص١٢

أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ٥٥

(٤) النساء : ٨٣ (٥) المائدة : ٢

كما يجب أن تتوفَّر الصراحة التامة بين أفراد المجتمع وولى الأمر ، والسماع والاحترام المتبادَل بين جميع الفُرقاء .

وعن معقل بن يسار المزنى ... قال : إنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرَّم الله عليه الجنة » [1] .

ولذلك يجب على الإمام وأهل الشورى أن تكون بطانة ولى الأمر ممن يكون أهلاً لها .

عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « ما بعث الله من نبى ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم مَن عصم الله تعالى » [2] .

(هـ) الاجتهاد والاستنباط :

إن التشريع الإسلامى وضع الأحكام والقواعد والأصول الثابتة ، التى تتفق مع كل زمان ومكان .

ولذلك فإن الدولة يجب أن ترعى عملية الاجتهاد والاستنباط فى أحكام ما يستجد فى الحياة ، بحكم التغير الاجتماعى فى المعارف والإمكانيات ، مما يُحقِّق الصالح العام للفرد والمجتمع .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [3] .

وعن عبد الله بن عمرو عن رجال من أصحاب معاذ « أن رسول الله ﷺ بعث

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإمارة ، حديث ٢١ ، جـ ٣ ص ١٤٦٠ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاحكام ، باب : بطانة الإمام وأهل مشورته ، جـ ٨ ص ١٢١

(٣) النساء : ٨٣

معاذاً إلى اليمن فقال : كيف تقضى ؟ فقال : أقضى بما فى كتاب اللّه . قال : فإن لم يكن فى كتاب اللّه ؟ قال : فبسُنَّة رسول اللّه . قال : فإن لم يكن فى سُنَّة رسول اللّه ﷺ ؟ قال : أجتهد رأيى . قال : الحمد للّه الذى وَفَّق رسول رسول اللّه ... » [1] .

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : « أكثروا على عبد اللّه بن مسعود ذات يوم فقال عبد اللّه : إنه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضى ولسنا هنالك ، ثم إن اللّه عز وجل قدَّر علينا أن بلغنا ما ترون ، فمن عُرِض له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما فى كتاب اللّه ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب اللّه فليقض بما قضى به نبيه ﷺ ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب اللّه ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون ، فإن جاء أمر ليس فى كتاب اللّه ولا قضى به نبيه ﷺ ، ولا قضى به الصالحون ، فليجتهد رأيه ، ولا يقول : إنى أخاف ، وإنى أخاف ، فإن الحلال بيِّن ، والحرام بَيِّن ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، فدع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك » [2] .

وإن دائرة المباح واسعة ، والاجتهاد مطلوب فيها ، لتحقيق المصالح والمنافع للدولة والفرد . كالتنظيم الإدارى للدولة ، فقد أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه من تجارب الأمم الأخرى فكرة الديوان [3] .

ولذلك يجب أن يكون الاجتهاد ممن تتوفَّر فيه التقوى والمعرفة والإدراك لقواعده [4] .

* * *

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب الأحكام ، باب : ما جاء فى القاضى كيف يقضى ، جـ ٢ ص ٣٩٤، ورواه أحمد جـ ٥ ص ٢٤٢

(٢) رواه النسائى فى كتاب آداب القضاء ، باب : الحكم باتفاق أهل العلم – طبعة دار الكتب العلمية ببيروت – جـ ٨ ص ٢٣.

(٣) د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الاسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ١٨

(٤) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١١٩ – ١٢٠.

● أهداف الدولة :

يتضح مما سبق أن الدولة الإسلامية ترعى مجتمعاً له حياة الدنيا والآخرة ، حياة تستوجب السعادة والاستقرار والأمن ... ولكل فرد تعامله الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ... وأداء الواجبات أصل فى المجتمع ، مما يتطلب تمكينه من أدائها .

وإن الضعف فى رعاية ذلك فيه ضعف للدولة (١) .

قال تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (٢) .

ولذلك فإن الدولة مركز النشاط فى رعاية أهداف المجتمع ، فيجب أن تكون قوية فى الداخل والخارج ، وأن تعمل على صيانة نفسها والمجتمع من عوامل الضعف ، الذى لا يمكن تحقيقه إلا بإسناد مناصب الدولة إلى أهلها (٣) .

وبذلك تستطيع الدولة أن تنهض بمهامها ، لتحقيق أهداف المجتمع وتسيير أمور الخلافة المادية والروحية ، فيُناط بها المسؤوليات التالية :

(أ) إقامة الحاكمية للّه تعالى :

فهى أساس المنهج العلمى للدولة فى قيادة أمور الخلافة للّه تعالى فى الأرض فى جميع شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... وهذا يعنى سيادة القانون الإلٰهى كما سبق .

(ب) القوة الداخلية :

فالدولة تعمل على بناء التنظيمات والهياكل لإدارة شؤون المجتمع كالوزارات

---

(١) إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا (مرجع سابق) ص ١١٥

(٢) الرعد : ١١

(٣) صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبناء الإنسان (مرجع سابق) ص ١١١

والمؤسسات ... والتى تعمل على تحقيق المصالح والمنافع ، وتعمل على صيانة المكاسب .

ولتحقيق ذلك لا بد أن تعمل الدولة على بناء أفراد المجتمع على العقيدة الإسلامية ، التى تُشكِّل دافعاً قوياً لضبط السلوك الفردى فى المجتمع ، وفق المنهج الإلَهى ، بل إن تأثير هذا الدافع يتعدى دائرته الفردية إلى دائرته الاجتماعية ، ليكون الفرد مصلحاً داخل المجتمع ، فيكون فى جانب الإيجابية نحو نفسه ومجتمعه .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

وبذلك تعمل الدولة والفرد على القضاء على أسباب الضعف فى المجتمع ، كما تعمل على منع وقوعه .

وإن وضع الدولة الأجهزة والمؤسسات التى تقوم بذلك لا يعفى الفرد من القيام بواجبه ، وإن كان يجب أن يكون عن طريقها إذا تعدى أسلوب الأمر والنهى اللِّسان ، أو خِيف أن يتعداه .

ولتسهيل ذلك يجب على الدولة أن تعمل على تحقيق المساواة الاجتماعية فى الحرية والمواطنة والتابعية وتكافؤ الفرص ... فليس فى المجتمع الإسلامى فوارق عنصرية ، أو فوارق لجاه أو نسب ، أو مال ...

---

(١) الحج : ٤١ (٢) آل عمران : ١١٠ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وإذا كان يجب على الدولة أن تُمكِّن كل فرد من القيام بواجبه ، فإن عليها أن تعمل على تسهيل استغلال الطاقات والإمكانيات الفردية والاجتماعية ، لتحقيق المصالح الخاصة والعامة ، لتشد أزر كل مجتهد ، ولكل أجر حسب إنتاجيته .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع ، وهو مسئول عن رعيته ... » (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

كما ترعى الدولة حقوق الضعفاء والفقراء مما يجب لهم على المجتمع لتشد أزرهم ، ولتتجنب عواقبهم ، وما قد يتكوَّن لديهم من خبرات انفعالية سلبية تجاه المجتمع .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَواْ عَنِ المُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (٤) .

ولذلك فإننا سنجد مجتمعاً يسوده العدل الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ...

فالمجتمع الإسلامى تربطه عقيدة واحدة ، ومنهج واحد ، ومشاعر إنسانية

---

(١) الحجرات ١٣

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاحكام : باب : قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ (النساء : ٥٩) جـ ٨ ص ١٠٤

(٣) الأنعام : ١٦٥ (٤) الحج : ٤١

نبيلة ، ليكونَ مجتمعاً متلاحماً ، ومتعاوناً على البر والتقوى والعمل الصالح ، فيتحقق الأمن والاستقرار والاطمئنان ...

وإن هذه الكينونة تُخفِّف على الدولة أعباء إدارة المجتمع ، كما تُقلِّل تكاليف الإدارة فيه البشرية والمالية ... لتستغلها فى قطاعات إنتاجية تعود بالصالح العام على الفرد والمجتمع .

(جـ) القوة الخارجية :

إن المجتمع الإسلامى مجتمع قوى بقوة إيمان أفراده ، فهم قاعدته الأساسية التى تعنى قوة فى أجهزته ووحداته للقيام بواجبها ، فقوة فى إنتاجياتها واقتصادياتها .

ومثل هذا المجتمع يجب أن يكون قوياً فى علاقاته الخارجية مع الدول الأُخرى ، فيفرض وجوده ، ويحمى دولته ، ويُعلن الجهاد بكل قوة وعلانية وإصرار لإعلاء كلمة اللّه تعالى .

قال تعالى : ﴿ لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ [٢] .

وإن الدعوة إلى الدين الإسلامى تبدأ بالحُسنى ، وأساليبها واسعة ومتيسرة ، وإن كثيراً من المجتمعات المعاصرة متيسرة لسماع هذه الدعوة ، وهى دعوة أقرب إلى العقول والقلوب من أى دعوة أُخرى .

---

(١) آل عمران : ٢٨ (٢) النساء : ١٤٤

ومما يدل على ذلك أن نسبة قبول الدعوة الإسلامية لدُعاتها وإمكانياتهم تفوق نسبة قبول المسيحية بالنسبة لدُعاتها وإمكانياتهم [1] .

وتلك مجموعة من العوامل التى يجب على المسلمين أن يستغلوها ويُخططوا لها بكل جدية وعزيمة .

قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لاَ انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [5] .

أما إذا تعرضت هذه الدعوة إلى الصد ، فإنه يجب على المسلمين إعلان الجهاد فى سبيل الله تعالى ، للقضاء على الحواجز ، وإعطاء الإنسان الحرية الحقيقية أمام هذه الدعوة فى قبولها أو الإعراض عنها مع دفعه الجزية للدولة الإسلامية ، التى يعيش فى ظل نعيمها دون أن يُطلب منه أى حقوق غير الجزية لها [6] .

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام ، دار الأندلس ، ط ٢، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م) ص ٦٢ - ٦٣

(٢) النحل : ١٢٥
(٣) الأعراف : ١٩٩ - ٢٠٠

(٤) فصلت : ٣٤
(٥) البقرة : ٢٥٦

(٦) أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١٠٠ - ١٠١
سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٨٩

قال تعالى : ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) .

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : « اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا مَن كفر بالله ، واغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من ديارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحوَّلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله ، الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة شىء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم ، وكُفَّ عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله ، وقاتلهم ... » (٢) .

وإن على الدولة الإسلامية أن تصالح أعداءها إذا اقتضت المصلحة ذلك صلحاً متوازناً لا ركون فيه ، لأن الركون فيه إضعاف للدولة الإسلامية ، كما يجب أن تعاملهم بما ظهر منهم ، دون ما خفى ، ولو ظن بهم ظن السوء ، لأن اليقين لا يدفع به ، ولكن على المسلمين الحيطة بالقوة (٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ *

---

(١) التوبة : ٢٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الجهاد ، حديث ٣ ، جـ ٣ ص ١٣٥٧

(٣) الراغب الأصفهانى : تفصيل الشهادتين وتحصيل السعادتين (مرجع سابق) ص ٤١
أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية (مرجع سابق) ص ١١٥

فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ * وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ ، إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ شَيْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ * وَإِنْ جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُواْ أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ ﴾ [(١)] .

ومما سبق يتضح أن للدولة أهمية كبيرة فى قيادة المجتمع فى مسيرة متوازنة بين خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له فى الكون من جهة ، وبين هذا التفاعل الإنسانى والمنهج الإلٰهى من جهة أخرى ، وبمعنى آخر فإن الدولة تعمل على الالتقاء بين الإرادة الكونية لله تعالى والإرادة الشرعية فى مسيرة الإنسان .

وإن السلطان يمثل قمة أو مركز الدولة الإسلامية ، الذى يدور حوله جميع فعاليات المجتمع فـ « الإسلام والسلطان أخوان توأمان ، لا يصلح [(٢)] واحد منهما إلا بصاحبه ، فالإسلام أس ، والسلطان حارث ، وما لا أُس له يُهدم ، وما لا حارث له ضائع » [(٣)] .

وفى الأثر : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن [(٤)] » [(٥)] .

* * *

● تحقيق الخلافة :

مما سبق تتضح مقوّمات الخلافة للإنسان فى الأرض ، ودور كل مقوّم فى

---

(١) الأنفال :٥٥ – ٦٢

(٢) لعل المراد بـ « لا يصلح ... » هو : لا يقوم واحد منهما إلا بصاحبه

(٣) رواه الديلمى عن ابن عباس . انظر : علاء الدين على المتقى حسام الدين : كنز العمال (مرجع سابق) جـ ٦ ص ١٠ .

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ٣ ص ٥٩

(٥) وقال به الحسن وقتادة واختاره ابن جرير وابن كثير

الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٥٢

تحقيقتها ، وإن الخلافة حقيقة ثابتة للإنسان لما يتمتع به من خصائص فى التكوين - العقلية ، والنفسية ، والجسدية - ولما سُخِّرَ له فى الكون بصفة عامة ، وفى الأرض بصفة خاصة .

وإن الإنسان ليس له اختيار فى إيجاد خصائصه ، أو ما سُخِّرَ له فى الكون وفق سُنَن وقوانين ثابتة ، والتى له مجاراتها أو التغيير فيها لزيادة استثمارها [1] .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوَاْ إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ ﴾ [3] .

ولا شك أن اللّه واحد ، وأنه تعالى أراد بـ « الخالقين » إشراك الإنسان بعمله الذى هو امتداد لخلق اللّه تعالى ، وهو خلق دون خلق .

وإن فى ذلك - أيضاً - تكريم للإنسان .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [4] .

وإن للإنسان خصائصه الإلزامية كالدوافع العضوية ، وخصائصه القريبة منها كدوافع نفسية فطرية مثل حب التملك والخلود ... وهذه الخصائص لها دورها فى الحياة ، وطواعيتها للتفاعل مع سُنَن الإنتاج والتنمية [5] .

---

(١) حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٨٥

صلاح عبد القادر البكرى : القرآن وبناء الإنسان (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) هود : ٦١ (٣) الصافات : ١٢٥ (٤) الإسراء : ٧٠.

(٥) د. محمد ظفر اللّه خان : الإسلام والانسان (مرجع سابق) ص ٣٨

الراغب الأصفهانى : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (مرجع سابق) ص ٥٢

كما أن له خصائصه التى هى أقرب للاختيار منه للإلزام كدافع التدين والمعانى المجردة كالخير والشر .

ولذلك فإن ميزة الإنسان فى استثمار خصائصه فى فعالياته المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... عن تعادلية تنمى جميع خصائصه وتستثمرها عن أمن واطمئنان واستقرار ...

وحيث إن الإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، فهو يستجيب إلى هذه التعادلية ، كما يستجيب إلى خرقها .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

فالإنسان ليس لديه قدرة على تقييم ذاته وأبعادها ، كما أن ليس له إدراك مسائله المحيطه به وأبعادها .

ولذلك يحتاج الإنسان إلى منهج يدرك خصائصه وأبعادها ، ويدرك مسائله المحيطة به وأبعادها ، لتكتمل صورة التكريم له ، ولعمارة عالَمه الباطنى وعالَمه الظاهرى عن انسجام .

وهذا لا يمكن أن يكون إلا ممن أدرك ذلك ، وهو الذى خلقه فأحسن خَلْقه وخُلُقه .

قال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ (٢) .

ولذلك فإن المنهج الإلهى هو الحل الوحيد لمشكلة الإنسان فى حياته على الأرض لهدايته ، كما أنه وسيلته للحياة السعيدة فى الآخرة ، ودونه يتحقق ما رأته الملائكة فى استخلاف الانسان فى الأرض .

---

(١) الشمس : ٧ - ١٠ .

(٢) الملك : ١٣ - ١٤

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٣) .

والتكليف يحتاج إلى قاعدة صلبة ، وهى قاعدة الإيمان ، التى تعمر حياة الإنسان الباطنية قبل حياته الظاهرية ، وتبنى على أسس من خصائصه كدافع التدين ، ليكون الإيمان دافعا قوياً وصحياً يقوده نحو التعادلية فى خصائصه من جهة ، والإعلاء والسمو بها من جهة أخرى .

كما أن الإيمان يحتاج إلى ما يحفظة ويوقظه باستمرار ، وإلى ما يُقوِّيه ، ولذلك لا بد من مقوِّمات تحافظ عليه وتُنميه .

وحيث إن الإنسان خُلِقَ لغاية سامية ، وهى العبادة للّه تعالى ، فإنه جل جلاله جعل عبادته مبنية على قاعدة الإيمان التى لها دورها فى الالتزام بالمنهج الإلٰهى من جهة ، وفى فعاليات النشاط الإنسانى فى عمارة الأرض من جهة أخرى .

كما أن اللّه تعالى جعل عبادته بمنهج فيه حل لمشكلة الإنسان وإعانته وهدايته فى نشاطه وحركته للقيام بمهمة الخلافة فى الأرض .

ولذلك تصطبغ الحياة الخاصة والحياة العامة بصبغة الإيمان والمنهج الإلٰهى ليكون المجتمع الإسلامى مجتمعاً متكاملاً فى بناء الفرد والمجتمع (٤) .

---

(١) البقرة : ٣٠ .   (٢) البقرة : ٣٨   (٣) طه : ١٢٣ - ١٢٤

(٤) د . زيدان عبد الباقى : أسس المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى (مرجع سابق) ص ١٨

ولهذه البيئة الاجتماعية دورها الخفى والظاهر فى بناء الدوافع النفسية المكتسبة كالحب والكُره الإيجابيين ...

كما تجنبه الخبرات الانفعالية السلبية كالحقد والحسد ...

وإن فى ذلك إعانة للفرد لإصلاح نفسه بمجاهدته الذاتية ، كما أن له دوراً فى الإصلاح الاجتماعى .

فالإسلام يعتبر جميع فعاليات الإنسان الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... عبادة إذا كانت مبنية على أساس قاعدة الإيمان .

ولذلك فإن الاسلام دين لم يدع مجالاً فى حياة الإنسان إلا ونفذ إليه فى توجيهاته وإرشاداته [٢] .

فالمنهج الإسلامى أوجب على الإنسان العلم والعمل ، وأسبابهما ، ليتمكن من استثمار خصائصه فيما سُخِّرَ له ، للكشف عن أسرار الكون والاستفادة منها .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [٣] .

كما أوجب على الإنسان التحصينات والضمانات لحماية مكاسبه عن طريق رسم التصورات العُليا له كأركان الإيمان .. والمنهج الذى يهتدى به ، حتى لا تُحطِّم يده اليسرى ما بنت يده اليُمنى .

---

(١) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام (مرجع سابق) ص ١١٩

محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٦٥

(٢) لقمان : ٢٠ .

ولذلك فالمؤمن فى فعالياته قريب من الله دون واسطة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) .

كما أن الله قريب من المؤمن .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣) .

وليس فى الإسلام ما يُعيق تقدم أمته فى بناء الفرد والمجتمع أو أن تحظى بالمعرفة والثروة والقوة ... ولكن له مقوِّمات العزة فى كل ذلك (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٦) .

فالعبادة المحضة ليست وسيلة صحيحة لعمارة الأرض وامتلاكها كما أن الكفر ليس مانعاً (٧) .

ولذلك فالإسلا م ليس دين رهبنة .

---

(١) الأنفال : ٢ (٢) البقرة : ١٨٦ (٣) القصص : ٥٦

(٤) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٠ .

(٥) المنافقون : ٨ (٦) الأنبياء : ١٠٥

(٧) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (مرجع سابق) ص ١٦٨

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

ومما سبق نلاحظ أن العمارة المادية التى تعمرها الحضارة المادية تكاد تكون إلزامية ، لأنها وسيلة لإشباع دوافع إلزامية - الدوافع العضوية - أو دوافع قريبة منها عند الإنسان ، والتى لها دورها فى الحياة ، وطواعيتها للتفاعل مع سُنَن الإنتاج والتنمية (٢) .

وإن الإنسان المادى لا يؤمن إلا بجانبه المادى ، الذى تدركه الحواس ، وإنه تفاعل كيميائى وكهربائى للجسد ، وجنس تطوَّر من أجناس حيوانية تطوراً تلقائياً محضاً ، وينتهى وجوده إلى الفناء الذى لا خلود بعده ، فهو حقير وضئيل بالمقاييس الزمنية والمكانية للكون وإن ذهب بعضهم إلى تأليه الإنسان لغروره بما يمتلكه من قدرات وإمكانيات ...

فهذا تقييم الماديين للإنسان والحياة ، وهذا ما ينبنى عليه منهجهم .

ولذلك يعيش المادى لذاته ، ومتاع حياته ، فهو يدور حول نفسه (٣) .

وحيث إن الإنسان يتصف بالوعى الذى يرقى به إلى معانى مجردة للمحسوسات ، كما أن له خصائصه الفطرية كدافع التدين وحب الخلود ... فإن نفسه لا تقبل ذلك التفسير للذات والحياة ، مما يجعله يُصاب بالأمراض النفسية كالقلق والحيرة والشك ...

---

(١) النحل : ١٤

(٢) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن (مرجع سابق) ص ٥٩

د . حسن صعب : الإسلام والانسان (مرجع سابق) ص ٨٥

(٣) د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٨٥ ، ٧٧ ، ٧٩

ولا شك أن لهذه النظرة خبراتها الانفعالية السلبية كالأنانية ، وحب الشهوات والأهواء ، وحب السيطرة ، والطمع المادى .. [1] .

هذا الجانب من التكوين النفسى عند الماديين ، أما الجانب الآخر فهو ما يتعلق بالبيئة الاجتماعية ، لأن الإنسان اجتماعى بطبعه ، وتفاعله الاجتماعى يفرض عليه مبادىء وقيم وعادات ... مشتركة ، كما أن لهذا المجتمع قوانينه الوضعية التى تحكمه وتُسيِّره .

ولا شك أن هذا التنظيم الاجتماعى متأثر بتلك النظرة الذاتية فى تقييم الذات والحياة ، والتى تُعتبر القاعدة الأولى فى تنظيم السلوك .

ولذلك فإن الرقابة الداخلية ضعيفة لرعاية المبادىء والقوانين ... لأنها لا يمكن أن تكون قوية بحيث تتغلب على تلك الدوافع الذاتية الأولية ، فالاحترام للتنظيم الاجتماعى نسبى بين الأفراد .

ولذلك ترعى تلك الأنظمة والقوانين رقابة خارجية بنسبة كبيرة ، فيكون لها آثار سلبية فى التكوين النفسى للأفراد كالكبت وحب الاعتداء والحقد والحسد ... [2] .

وإن لهذه البيئة وحيها الخفى والظاهر فى التكوين النفسى ، ليكتسب الفرد دوافع نفسية إيجابية وسلبية على السواء ، مما يجعل المجتمع بقدر ما يبنى يهدم ، والعلاقات الاجتماعية مبنية على المصالح الذاتية أو التوفيقية غالباً ... [3] .

ولذلك نشاهد أن هذه البيئة ترمى إلى حياة جاهلية كالطبقية والطائفية والوطنية والعنصرية والعنف ... [4] .

---

(١) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ١١ - ١٣

محمد متولى الشعراوى : فى تربية الإنسان المسلم (مرجع سابق) ص ٢٩

(٢) كلفن هال : أصول علم النفس الفرويدى (مرجع سابق) ص ١٠١ - ١٠٥

(٣) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ١٤

(٤) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٣ - ١٤ =

وإن الحضارة المادية حكمت على المسيحية التى تخطت حدودها القومية والزمانية بالفشل فى بناء حضارة إنسانية متكاملة .

ولذا حدّدت دور الكنيسة فى حدودها المكانية ، فلا تتعداه إلى السيطرة على الحياة العامة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ...

وذلك يرجع إلى أسباب موضوعية أهمها بإيجاز :

(أ) إن المسيحية ذات محدودية فى القومية والزمنية ، فلم تكن ديانة عامة وإنما ديانة خاصة لبنى إسرائيل ، فليست ديانة صالحة بعد تعدى حدودها [(١)] .

وأول من جعلها ديانة عامة « بولس الرسول » حيث سمح للأمم الأخرى بالدخول فيها ، فانتقلت إلى الإسكندرية ثم إلى روما ... [(٢)] .

(ب) إن المسيحية لم تبن حضارة ، لأن همها إقامة الدين ومعالجة النزعة المادية عند اليهود ، حيث ركزت على الروحانية كالتسامح ، والتقشف ، والسعى للآخرة ...

فهى لبناء الحياة الباطنية لبنى إسرائيل [(٣)] .

(جـ) إن المسيحية لم تُقم دولة ، فلم يحكم عيسى عليه السلام ولم تقم لها دولة إلا حينما أخذ بها الرومانيون وفرضها قسطنطين [(٤)] دين لأول دولة مسيحية بالحديد والنار ...

= رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ٣٥ - ٣٦

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ٤٠ .

رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ص ١٥

(٢) محمد عبد القادر الصحاوى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ١١٢

(٣) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٤٢

(٤) قسطنطين الكبير : أول امبراطور رومانى مسيحى (٣١٢ - ٣٣٧ م)

منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٨١

وهذه الدولة ليست مبنية على تشريعات مسيحية ، وإنما أخذت بالقوانين الرومانية ، لأن المسيحية لا تتضمن مثل ذلك [١] .

(د) إن المسيحية تعتمد على النظام الكهنوتى الذى يتولاه البابوات الذين يزعمون أنهم ممثلون لله فى الأرض ، فلهم سيطرتهم الدينية فى التوجيه والإرشاد ، ولكنهم وسَّعوا دائرة سلطاتهم لتشمل الحياة كلها الفكرية والعلمية . لينفذوا إلى جميع جوانب الحياة لفرض آرائهم ، بل إن دائرة سلطاتهم تعدَّت الحياة الدنيا إلى الآخرة .

ولذلك فإنهم يُفسِّرون الأناجيل تفسيراً خاصاً بهم ، دون أن يكون للعقول الأُخرى أدنى تفكير يتعارض معهم ، فحاربوا العلم والعلماء بل أعدموا المفكرين والعلماء ... [٢] .

(هـ) إن المسيحية احتوت بعد التحريف على مغالطات فكرية كبيرة ، لا تقبلها العقول الراجحة ، ولعل أهمها :

١ - إن غاية وجود الإنسان التكفير عن خطيئة آدم عليه السلام ، ليأكل بعرق جبينه كما يزعمون [٣] .

بالإضافة إلى أن المسيحية دين رهبنة ، لا يمكن أن يبنى حياة تعمر الأرض .

٢ - إن المسيح عليه السلام إله - كما يزعمون - ولم يتزوَّج ، فهل يصلح أن يكون قدوة للبشر ؟ [٤] .

---

(١) محمد عبد القادر الصحاوى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ١٠٢

(٢) عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٤٢ - ١٤٦

محمد عبد القادر الصحاوى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ١٠٢ - ١٠٣

(٣) د . عبد الغنى عبود : الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربى ، ط ١، ١٩٨١ م ، ص ١٤١

(٤) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ١١ .

أبو عبيدة الخزرجى : بين الإسلام والمسيحية ، تحقيق د . محمد شامة ، مكتبة وهبة ، ص ٦١ - ٦٢ ، ١٧٨ - ١٨١

٣ - إن صلب المسيح عليه السلام - كما يزعمون - تكفير عن خطيئة آدم عليه السلام ، وهل يكون التكفير عن الخطيئة بصلب ابن الله - كما يزعمون - الوحيد ؟ [(١)] وما هى غاية الإنسان بعد التكفير ؟

وهل قيامة المسيح عليه السلام حدثت بعد غيبته حينما ظهر بعد صلبه ؟ وهل رُفِعَ إلى السماء ، ودخل فى جهنم لمحاسبة الأنبياء السابقين كما يزعمون ؟ [(٢)] .

٤ - ما تنطوى عليه المسيحية المحرّفة من صفات وثنية .

٥ - إن المرأة جنس نجس أو شيطان - كما سبق - فهى سبب شقاء الإنسان، ونزوله إلى الأرض ، كما أن تفكيرها ليس عملية عقلية وإنما عملية غريزية [(٣)] .

وتلك بعض الأسباب التى جعلت الحضارة المادية تفصل نشاط الدولة فى قيادة المجتمع عن وصاية رجال الكنيسة ، بل أن تبعد الكنيسة عن الحياة العامة ، لأن ليس لديها منهج حياة تقبله العقول .

ولكن هل يجوز أن يحكم إنسان فى بلاد المسلمين على الدين الإسلامى بما حكم به الماديون على المسيحية ؟

وفيما سبق يكفى للرد على هذا التساؤل . وأنه قياس باطل ، يتصف صاحبه بالجهل على فرض حسن النية .

فالمسيحية ديانة مكملة للديانة اليهودية لمعالجة ما أصاب اليهود من نزعة مادية ، جعلتهم يتصفون بصفات سلبية كمبدأ القوة ، والأنانية والعنصرية ...

---

(١) رينيه دوبو : إنسانية الإنسان (مرجع سابق) ، ص ١٥

(٢) أحمد عبد الوهاب : المسيح ، مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨م) ص ٣.٦ - ٣.٩
موريس بوكاى : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة نخبة من الدعاة ، دار الكندى ، ط١ ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٩٧ - ٩٩

(٣) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن (مرجع سابق) ص ٧٦ - ٨.
باسمة كيال : تطور المرأة عبر التاريخ (مرجع سابق) ص ٦٣ - ٦٥
محمود الجوهرى : الأخت المسلمة (مرجع سابق) ص ٥٥ - ٥٦

وإن هذه النزعة دفعتهم إلى فكرة التجسيد لله تعالى ، والوثنية ووصف الله بالنقص ... تعالى الله عما يصفون ، رغم قولهم بالتوحيد [(١)] .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّه ... ﴾ [(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّه مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ... ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [(٤)] .

وإن اليهود أول من ابتدع العنصرية ، وبنوا تعاملهم وعلاقاتهم مع غيرهم على أساس أنهم شعب الله المختار ، وهى باقية معهم حتى الآن ، وأن غيرهم يجب أن يكون مُسخرًا لهم [(٥)] .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [(٦)] .

وإن اليهودية تشارك المسيحية - كدينين مستقلين - فى اعتمادهما على النظام الكهنوتى فى العبادة ، فلا تجوز خارج المعبد ، كما لا تجوز دون وسيط ، وأنهما لم يتضمنا أسس دولة . وأن لهما حدودهما القومية والزمنية . وأن التوراة والإنجيل قد تعرضا للتحريف [(٧)] .

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ٣٧ ، ١٠٢ .
(٢) التوبة : ٣٠ . (٣) المائدة : ٦٤ (٤) آل عمران : ١٨١
(٥) د . أحمد شلبى : مقارنة الأديان - اليهودية - مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٦٧م ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .
(٦) آل عمران : ٧٥
(٧) محمد عبد القادر العمارى : هذا هو الإسلام (مرجع سابق) ص ٩٢
أحمد عبد العزيز عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ١٠٣

ومما سبق يتضح أن كل دين فاسد يفسد الحياة سواء أكان ديناً محرَّفاً انتهى أجله ، أو ديناً وضعياً كالبوذية التى تدعو إلى خنق الشهوات ، والبعد عن الشر .

وإن للإنسان مطالبه المادية والروحية التى يجب أن يكون إشباعها عن تعادلية وإتزان .

ولذلك فإن للإنسان شهواته التى يجب الاستجابة لها ، وعدم فعل الشر لا مزية له ، ولكن المزية فى فعل الخير ، وحياة دنيا الواقع وفق خصائص الإنسان وما سُخِّرَ له عن تعادلية وإتزان [١] .

* * *

(١) أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢

د . أحمد شلبى : مقارنة الأديان - أديان الهند الكبرى - مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٦٦ م ، ص ١٦٢ - ١٦٦

الخاتمة

عشتُ مع الروح أياماً عديدة هى عندى أحلى من الشهد ، وأجلى من نور الشمس فى رابعة النهار ، ولو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ لعدتُ لكتابة البحث مرة أُخرى ، لعله يُعيد لى الطاقة التى تمتعتُ بها مع المعجزات الإلٰهية فى الآيات القرآنية ، وفى النفس البشرية ، وفى معالجة القرآن لقضايا الإنسان ...

ولقد كانت معجزات بأبهى صورة ، وأجلى مظهر ... وإن الجمع بين النفس والكون فى آيات قرآنية يُوحى بذلك .

وإن للإنسان دوافعه الواعية التى تدفعه إلى البحث عن كيفية وجوده ، مما يجعله يفرض الفرضيات التى يحاول عن طريقها سد هذه الفجوة فى الكيان النفسى .

ولذلك احتوت المعارف الإنسانية على كثير من الفرضيات التى تعتمد على أُسس أسطورية موروثة ليس لها أُسس تقوم عليها إلا استغلال تلك الدوافع النفسية ، لملء هذا الفراغ ، ولكنها تملئه بالهواجس والأوهام والظنون ...

وإن الفرضية الحديثة فى هذا الشأن ، هى فرضية التطور - النشوء والارتقاء - التى بُنيت على منهجية علمية ثبت مع الأيام خطأ القواعد التى تقوم عليها كخطأ قاعدة تحول المواد غير العضوية إلى مواد عضوية ، وكذا قضية وراثة الصفات المكتَسبة ....

ولعل القاعدة الأساسية التى يتشبث بها أنصار الفرضية هى بقايا الإنسان والحيوان التى تم اكتشافها ، ومحاولة تصنيفها على أساس مفهوم التطور وفق الشكل الظاهرى لها ، ولكن لم يكن ذلك وفق العمر الزمنى لأن بينها فروقات كبيرة ، وهذه الفروقات تثبت خطأ هذا التصنيف ، كما يثبت يوماً بعد يوم خطأ نسبته إلى نوع واحد .

وإن لتلك الدوافع النفسية عند الإنسان لمعرفة وجوده ، وسيطرة مفهوم الفرضية ، ولما تمتاز به من رسم خيالى مقبول عنده ، يجعل هذه الفرضية باقية إلى أن يظهر إلى الوجود نظرة أُخرى تحل محلها .

وإن هذه الفرضية ستبقى عند أهل الإلحاد ، لأنها تمثل قاعدة أساسية لهم فى مبادئهم وهى « التطور التلقائى المحض » .

ومما يُساعد هذه الفرضية - أيضاً - على البقاء تدرج أنواع المخلوقات من الأدنى إلى الأعلى فى التكوين .

وهكذا إنسان اليوم هو إنسان الأمس فى هذا المجال الذى لم تقع عليه حواسه للحكم ، وأنه إذا عاش خارجها عاش فى حكم الهواجس والأوهام والشكوك ...

ولا شك أن مفهوم الإنسان لوجوده له أثر كبير فى بناء الذات الإنسانية ، ولذلك تشعبت الأمم إلى فلسفات مختلفة عن الوجود والحياة والموت ...

وإن مثل هذه التصورات لا يمكن للإنسان أن يهتدى إليها بحواسه لأنها تتعلق بتصورات عليا لغايات الوجود ...

ولذلك فإن الإنسان بحاجة إلى الوحى الإلَهى الذى يمنحه هذه التصورات ...

وبهذا يتضح أن قضية الإيمان أهم من قضية الوجود ، وإن كان الوجود يدل عليه ويؤكده إذا اهتدى إليه .

فالوحى الإلَهى لا يمنعه من البحث والدراسة للتأمل والتفكير فى مخلوقات اللّه ، والاستفادة منها ، وهذا لن يزيده إلا إيماناً بما منحه من أخبار ، لأن ليس فيها نقيضة للعقل .

ولذلك فالوحى الإلَهى يحمل معه المعجزات التى تدل على صحته وصدقه فى أنه من لدن لطيف خبير .

ولقد تعرَّض كل من القرآن الكريم والسُنَّة النبوية الصحيحة إلى قضية خلق

الإنسان ، وإن لها أثراً فى إعطائه بعض التصورات العليا لوجوده ، ولعلى أوجز بعض المعطيات فى النقاط التالية :

١ - إن آدم عليه السلام هو الإنسان الأول ، وخلق زوجه منه ، وبث اللّه منهما رجالاً كثيراً ونساء ، فخلق ذريتهما لم يكن كخلق زوجه عليه السلام ، كما أن خلق زوجه لم يكن كخلقه ، فنسلهما خُلِقوا فى ظلمات ثلاث فى بطون أمهاتهم ، وأما آدم فلم يُخلق فى مثل ذلك .

٢ - إن المرحلة الأخيرة قبيل خلق الإنسان الأول - نفخ الروح فيه - مرحلة صلصال كالفخار ، مما يعنى انتفاء مظاهر الحياة عنها .

٣ - إن الإنسان خلق جديد لم يسبقه مثله ، خلقه اللّه تعالى بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ومنحه خصائص فى التكوين لم تكن لغيره من المخلوقات ، وسجدت له الملائكة بعد خلقه مباشرة بأمره تعالى ، فالمقام مقام حفاوة وتكريم .

٤ - إن المؤمنين والمؤمنات يدخلون الجنة على صورة آدم وزوجه التى خُلِقا عليها مما يشير إلى أنها صورة تتناسب مع المقام فى الجنة .

وإن ذريتهما تتناقص فى جمال هذه الصورة فى الحياة الدنيا ، وكيف لا ؟ وحواء أجمل من الحور العين .

٥ - إن آدم وزوجه عليهما السلام يعرفان أن مصيرهما فى الأرض التى استُخلفا فيها ، وأن بقاءهما فى الجنة إلى أجل معلوم عند اللّه تعالى ، كما يعرف ذلك كل من الملائكة وإبليس .

٦ - إن اللّه تعالى رفع إليه بعض أنبيائه ، كما عرج بالنبى محمد ﷺ ، وآدم أبو البشر ، ونبى من أنبياء اللّه المكلَّمين ، وتمتع بخصائص فى الجنة لم تكن له أو لغيره فى الأرض .

ومما سبق يتضح أن آدم عليه السلام خُلِقَ انتزاعاً فى جنة فى الملإ الأعلى ، صنعه اللّه بيده ، ونفخ فيه من روحه أمام كل من ملائكته وإبليس .

وإن هذه خصوصية لآدم عليه السلام لم تكن لغيره ، والمؤمنون يذكرونها فى

مقام الشفاعة يوم القيامة ، وأن لحواء خصوصية الخلق دون أم ، ولعيسى عليه السلام خصوصية الخلق دون أب .

وإن ذلك كله يتعلق بالأمر الإلٰهى فى الخلق بـ « كن » فيكون .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) .

ولقد جرى الخلق انتزاعاً على أيدى الأنبياء .

قال تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وإن الإنسان هبط إلى الأرض للقيام بمهمته التى خُلقَ من أجلها ، فلم يُخلق للبقاء فى الجنة ، ولكنه هبط بعد أن أخذ رصيداً من التجارب ، عرف عن طريقها أين يكمن سر الهداية والنجاة .

فالمعصية التى وقع فيها هى من طبيعته التى أُريدت له ، فكان نزوله بسببه، فنزل مُكَّرماً بتوبة صادقة تم قبولها ، وكانت استجابة لهدى اللّٰه ، فلم يكن فى إنزاله إهانة ، وإنما أُنزال كرامة وتشريف لمزاولة مهمته فى عمارة الأرض .

ويتبع خلق آدم وزوجه خلق ذريتهما بعد هبوطهما ، ولهم صفاتهما الوراثية المتوازنة بينهما ، والقرآن الكريم أول من أشار إلى هذه الحقيقة ، كما احتوى على كثير من الحقائق العلمية التى لم تثبت فى العلم البشرى إلا بعد قرون من نزوله كمراحل خلق الجنين وتصويره ....

---

(١) آل عمران : ٥٩

(٢) آل عمران : ٤٩

وإن الإنسان يتكوَّن من عنصرين وهما :

(أ) الجسد : وهو يمثل عناصر الأرض التى خُلِقَ منها .

(ب) الروح : وهو يمثل ما يمنحه اللّه تعالى لجسد الجنين من أمره بنفخ المَلَك فيه ، وليس هو سر الحياة ، أو التفاعلات الكيميائية والكهربائية للجسد ، لأن ذلك مما يتصف به قبل عملية النفخ - قبل مضى (١٢٠ يوماً) من عملية التلقيح بين الحيوان المنوى والبويضة - وفى عملية نفخ الروح يتحقق الإنسان .

ولقد تعرَّض القرآن الكريم إلى الإنسان على أنه ذو طبيعة مزدوجة فى كينونة واحدة تتنازعه فى حركته مجموعة من الدوافع الإلزامية ، والدوافع القريبة منها ، والدوافع الأقرب للاختيار منه للإلزام .

وإن الإنسان يتصف بالوعى فى حركته ونشاطه ، ويملك إرادة واختيار فى توجيه هذه الدوافع نحو السمو والإعلاء بها أو الانحطاط والتنازل بها .

ولذلك فإن الذات الإنسانية تستجيب إلى التعادلية فى الدوافع كما تستجيب إلى خرقها .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١) .

وإن تفاعل الإنسان مع تلك الدوافع له مسافة طويلة بين الإيجابى جداً والسلبى جداً ، وهذا التفاعل هو الذى يُحدِّد سلوكه .

ولقد حدَّد القرآن الكريم ثلاث درجات عامة للمسلمين فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾(٢) .

فالإنسان يتميز عن سائر المخلوقات المرئية فى الأرض بالوعى وهو يتأثر بتفاعلات كل من الجسد والنفس ، كما أن هناك تأثيراً متبادلاً بينهما .

---

(١) الشمس : ٧ - ١٠ .　　　(٢) فاطر : ٣٢

وإن معالجة القرآن لخصائص الإنسان لم تكن فيها معضلة للعقل المؤمن ، لأنها مبنية على أساس من وحدة النفس ، ووحدة القلب ، وسمو العقل على المحسوسات إلى معقولاتها .

ولذا نجد أن خصائص الإنسان تكمن فى الآيات القرآنية التى تتعلق بالنفس ، والقلب ، والعقل .

وإن الإنسان يتمتع بخصائص فى التكوين لم تكن لغيره من المخلوقات كالحرية والإرادة والاختيار ... كما أن اللّٰه تعالى سَخَّر له الكون والأرض بالقوانين والسُنَن التى تتناسب مع خصائصه .

ولذلك تأهل الإنسان للخلافة عن اللّٰه تعالى فى الأرض لعمارتها بالتغيير والتبديل لما لديه من قدرات وإمكانيات ... وإذا لم يقدر على ذلك عمد إلى مجاراتها .

وإن الإنسان ليس لديه قدرة على تقييم ذاته وأبعادها أو ادراك مسائله المحيطة به وأبعادها .

ولذا كان الوحى الإلٰهى الذى يرسم التصورات العليا للإنسان والمنهج الذى يهتدى به فى فعالياته الذاتية والاجتماعية والاقتصادية ... لعمارة عالَمه الباطنى وعالَمه الظاهرى .

وبهذا التكليف الإلٰهى تلتقى الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية للّٰه تعالى على يد الإنسان لتحقيق الخلافة المتوازنة مع خصائص الإنسان .

* * *

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقمها	الصفحات
﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾	٣٢	٢٥ - ٣٣٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٧٣
﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ....﴾	٣٣	٢٥ -٣٣٣
﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .....﴾	٣٤	٣٣٣
﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾	٣٥	٢٤ - ٢٧٠
﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾	٣٧	٢٩ -٣٦٤
﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً ....﴾	٣٨	٣٠ -٤١٧
﴿ والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ....﴾	٣٩	٣٠
﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ﴾	٤٨	١٥٧
﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ....﴾	٤٩	٢٩٤
﴿ ثم قست قلوبكم مِن بعد ذلك ....﴾	٧٤	١٨٨ - ٢٢٧
﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ....﴾	٧٥	٢٤٢ - ٣٨١
﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ....﴾	٨٥	٣٩٤
﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ....﴾	٩٣	٢٢٦
﴿ قل مَن كان عدواً لجبريل ....﴾	٩٧	١١١
﴿ مَن كان عدواً للّه وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل ....﴾	٩٨	١١٤
﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم ﴾	١٠٩	٢٠٩ -٢١٦
﴿ بديع السموات والأرض ....﴾	١١٧	١٣٣
﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ......﴾	١٢٥	١١٦

الآية	رقمها	الصفحات
{ سورة محمد }		
﴿ إن اللّه يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات .... ﴾	١٢	٣٨٨
﴿ أفَمَنْ كان على بَيِّنة من ربه .... ﴾	١٤	٢١٧ - ٢٥٣
{ سورة الفتح }		
﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ﴾	٤	١٥٢ - ٢٢٨
﴿ لقد رَضِيَ اللّه عن المؤمنين .... ﴾	١٨	٢٣٧
﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحَمِيَّةَ ﴾	٢٦	٢٣٠ - ٣٧٩
﴿ محمد رسول اللّه ، والذين معه أشداء ﴾	٢٩	٢١١ - ٣٠٨ - ٣٨٤
{ سورة الحجرات }		
﴿ واعلموا أن فيكم رسول اللّه .... ﴾	٧	٢٢٣-٢٢٦-٢٣٨-٣٥٩
﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ﴾	١٢	٣٠٢ - ٣١٧
﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾	١٣	٣٧ - ١٢٥ - ٢٧١ - ٢٨٦ - ٣٨٧ - ٤١٠
﴿ قالت الأعراب آمَنَّا .... ﴾	١٤	٢٣٤ - ٢٣٨
{ سورة ق }		
﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تُوَسوس به نفسه ﴾	١٦	١٩٦ - ٣٩٠

الآية	رقمها	الصفحات
﴿ هذا ما تُوعَدون لكل أوابٍ حفيظ ﴾	٣٢	٢٣٥
﴿ مَن خَشِيَ الرحمن بالغيب وجاء بقلب مُنيب﴾	٣٣	٢٣٥
﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ... ﴾	٣٧	٢٢٤
{ سورة الذاريات }		
﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾	٢٠	١٠٢-١٦٩-١٧٣-٣٦٦
﴿ وفي أنفسكم ، أفلا تُبصرون ﴾	٢١	١٠٢-١٦٩-١٧٣-٣٦٦
﴿ ومِن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تَذكَّرون ﴾	٤٩	٢٠٥ - ٢٦٩
﴿ وما خَلَقْتُ الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾	٥٦	٢٧٠ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٧٣ - ٣٩٢
{ سورة النجم }		
﴿ إن هو إلا وحي يُوحَى ﴾	٤	٣
﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾	٣٩	٢٩٣
﴿ وأن سعيه سوف يُرى ﴾	٤٠	٢٩٣
﴿ ثم يُجْزَاه الجزاء الأوفى ﴾	٤١	٢٩٣
{ سورة القمر }		
﴿ إنَّا كل شيء خلقناه بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	٢٠٥
{ سورة الرحمن }		
﴿ خلق الإنسان مِن صلصال كالفخار ﴾	١٤	١٤
﴿ وخلق الجان مِن مارج مِن نار ﴾	١٥	١٤

الآية	رقمها	الصفحات
﴿ وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ﴾	١٢	٢٠٣
﴿ متكئين فيها على الأرائك .... ﴾	١٣	٢٠٣
﴿ وما تشاءون إلاَّ أن يشاء اللّه .... ﴾	٣٠	٢٦١
{ المرسلات }		
﴿ ألم نخلقكم مِن ماء مهين ﴾	٢٠	٤٥
﴿ فجعلناه في قرار مكين ﴾	٢١	٤٥
﴿ إلى قدر معلوم ﴾	٢٢	٤٥
﴿ فقدرنا فنِعْمَ القادرون ﴾	٢٣	٤٥
{ سورة النبأ }		
﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً .... ﴾	٣٨	١١٣ - ١١٩ - ١٢٠
{ سورة النازعات }		
﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾	٦	٢٢٩ - ٢٣٤
﴿ تتبعها الرادفة ﴾	٧	٢٢٩ - ٢٣٤
﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾	٨	٢٢٩ - ٢٣٤
﴿ فأما مَن طغى ﴾	٣٧	١٧٥
﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾	٣٨	١٧٥
﴿ فإن الجحيم هي المأوى ﴾	٣٩	١٧٥

فهرس الأحاديث النبوية

{ حرف الألف }

الصفحة

الصفحة

{ حرف الميم }

* * *

* * *

* * *

فهرس الأعلام

أرقام الصفحات

{ حرف الخاء }

{ حرف الدال }

{ حرف الذال }

أرقام الصفحات

{ حرف الفاء }

{ حرف القاف }

أرقام الصفحات

أرقام الصفحات

{ حرف النون }

{ حرف الهاء }

* * *

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

{ حرف الألف }

إبراهيم إبراهيم هلال : الدين وقيادة الدنيا - دار النهضة العربية - القاهـــرة - ١٩٨٠ م .

إبراهيم محمد سرسيق : النفس الإنسانية في القرآن الكريم - تهامة - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية - دار المعارف ، القاهرة - ط ١ - ١٩٦٨ م .

ابن الأثير : مجد الدين بن محمد الجزرى : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوى - المكتبة الاسلامية - ط ١ -١٣٨٢ هـ

أحمد إبراهيم الشريف : دراسات في الحضارة الإسلامية - دار الفكر العربـي - ط ٢ - ١٩٨١ م .

أحمد أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية .. أصولها ووسائلها - دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

أحمد بهجت : أنبياء الله - دار الشروق ، القاهرة ، بيروت - ط ٧

د . أحمد حافظ نجم : حقوق الإنسان بين القرآن والإعلان - دار الفكر العربي - ط١ - ١٩٨٢ م .

أحمد بن حنبل : المسند ، وبهامشه منتخب كنز العمال - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٤ - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)

د . أحمد الخشاب : - التفكير الاجتماعي - دار النهضة العربية - ١٩٨١

أحمد رضا : معجم متن اللُّغة - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٣٧٧ هـ

د . أحمد رمضان أحمد : الخلافة في الحضارة الإسلامية - دار البيان العربي - جدة - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)

د . أحمد زكي : مع الله في الأرض - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٩ م .

د . أحمد شلبي : مقارنة الأديان .. أديان الهند الكبرى - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٦٦ م .

- مقارنة الأديان .. الإسلام - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٣ - ١٩٦٧ م .

- مقارنة الأديان .. اليهودية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٦٧ م .

د . أحمد عبد العزيز سلامة : علم النفس الاجتماعي - دار النهضة العربية .

د . أحمد عبد الغفور عطار : إنسانية الإسلام - دار الأندلسي - جدة - ط ٢ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ١ - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) .

د . أحمد فؤاد الأهواني : دار المعارف ، القاهرة .

د . أحمد ماهر البقري : الإسلام والحق - المكتب الجامعي الحديث - الإسكندرية - ١٩٨٤ م .

د . أحمد محمد العسال : الإسلام وبناء المجتمع - دار القلم - الكويت - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)

د . أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي - دار المعارف بمصر .

أحمد موسى سالم : حقائق أساسية في الاسلام - روز اليوسف - ١٩٧٤ م .

أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس - مكتبة الأنجلو المصرية - ط ٣ - ١٩٥٨ م .

أرسطوطاليس : السياسة - ترجمة : لطفي السيد - الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر .

د . أسعد أحمد علي : تفسير القرآن المرتب ، منهج لليسر التربوى - دار السؤال للطباعة والنشر ، دمشق - ط ١ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

أبو الأعلى المودودى : الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية - دار الفكر - دمشق .

- الحضارة الإسلامية .. أسسها ومبادؤها - الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت

- الحكومة الإسلامية - المختار الاسلامي ، القاهرة - ط ١ - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

- الخلافة والملك - تعريب أحمد إدريس - دار القلم ، الكويت - ط ١ - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) .

- موجز تاريخ الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم . دار الفكر الحديث ، لبنان - ط ٢ - ١٣٨٦ هـ (١٩٦٧ م) .

- نظرية الإسلام السياسية - دار الفكر - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م)

- نظرية الإسلام وهديه - دار الفكر - ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م)

الألباني (محمد ناصر الدين) - الأحاديث الضعيفة والموضوعة - المكتب الإسلامي ط ١ - ١٣٩٩ هـ .

- ظلال الجنة في تخريج كتاب السُنَّة - المكتب الاسلامي ، بيروت - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)

ألن هانيك : أسرار الكون – ترجمة د . سيد رمضان هدارة – مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

أندريه بيرج : التربية الجنسية عند الولد – ترجمة : موريس شربك – منشورات عويدات ، بيروت ، باريس – ط ١ – ١٩٨٢ م .

أندريه كريسون : تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث – منشورات عويدات ، بيروت ، باريس – ط ٢ – ١٩٨٢ م .

أنور الجندى : قضايا العصر ومشكلات الفكر – مؤسسة الرسالة ، بيروت – ط ١ – ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

أنور عبد العليم : قصة التطور – دار القلم ومكتبة النهضة – القاهرة .

أوچين شريدر : البيولوچية الإنسانية – ترجمة : د . خليل الجر – المطبعة البوليسية – ١٩٧٨ م .

أ . ى . فنسنك وآخرون : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى – الاتحاد الأممي للمجامع العلمية ، مطبعة بريل – ليدن – ١٩٦٢ م .

– مفتاح كنوز السُنَّة : ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي – إدارة ترجمان السُنَّة، لاهور – باكستان – ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)

{ حرف الباء }

باسمة كيال : أصل الإنسان وسر الوجود – دار مكتبة الهلال ، بيروت – ط ١ – ١٩٨١ م .

– تطور المرأة عبر التاريخ – مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر – ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)

البخارى (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة) : الأدب المفرد – دار مكتبة الحياة – ١٩٨٠ م .

– صحيح البخارى ، رقَّم أحاديثه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة الإسلامية ، إستانبول – تركيا – ١٩٨٣ م .

برتراند راسيل : - الفوز بالسعادة - ترجمة سمير عبده - دار مكتبة الحياة - بيروت .

برسيڤال سيموندز : الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس - ترجمة عبد الرحمن صالح عبد الله - دار الفكر ، بيروت - ط ٢ - ١٣٩٤ هـ

ألبير كامو : الإنسان المتمرد - ترجمة نهاد رضا - نشورات عويدات ، بيروت ، باريس - ط ٣ - ١٩٨٣ م .

د . بشير ناصيف وآخرون : كتاب الأمراض النسائية - كلية الطب - تونس - ط١

البغوى (أبي محمد الحسين بن مسعود الفرَّاء) : شرح السُنَّة - تحقيق زهير الشاويش ، شعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامي ، بيروت - ط ١ - ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) .

أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي : الكليات - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق - ١٩٨٢ م .

بكر بن عبد الله أبوزيد : التقنين والإلزام - رئاسة البحوث العلمية والافتا والارشاد - ط٢ - ١٤٠٣ هـ .

البهي الخولي : آدم عليه السلام - مكتبة وهبة - ط٣ - ١٣٩٤ هـ .

- الثروة في ظل الإسلام - دار الاعتصام - ط٣ - ١٣٩٨هـ (١٩٧٨ م) .

د . البوطي (محمد سعيد رمضان) : الإنسان وعدالة الله في الأرض - مكتبة الفارابي - ط٣

بول شوشار : فيزويولوچية الوجدان - ترجمة د . خليل الجر - المطبعة البوليسية ، ١٩٧٧ م .

بيسير ريسوڤان وجان باتيست دوروزيل : مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية - منشورات بحر المتوسط وعويدات ، بيروت ، باريس - ط٢ - ١٩٨٢ م .

البيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي) : السُنَن الكبرى - دار الفكر .

{ حرف التاء }

الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى) : سُنَن الترمذى – حققه : عبد الرحمن محمد عثمان – دار الفكر بيروت – ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

التفتازاني (سعد الدين) : شرح المقاصد – مطبعة إستانبول – ١٢٧٧ هـ .

توفيق الحكيم : التعادلية والإسلام – مكتبة الآداب ، مصر .

د . توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق – دار النهضة العربية ، القاهرة – ط٣ – ١٩٧٩ م .

– قصة الصراع بين الدين والفلسفة – دار النهضة العربية – ط٣ – ١٩٧٩ م .

ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي) : الإيمان – دار الثقافة الإسلامية ، الرياض – المكتب الإسلامي ، دمشق – ١٣٨١هـ .

– مجموع الفتاوى : جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مكتبة المعارف ، الرباط .

{ حرف الجيم }

چان برنيس : المخيلة – ترجمة د . خليل الجر – المنشورات العربية – المطبعة البوليسية – ١٩٧٧ م .

الجزائرى (أبو بكر جابر) : – منهاج المسلم – دار الفكر – ط ٨ – ١٣٩٦هـ .

ج . فولكوف : الإنسان والتحدى التكنولوچي – ترجمة سامي كعكي – دار الطليعة ، بيروت – ط١ – ١٩٧٩ م .

جماعة من أهل الاختصاص – فن الطبخ الصحيح – دار مكتبة الحياة . بيروت .

جماعة من المختصين – الإنسان والمجتمع – دار مكتبة الحياة ، بيروت – ١٩٧٩ م .

جمال الدين بوقلي حسن : قضايا فلسفية – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر – ط٢ – ١٩٨١ م .

چنفياف رودبيس : ديكارت والعقلانية - ترجمة عبده الحلو - منشورات عويدات ، بيروت - ط٢ - ١٩٨٢ م .

جهاد قلعجي : الإسلام أقوى - دار الكتاب العربي ، بيروت .

چون كارل فلوجل : الإنسان والأخلاق والمجتمع - ترجمة عثمان نويه ، د . سعد الغزالي - دار الفكر العربي .

چون كلوفر مونسما وآخرون : الله يتجلى في عصر العلم - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، نيويورك - ط٣ - ١٩٦٨ م .

{ حرف الحاء }

ابن أبي حاتم (محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنبلي) : الجرح والتعديل - دار الكتب المصرية ، ط ١

الحارث بن أسد المحاسبي : العقل وفهم القرآن - تحقيق د . حسين القوتلي - دار الكندي ، دار الفكر - ط٣ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه : المستدرك على الصحيحين - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٣٤ هـ .

د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) - عالم الكتب - ط٢ - ١٩٧٢ م .

- علم النفس الاجتماعي - عالم الكتب ، القاهرة - ط٤ - ١٩٧٧ م .

د . حامد عوض الله : ضربان لا ثالث لهما - دار مكتبة الهلال - ١٩٨٢ م .

- في الملا الأعلى - دار مكتبة الهلال ، بيروت - ط١ - ١٩٨٢ م .

- من بعد أدم - دار مكتبة الهلال ، بيروت - ط١ - ١٩٨٢ م .

ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان البستي) : موارد الظمان - الطبعة الفلسفية - ط ١ .

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) : تقريب الهذيب - دار المعرفة ، بيروت - ط ٢ - ١٣٩٥ هـ .

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) : تهذيب التهذيب - حيدرآباد الدكن - الهند ، ١٣٢٥ هـ .

- فتح البارى - تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز وآخرون - رئاسة إدارة البحوث بالرياض .

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) : الأخلاق والسير في مداواة النفوس - دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٩٨٢ م (١٤٠٢ هـ) .

حسن أيوب : تبسيط العقائد الإسلامية - دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة - ط٣ - ١٣٩٨ هـ .

- السلوك الاجتماعي في الإسلام - دار البحوث العلمية ، الكويت - ط٢ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

حسن الترابي : الإيمان - دار القلم ، الكويت - ط٢ - ١٤٠٠ هـ (١٩٧٩ م) .

حسن زينو : التطور والإنسان - دار الدعوة ، بيروت - ط١ - ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .

د . حسن شحاتة سعفان : أسس علم الاجتماع - دار النهضة العربية ، القاهرة - ط١ - ١٩٧٨ م .

د . حسن محمد باجوده : تأملات في سورة الأحزاب - مطابع الصفا ، مكة - ١٤٠٣ هـ .

د . حسن محمد الشرقاوى : نحو علم نفس إسلامي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية .

د . حسن هويدى : الوجود الحق - المكتب الإسلامي ، بيروت - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) .

حمدى حنبلي : الإنسان العقائدى - مكتبة الأمل ، الكويت - ط٢ - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٩ م) .

{ حرف الخاء }

خالد محمد خالد : أفكار في القمة - مكتبة وهبة - ط٢ - ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) .

د . خالص جلبي : الطب محراب الإيمان - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط٢ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

الخزرجي (أبو عبيدة) : بين الإسلام والمسيحية - حققه د . محمد شامة - مكتبة وهبة ، القاهرة .

الخطابى (أبو سليمان أحمد بن محمد البستي) : معالم السُنَن - المكتبة العلمية - ط٢ - ١٤٠١ هـ .

الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن علي) : تاريخ بغداد - مطبعة الخانجي ، القاهرة - ط١ - ١٣٤٩ هـ .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي) : مقدمة ابن خلدون - إحياء التراث العربي ، بيروت - ط٤

خليل أحمد السهارنفورى : بذل المجهود في حل أبي داود- دار الكتب العلمية ، بيروت (وهو المعتمد في التخريج عن أبي داود)

{ حرف الدال }

الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام) : سُنَن الدارمي- دار الكتب العلمية ، بيروت .

داروين ، تشارلز : أصل الأنواع - ترجمة إسماعيل مظهر - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

الدامغاني (الحسين بن محمد) : قاموس القرآن - حققه : عبد العزيز سيد الأهل - دار العلم للملايين ، بيروت - ط٤ - ١٩٨٣ م .

ابن أبي الدنيا (عبد الله بن محمد بن عبيد) : العقل وفضله - تحقيق : محمد زاهر الكوثرى - مكتب نشر الثقافة الإسلامية .

البروفسور دينكن ميتشيل : معجم علم الاجتماع - ترجمة د . إحسان محمد الحسن - دار الطليعة - بيروت - ط١ - ١٩٨١ م

{ حرف الذال }

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) : سير أعلام النبلاء - تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط٢ - ١٤٠٢ هـ .

- المغني في الضعفاء - تحقيق د . نور الدين عتر - دار المعارف ، حلب - ط١ - ١٣٩١ هـ .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - تحقيق علي محمد البجاوى - دار المعرفة ، بيروت .

ذو الرمة (غيلان بن علقمة) : ديوان ذو الرمة - تحقيق وشرح : د . عبد القدوس الأنصاري - دار الإيمان ، بيروت - ط٢ - ١٤٠٢ هـ .

{ حرف الراء }

الرازى (الإمام محمد فخر الدين ابن العلأمة ضياء الدين عمر المشهور بخطيب الرى) : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - دار الفكر ، بيروت - ط١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

راشد البراوى : القرآن والنظم الاجتماعية المعاصرة - دار النهضة العربية ، القاهرة .

- القصص القرآني .. تفسير اجتماعي - دار النهضة العربية - ط١ - ١٩٧٨ .

الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل) : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين - دار مكتبة الحياة ، بيروت - ١٩٨٣ م .

- المفردات في غريب القرآن - تحقيق محمد سيد الكيلاني - دار المعرفة ببيروت .

د . رشدى فكار - تأملات إسلامية في قضايا الإنسان والمجتمع - مكتبة وهبة - ط١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

د . رشدي فكار : لمحات عن منهجية الحوار والتحدى الإعجازى للإسلام في هذا العصر - مكتبة وهبة - ط١ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

- نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع - مكتبة وهبة - ط١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨٠ م) .

د. رءوف عبيد - الجديد في التكوين الروحي وأسرار السلوك - دار الفكر العربي ، مصر - ١٩٨٢ م .

- مفصل الإنسان روح لا جسد - دار الفكر العربي - ط٤ - ١٩٧٦ م .

ريمون بورون : مناهج علم الاجتماع - ترجمة : هالة شبؤون الحاج - منشورات عويدات ، بيروت ، باريس - ط٣ - ١٩٨٢ م .

ريمون رويه : نقد الأيديولوچيات المعاصرة - ترجمة : د . عادل العوا - عويدات ، بيروت ، باريس - ط ١ - ١٩٧٨ م .

رينيه ديكارت : تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأُولى - ترجمة : د . كمال الحاج - منشورات عويدات ، بيروت ، باريس - ط٣ - ١٩٨٢ م .

رينيه روبو : إنسانية الإنسان - تعريب : د . نبيل صبحي الطويل - مؤسسة الرسالة - ط١ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

{ حرف الزاى }

د . زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان - مكتبة مصر .

- مشكلة البنية - مكتبة مصر .

- مشكلة الحرية - مكتبة مصر .

- مشكلة الحياة - دار مصر للطباعة .

- المشكلة الخلقية - مكتبة مصر - ط٣ - ١٩٨٠ م .

- مشكلة الفلسفة - مكتبة مصر .

د . زكي نجيب محمود : في حياتنا العقلية - دار الشروق ، بيروت ، القاهرة - ط٢ - ١٩٨١ م (١٤٠١ هـ) .

الزركلي (خير الدين) : الإعلام - دار العلم للملايين ، بيروت - ط٥ - ١٩٨٠ م .

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) : الكشاف - دار الفكر - ط١ - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

الزيلعي (جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي) : نصب الراية لأحاديث الهداية - المجلس العلمي بدمشق - ط٢

زين الدين عبد الرءوف بن تاج العارفين بن عليّ بن زين العابدين الحدادى ثم المناوى القاهرى : الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية - صححه وعلّق عليه ونشره : محمد عفيف الزغبي- مؤسسة الرسالة .

{ حرف السين }

د . سعد المرصفي : معالم في السلوك الإسلامي - شركة الشعاع ، الكويت - ١٤٠١ هـ .

أبو السعود محمد بن محمد العمادي : تفسير أبي السعود - دار إحياء التراث العربي .

سعيد حوى : تربيتنا الروحية - دار الكتب العربية ، بيروت - ط١ - ١٣٩٩ هـ .

سلامة موسى : نظرية التطور وأصل الإنسان - سلامة موسى للنشر والتوزيع ، القاهرة .

سميح عاطف الزين : الإسلام وأيديولوچية الإنسان - دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة - ط٢ - ١٩٧٨ م .

- طريق الإيمان - دار الكتاب اللبناني ، بيروت - ط ٢

- لمن الحكم - دار الكتاب اللبناني ، بيروت - ط١ - ١٩٧٤ م .

د . سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإنسانية في الإسلام - دار النهضة العربية ، القاهرة .

د . سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعي التربوي - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٣٩٤ هـ .

السيد سابق : عناصر القوة في الإسلام - مكتبة وهبة - ط١ - ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) .

السيد عبد الحافظ عبد ربه : الثورة الاجتماعية في الإسلام - دار الكتاب اللبناني ، بيروت - ١٩٧٢ م .

د . سيد عبد الحميد مرسي : النفس البشرية - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط١ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

سيد قطب : التصوير الفني في القرآن - دار الشروق - بيروت ، القاهـرة - ط ٦ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - دار الشروق - بيروت ، القاهـرة - ط ٦ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

- العدالة الاجتماعية في الإسلام - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركـاه - ط ٦ - ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) .

- في ظلال القرآن - دار الشروق - بيروت ، القاهرة - ط٥ - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

السيد محمد خيرى وآخرون : علم النفس التجريبي - جامعة الرياض - سلسلة علم النفس - عدد ٧

ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله) : أحوال النفس - تحقيق : د . أحمد فؤاد الأهواني - دار إحياء الكتب العربية - ط١ - ١٣٧١ هـ .

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) : تدريب الراوي في شرح تقريب الراوي - حققه : عبد الوهاب عبد اللطيف - دار الكتب العلمية ، بيروت - ط٢ - ١٣٩٩ هـ .

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) : شرح سُنَن النسائي - دار الكتب العلمية ، بيروت (وهو المعتمد في التخريج عن النسائي) .

- الفتح الكبير - نسخة مصوَّرة عن مخطوطة دار الكتب المصرية - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة - المطبعة الأدبية - ط١ - ١٣١٧ هـ .

{ حرف الشين }

الشعراوى (محمد متولي) : اللهُ والكون - دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس - ط١

- اللّه والنفس البشرية - دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس - ط١ - ١٩٨٣ م .

- الإسلام وحركة الحياة - المختار الإسلامي ، القاهرة .

- في تربية الإنسان المسلم - دار العودة ، بيروت - ١٩٨٢ م .

- كيف نفهم الإسلام - دار العودة ، بيروت .

شوقي أبو خليل - عزيزة ...أم تقدير إلّهي - دار الفكر ، دمشق - ط١ - ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) .

الشوكاني (محمد بن عليّ بن محمد) : فتح القدير - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط٢ - ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) .

{ حرف الصاد }

د . صبحي المحمصاني : أركان حقوق الإنسان - دار العلم للملايين ، بيروت - ط١ - ١٩٧٩ م .

د . صلاح مصطفى الفوّال : المقدمة لعلم الاجتماع العربي والإسلامي - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٨٢ م .

{ حرف الطاء }

الطبري (محمد بن جرير) : تفسير الطبري = جامع البيان في تفسير القرآن - تحقيق : د . محمود شاكر - دار المعارف بمصر .

طبيبك الخاص - العدد ١٦٩ - السنة الخامسة عشرة - يناير ١٩٨٣ م .

{ حرف الظاء }

ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه - دار النفائس ، بيروت ، ط١ - ١٩٧١ م

{ حرف العين }

د . عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية - دار العلم للملايين ، بيروت - ط٣ - ١٩٨٠ م .

- القرآن وقضايا الإنسان - دار العلم للملايين ، بيروت - ط٤ - ١٩٨١ م .

عادل صادق : حكايات نفسية - كتاب اليوم الطبي - القاهرة - العدد ٢ - جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ .

د . عادل العوا : الإنسان ذلك المعلوم - منشورات عويدات ، بيروت ، باريس - ط٢ - ١٩٨٢ م .

عاستون باشلار : تكوين العقل العلمي - ترجمة : د . خليل أحمد خليل - المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع - ط٢ - ١٩٨٢ م .

ابن عاشور محمد الطاهر : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام - الشركة التونسية للتوزيع ، الدار العربية للكتاب - ١٩٧٩ م .

- تفسير التحرير والتنوير - الدار التونسية للنشر - ١٩٨٤ م .

د . عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الاجتماعية - دار النهضة العربية ، بيروت - ط٣ - ١٩٨١ م .

عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط٢ - ١٩٦٩ م .

عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن - دار الرشاد الحديثة .

- التفكير فريضة إسلامية - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط٢ -١٩٦٩م .

- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط٣ - ١٣٨٦ هـ .

- الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام - دار الكتاب العربي ، بيروت .

- عقائد المفكرين في القرن العشرين - مكتبة غريب .

- الفلسفة القرآنية - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط ٢ - ١٩٦٩ م .

- ما يُقال عن الإسلام - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط٢ - ١٩٦٦ م .

د . عبد اللّه الخريجي : علم الاجتماع الديني - رامتان ، جدة - ط١ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

د . عبد اللّه شحاته : علوم القرآن والتفسير - دار الاعتصام ، القاهرة .

د . عبد اللّه عزام : العقيدة وأثرها في بناء الجيل - مكتبة الأقصى ، عمان - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

عبد اللّه ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام - دار السلام للطباعة والنشر ، بيروت .

د . عبد الباسط محمد حسَن : أُصول البحث الاجتماعى - مكتبة وهبة - ط٨

- التنمية الاجتماعية - مكتبة وهبة .

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد اللّه بن محمد الأندلسى) : التمهيد - حققه : مصطفى بن أحمد العلوى ، ومحمد عبد الكبير البكرى - وزارة الأوقاف بالمغرب - ط٢ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل - دار المعارف ، القاهرة .

د . عبد الحميد دياب وآخرون : مع الطب فى القرآن الكريم - مؤسسة علوم القرآن ، دمشق - ط٢ - ١٤٠٢ هـ .

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسى) : العقد الفريد - تحقيق : د . مفيد محمد قمحه - دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

د . عبد الرحمن بدوى : الإنسان الكامل فى الإسلام - وكالة المطبوعات ، الكويت - ط٢ - ١٩٧٦ م .

- شخصيات قلقة فى الإسلام - وكالة المطبوعات ، الكويت - ط٣ - ١٩٧٨ م .

- فلسفة الدين والتربية عند كنت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت - ط١ - ١٩٨٠ م .

عبد الرحمن عبد العزيز القاسم - الإسلام وتقنين الأحكام - مطبعة المدنى ، القاهرة - ط١ - ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة - دار ومطابع الشعب ، القاهرة .

د . عبد الرحمن عيسوى : دراسات فى السلوك الإنسانى - منشأة المعارف، الإسكندرية .

- علم النفس الفسيولوچى - دارالنهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

- علم النفس فى الحياة المعاصرة - دار المعارف بمصر - ١٩٧٣ م .

عبد الرحمن عيسوى : لماذا أنا مسلم - مكتبة وهبة - ط٤

عبد الرزاق نوفل : الإسلام والعلم الحديث - مكتبة الوعى العربي - ط ٢

- اللّه والعلم الحديث - مكتبة مصر ، القاهرة .

عبد السلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعى - دار النهضة العربية .

عبد العزيز القوصبى : علم النفس - مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

عبد العزيز بن ناصر الرشيد : التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية - مطبعة الإمام .

د . عبد الغنى عبود : الإسلام والكون - دار الفكر العربي- ط٢ -١٩٨٢م .

- اللّه والإنسان المعاصر - دار الفكر العربى - ط ١ - ١٩٧٧ م .

د . عبد الغني عبود : الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر - دار الفكر العربى - ط١ - ١٩٧٨م .

- الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة - دار الفكر العربي - ط١ - ١٩٨١ م .

عبد القادر عودة : المال والحكم فى الإسلام - المختار الإسلامى ، القاهـرة - ط ٥ - ١٣٩٧ هـ .

عبد الكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم - دار الفكر العربى - ط١ - ١٩٧٩ م .

- الخلافة والإمامة - دار الفكر العربي - ط ١

- الدين ضرورة حياة الإنسان - دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام بالرياض - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- قضية الألوهية بين الفلسفة والدين : الله ... ذاتاً وموضوعاً - دار الفكر العربي ، القاهرة - ط ٢ - ١٩٧١ م .

عبد المجيد عبد الرحيم : تطور الفكر الاجتماعى - مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .

- علم النفس التربوى - مكتبة النهضة المصرية - ط ٢ - ١٩٨١ م .

عبد المجيد النجار : العقل والسلوك فى البنية الإسلامية - منشورات مطبعة الجنوب ، مدنين ، تونس - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

عبد المحسن صالح : الميكروبات والحياة - دار القلم بالقاهرة - ١٩٦٢ م .

عبد المنعم محمد خلاّف : أومن بالإنسان - دار مطابع الشعب - ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

عبد المنعم النمر : فى علوم القرآن - دار الكتاب المصرى - ط١ - ١٣٩٩ هـ .

د . عبد الهادى على النجار : الإسلام والاقتصاد - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) .

د . عبد الوهاب حمودة : القرآن وعلم النفس - دار القلم ، القاهرة - ١٩٦٢ م .

د . عثمان حسن المفتى وآخرون : خواص المادة - دار الشروق ، جدة .

د . عجيل جاسم النشمى : معالم فى التربية - مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت - ط ١ - ١٤٠٠ هـ .

العراقى (عبد الرحيم بن حسين) : تنزيه الشريعة - تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصادق - مطبعة عاطف ، مكتبة القاهرة - ط ١

د . عزت عبد العظيم الطويل : فى النفس والقرآن الكريم - المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس الإنسانية - دار النشر المغربية ، الدار البيضاء - ١٩٧٦ م .

عشرة من علماء الإسلام : الإسلام والأنظمة السياسية - دار الكتاب العربى ، بيروت .

- الإسلام والمعضلات الاجتماعية الحديثة - دار الكتاب العربى ، بيروت .

- الإسلام ومكارم الأخلاق - دار الكتاب العربى ، بيروت .

عطية صقر : الإسلام ومشاكل الحضارة - مؤسسة الصباح ، الكويت - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الإسلامى - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٦

- اليهود فى القرآن - دار العلم للملايين - ط ٢ - ١٣٨٦ هـ .

علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى البرهان فوزى : كنز العمال - ضبطه وفسَّر غريبه : الشيخ بكرى حيانى - مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

د . على جريشة : شريعة الله حاكمة - مكتبة وهبة - ١٣٩٧ هـ .

على رضا : المرجع فى اللُّغة العربية - دار الفكر .

د . على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - دار المعارف ، القاهرة - ط ٨

د . على السلمى : السلوك الإنساني فى الإدارة - مكتبة غريب .

د . على عبد العظيم : فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم - مجمع البحوث الاسلامية - ١٩٧٣ م .

د . على عبد الواحد وافى : عوامل التربية - دار نهضة مصر للطبع والنشر .

د . عماد الدين خليل : العدل الاجتماعى - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط٢ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

- مع القرآن فى عالمه الرحيب - دار العلم للملايين ، بيروت .

عمر عوده الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

عمر فروخ : إخوان الصفا - دار الكتاب العربي ، بيروت - ط٣ - ١٤٠١ هـ .

د . عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان - دار المعارف ، القاهرة .

العينى (بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد) : عمدة القارى شرح صحيح البخارى - دار الفكر .

{ حرف الغين }

الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد) : إحياء علوم الدين - عالم الكتب .

{ حرف الفاء }

د . فاخر عاقل : علم النفس - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٨ - ١٩٨٢ م .

فارس محمد ثابت : القرآن والشيطان - دار الفكر العربى .

الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : معانى القرآن - عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ - ١٩٨٠ م .

فرنسوا شاتلييه وآخرون : أيديولوچيا الإنسان - ترجمة : د . خليل أحمد خليل- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ط١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

فرويد ، سيجموند : الذات والغرائز - ترجمة : د . محمد عثمان نجاتى - مكتبة النهضة العربية - ١٩٦١ م .

ڤكتور فركس : الإنسان التقنى - تعريب : إميل صليل بيدس - دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

د . فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو - دار الفكر العربى ، القاهرة - ط ٤ - ١٩٧٥ م .

- علم النفس الاجتماعى - دار الفكر العربى - ط٢ - ١٩٨٠/١٩٨١ م .

الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) : القاموس المحيط - دار الفكر ، بيروت - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) .

الفيلسوف الألمانى فيشته : غاية الإنسان - دارسة وترجمة : د . فوقية حسين محمود ومحمد بن عبد الله - الشركة العامة للتجهيز والتوزيع - ط ٢ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

ڤيكتور س . فيركيس : الإنسان التكنولوچى .. الأسطورة والحقيقة - ترجمة : د. زكريا إبراهيم ، يوسف ميخائيل أسعد - مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة - ١٩٧٥ م .

{ حرف القاف }

ابن قتيبة (أبو مسلم محمد بن عبد الله بن مسلم الدينورى) : الاختلاف فى اللفظ - مطبعة القدس - ١٣٤٩ هـ .

القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى) : تفسير القرطبى - دار الشعب ، القاهرة .

القزوينى (زكريا بن محمد) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - مكتبة التقدم - مصر .

ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبى عبد اللّٰه محمد بن أبى بكر) : أحكام أهل الذمة - حققه : د . صبحى الصالح - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٢ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان - تحقيق : محمد سيد كيلانى - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) .

- الروح - دار الكتب العلمية ، بيروت - ط ١ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م) .

{ حرف الكاف }

د . كامل عبود موسى : النهج السليم للقران الزوجى فى الإسلام - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

ابن كثير (عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى) : البداية والنهاية فى التاريخ - مطبعة المتوسط ، بيروت .

- تفسير القرآن العظيم - المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .

- كتاب الفتن والملاحم - تحقيق : إسماعيل الأنصارى - مؤسسة النور ، الرياض - ١٣٨٨ هـ .

كرسى موريسون : العلم يدعو للإيمان - ترجمة محمود صالح الفلك - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٥ م .

ألكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول - ترجمة : شفيق أسعد فريد - مكتبة المعارف ، بيروت - ١٩٧٤ م .

كمال محمد عيسى : العقيدة الإسلامية سفينة النجاة - دار الشروق ، جدة - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

{ حرف اللام }

د . لبيب السعيد : العمل الاجتماعى - دار عكاظ - ط ٥ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين بإشراف م . روزنتال : الموسوعة الفلسفية - دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت - ط ٤ - ١٩٨١ م .

لهنتر ميد : الفلسفة .. أنواعها ومشكلاتها - ترجمة : د . فؤاد زكريا - دار نهضة مصر - ١٩٦٩ م .

{ حرف الميم }

ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى) : سُنَن ابن ماجه - حققه : محمد فؤاد عبد الباقى - دار الفكر (وهو المعتمد فى التخريج) .

سُنَن ابن ماجه : حققه : محمد مصطفى الأعظمى - شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض - ط ١ - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) .

مارسيل بوازار : إنسانية الإسلام - ترجمة : د . عفيف دمشقية - منشورات دار الآداب ، بيروت - ط ١ - ١٩٨٠ م .

مارى مادلين دافتى : معرفة الذات - ترجمة : نسيم نصر - عويدات ، بيروت ، باريس - ط ٣ - ١٩٨٣ م .

مالك (مالك بن أنس الأصبحى) : الموطأ - رواية يحيى بن يحيى الليثى - إعداد : أحمد راتب عرموش - دار النفائس ، بيروت - ط٦ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) . (وهو المعتمد فى التخريج) .

مالك بن نبى : الظاهرة القرآنية - ترجمة : د . عبد الصبور شاهين - دار الفكر ، بيروت - ط ٣ - ١٩٦٨ م .

- مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامى - ترجمة : د . محمد عبد العظيم على - دار الفكر ، بيروت - ط ٢

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية - مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر .

معجم اللُغة العربية - معجم ألفاظ القرآن الكريم - دار الشروق .

د . محمد إبراهيم الفيومى : مقدمة فى علم الاجتماع الدينى - مكتبة الأزهر - ط ١ - ١٩٧٤ / ١٩٧٥ م .

محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، على محمد البجاوى ، السيد شحاتة : قصص القرآن - المكتبة التجارية الكبرى ، مصر - ط ١ .

محمد أسد : الإسلام على مفترق الطرق - ترجمة د . عمر فروخ - دار العلم للملايين - ط ٦

محمد إسماعيل إبراهيم : قصص الأنبياء والرسل - دار الفكر العربى - ط٢ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

محمد باقر الصدر : اقتصادنا - دار الكتاب اللبنانى ، بيروت - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٢ م) .

د . محمد بدوى : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع - دار المعارف ، القاهـرة - ١٩٨٠ م .

محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح - حققه : لجنة من علماء العربية - دار الفكر ، بيروت - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

د . محمد البهى : الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة - مكتبة وهبة - ط ٣ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- الإسلام فى حياة المسلم - مكتبة وهبة ، مصر - ط ٢ - ١٣٩٣ هـ .

- الإسلام فى الواقع الأيديولوچى المعاصر - دار الفكر - ط١ - ١٩٧٠م .

- الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة - مكتبة وهبة - القاهرة - ط١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- القرآن الكريم يقول : فى الإيمان .. والمؤمنين ، في المادية .. والماديين ، في السلوك .. والمواقف - مكتبة وهبة - ط ١ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

- القرآن .. والمجتمع - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) .

- من أداء الواجبات تبتدىء سياسة الحكم فى الإسلام - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

د . محمد البهى : منهج القرآن فى تطوير المجتمع - مكتبة وهبة - ط ٢ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

محمد التومى : نحو سيكولوچية إسلامية .. العقد النفسية وموقف الإسلام منها - الشركة التونسية لفنون الرسم - ١٩٧٩ م .

د . محمد جلال شرف : الله والعالم والإنسان فى الفكر الإسلامى - دار النهضة العربية ، بيروت - ١٩٨٠ م .

محمد جواد مغنية : الإسلام بنظرة عصرية - دار العلم للملايين ، بيروت ط ٣ - ١٩٨١ م .

- الإسلام مع الحياة .. دراسة فى ضوء العقل والتطور - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ٣ - ١٩٧٩ م .

د . محمد حمد ظفر : الإسلام وحقوق الإنسان - دار مكتبة الحياة ، بيروت - ١٩٨٠ م .

محمد الحمداوى : فى نطاق التفكير الإسلامى - دار الثقافة ، الدار البيضاء - ط ١ - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

محمد خليل الباشا : التقمص وأسرار الحياة والموت - دار النهار للنشر ، بيروت - ١٩٨٢ م .

محمد الربيع : الوسوسة - دار أمل ، طنجة - ط ١ - ١٤٠١هـ (١٩٨١م) .

محمد رشيد رضا : الوحى المحمدى - المكتب الإسلامى - ط ١

د . محمد رياض : الإنسان - دار النهضة العربية ، بيروت - ط ٢- ١٩٧٤م .

محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع - دار الفكر العربى .

محمد سعيد العشماوى : رسالة الوجود - دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ودار الكتاب المصرى ، القاهرة - ط ١ - ١٩٧٧ م .

د . محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشرى - مكتبة الأنجلو المصرية - ط٤ - ١٩٧٠ م .

محمد شديد : منهج القرآن فى التربية - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ط١ - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧م) .

د . محمد الشنلى : كتاب الأمراض النسائية - كلية الطب - تونس - ط ١

د . محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر - ترجمة : د . محمد جلال شرف - دار النهضة العربية ، بيروت - ١٩٨١ م .

د . محمد عاطف غيث : دراسات فى علم الاجتماع التطبيقى - دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية - ط ١ - ١٩٨١ م .

- علم الاجتماع - دار النهضة العربية ، بيروت - ١٩٧٤ م .

د . محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن - ترجمة : د . عبد الصبور شاهين - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

- الدين - دار القلم - الكويت - ط ٣ - ١٣٩٤ هـ .

محمد عبد الله الشبانى : الخدمة المدنية على ضوء الشريعة الإسلامية - عالم الكتب ، القاهرة - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

د . محمد عبد الرحمن مرحبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية - منشورات عويدات ، بيروت ، ومنشورات بحر المتوسط ، باريس - ط ٢ - ١٩٨١ م .

د . محمد عبد السلام محمد : دراسات فى القرآن الكريم - مكتبة الفلاح - ط ١ - ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) .

د . محمد عبد القادر العماوى : مستقبل الإسلام - دار الفكر الحديث ، القاهرة - ١٩٧٣ م .

- هذا هو الإسلام - دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، القاهرة - ط ٣ - ١٩٧٣ م .

محمد عبد المنعم خفاجى : الإسلام والحضارة الإنسانية - دار الكتاب اللبنانى ، بيروت - ط ١ - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

د . محمد عبد المنعم نور : الإنسان ومجتمعه - دار المعرفة ، القاهرة - ط١ - ١٩٧٨ م .
محمد عبده : الإسلام دين العلم والمدنية - تحقيق : طاهر الطناحى - دار الهلال .
محمد عثمان نجاتى : علم النفس فى حياتنا اليومية - دار القلم ، الكويت - ١٩٨٠ م .
- القرآن وعلم النفس - دار الشروق ، بيروت ، القاهرة - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .
محمد عطية الأبراشى : التربية الإسلامية وفلاسفتها - دار الفكر العربي - ط٣
د . محمد على البار : خلق الإنسان بين الطب والقرآن - الدار السعودية للنشر والتوزيع - ط ٣ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨١ م) .
د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب فى القرآن والسُنَّة - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ١ - ١٩٨٠ م .
د . محمد على محمد : دراسات تمهيدية فى علم النفس - دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية - ١٩٧٤ م .
د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك - مكتبة النهضة المصرية - ط ٢ - ١٩٧٠ م .
محمد الغزالى : الإسلام المفترى عليه - دار البيان ، الكويت .
- عقيدة المسلم - دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
- نظرات فى القرآن - دار الكتب الحديثة ، القاهرة - ط ٥
- هذا ديننا - دار الكتب الحديثة ، القاهرة - ١٩٦٠ م .
محمد غلاب : مذكرات فى الفلسفة الإسلامية - ١٩٣٨ م .
د . محمد فاضل الجمالى : تربية الإنسان الجديد - الشركة التونسية للتوزيع - ١٩٦٧ م .
محمد الفرحانى : الإسلام أولاً - مطابع النجوى ، بيروت - ١٣٨٦ هـ .
محمد الفقى : قصص الأنبياء - مكتبة وهبة - ط ١ - ١٣٩٩هـ (١٩٧٩ م) .

د . محمد فؤاد حجازى : البناء الاجتماعى - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ١ - ١٣٩٩ هـ .

- النظرات الاجتماعية - مكتبة وهبة - ط١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن - دار الشروق ، القاهرة - ١٣٧٨ هـ .

- مفتاح كنوز السُنَّة - إدارة ترجمان السُنَّة - باكستان - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

محمد القاسمى : الإسلام كما فهمت - دار الفكر .

محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) .

- دراسات فى النفس الإنسانية - دار الشروق ، جدة - ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .

- فى النفس والمجتمع - دار الشروق - ط ٥ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

محمد المبارك : نظام الإسلام .. العقيدة والعبادة - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - ط ٢ - ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) .

محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث - دار النهضة العربية ، القاهرة .

د . محمد زيدان : علم النفس التربوى - دار الشروق ، جدة - ط١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

محمد مظهر سعيد : علم النفس الاجتماعى - دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

د . محمد نعيم ياسمين : الإيمان .. أركانه ، حقيقته ، نواقضه - مطابع التعاونية ، عمان - ط ٢ - ١٤٠٠ هـ .

محمد نمر الخطيب : الإسلام دين هداية - دار مكتبة الحياة ، بيروت - ط ٢

د . محمد يوسف موسى : الإسلام وحاجة الإنسانية إليه - الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة - ط ٢ - ١٩٦١ م .

محمد الجوهرى : الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل - دار الأنصار - القاهرة .

د . محمود السيد سلطان : دراسات فى التربية والمجتمع – دار المعارف ، القاهرة – ط ٣

– مفاهيم تربوية فى الإسلام – مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ، الكويت – ١٩٧٧ م .

محمود شلبى : حياة آدم – دار الجيل ، بيروت – ط ٢

محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام – دار القلم – ط ٣ – ١٩٦٦ م .

د . محمد عبد المولى : تطور الفكر الاقتصادى والاجتماعى عبر العصور – الشركة التونسية للتوزيع – ١٩٧٩ م .

د . محمود فهمى زيدان : فى النفس والجسد – دار النهضة العربية ، بيروت – ١٩٨٠ م .

محمود قاسم : فى النفس والعقل – مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة – ط ٤

د . محمود محمد بابللى : المال فى الإسلام – دارالكتاب اللبنانى ، ومكتبة المدرسة ، بيروت – ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

محمود محمد طه : القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى .

مسكويه (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب الرازى) : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق – دار مكتبة الحياة ، بيروت - ط ٢

– كتاب الفوز الأصغر – منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

مسلم (أبو الحسين بن الحجاج القشيرى النيسابورى) : صحيح مسلم – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى – دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

د . مصطفى الرافعى : الإسلام نظام إنسانى – دار مكتبة الحياة ، بيروت – ١٩٥٨ م .

د . مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا – دار الإرشاد ، بيروت - ط ٢ – ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) .

د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى - مكتبة الأنجلو المصريــة ، القاهرة - ط ٥ - ١٩٧٨ م .

مصطفى غالب : مفاتيح المعرفة - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

د . مصطفى محمود : التوراة - دار النهضة العربية ، القاهرة .

- حوار مع صديقى الملحد - مطابع روز اليوسف - ط١ - ١٩٧٤ م .

- الروح والجسد - دار الكتاب العربى ، بيروت - ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .

- القرآن .. محاولة لفهم عصرى - دارالشروق ، بيروت - ١٩٧٠ م .

- لغز الحياة - دار النهضة العربية ، مصر - ط ٤ - ١٩٧٣ م .

ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن المكرم بن عليّ) : لسان العرب المحيط - إعداد يوسف خياط - دار لسان العرب ، بيروت .

معوض عوض إبراهيم : عناصر الإسلام وطرق هَديه - دار القلم ، بيروت - ط١ - ١٩٧٧ م .

المكتب العالمى للبحوث : الإنسان والدين - منشورات المكتب العالمى ، بيروت ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) .

د . ملك أحمد أبو النصر : تحقيق الوجود الإنسانى فى التصور المعاصر - منشأة المعارف ، الإسكندرية .

منير البعلبكى : موسوعة المورد - دار العلم للملايين ، بيروت - ط ١ - ١٩٨١ م .

موريس بوكاى : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم - ترجمة : نخبة من الدعاة - دار الكندى ، بيروت - ط ١

{ حرف النون }

النابغة الذبيانى : ديوان النابغة الذبيانى - جمعه وكمّله وعلّق عليه : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، والشركة الوطنية ، الجزائر - ١٩٧٦ م .

د . نبيل محمد توفيق السمالوطى : الإسلام وقضايا علم النفس الحديث - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

- بناء المجتمع الإسلامى ونظمه - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) .

- الدين والبناء الاجتماعى - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- الدين والبناء العائلى - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

- المنهج الإسلامى ودراسة المجتمع - دار الشروق ، جدة - ط ١ - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

الندوى (أبو الحسن على الحسنى) : ربانية لا رهبانية - دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت - ط ٢ - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٩ م) .

- الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

نديم الجسر : قضية الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن - المكتب الإسلامى ، بيروت - ط ٣ - ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .

د . نظمى لوقا : الحقيقة عند فلاسفة المسلمين - مكتبة غريب ، القاهرة .

النووى (يحيى بن شرف) : شرح صحيح مسلم - دار الفكر ، بيروت - ط٢ - ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) .

{ حرف الهاء }

هـ . أ . ر . حبيب : الاتجاهات الحديثة فى الإسلام - ترجمة هشام الحسينى - دار مكتبة الحياة ، بيروت .

الهروى (أبو عبيد القاسم بن سلام) : غريب الحديث - دار الكتاب العربى ، بيروت - ١٣٩٦ هـ .

د . همام عبد الرحيم سعيد : قواعد الدعوة إلى الله - دار العروى ، عمان ، الأردن - ط ١ - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) .

الهيثمى (نور الدين) : مجمع الزوائد - دار الكتب ، بيروت - ط ٢ - ١٩٦٧ م .

{ حرف الواو }

وليام أرنست حوكنج : معنى الخلود فى الخبرات الإنسانية - ترجمة : مترى أمين - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - ط ١ - ١٩٨٢ م .

د . وسيلة بلعيد بن حمده : مباحث فى علوم القرآن - دار الجوينى للنشر - ط ١ - ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) .

ويلدرد أولسون : تطور نمو الأطفال - ترجمة : د . إبراهيم حافظ وآخرون - عالم الكتب - ١٩٦٢ م

ويليام بوين سارلز : علم الأحياء الدقيقة - ترجمة : د . صلاح الدين طه وآخرون - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٢ م .

{ حرف الياء }

د . يسرى عبد الرزاق الجوهرى : السلالات البشرية - دار المعارف ، القاهرة - ط ٢ - ١٩٦٧ م .

يعقوب يوسف : لفتات علمية من القرآن - الدار السعودية ، دار النشر والتوزيع ، جدة - ط ٢ - ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) .

د . يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ٢ - ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣م) .

- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا : مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ٢ - ١٤٠٢ هـ

- الحل الإسلامى : مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٤٠١ هـ .

- الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا - مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٣٩١هـ .

- الصبر فى القرآن - مكتبة وهبة ، القاهرة - ط ١ - ١٣٩٧ هـ .

يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة - دار المعارف ، القاهرة - ١٩٥٧ م .

* * *

فهرس الموضوعات

الصفحة

الباب الأول : التكوين
(٩ - ٩٤)

الصفحة

الباب الثانى : عناصر التكوين (٩٥-١٥٢)

الباب الثالث : خصائص التكوين (١٥٣-٢٦٤)

الصفحة

الباب الرابع : الإنسان والدوافع
(٢٦٥-٣٢٤)

الصفحة

الباب الخامس : الإنسان والخلافة
(٣٢٥-٤٢٦)

الفهارس
(٤٣٣-٥٤٤)

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٥٦٧ / ١٩٩٠
الترقيم الدولي : ٥ / ٢٠٤ / ٣٠٧ - ٩٧٧

هذا الكتاب

● الإنسان : وجوده ، وخلافته فى الأرض » هو موضوع هذه الدراسة التى هى بين دفتى هذا الكتاب ، الذى نقدمه اليوم إلى القارئ الكريم ..

● والإنسان : من وجهة نظر الدين أو العلم أو الفلسفة « قضية » قائمة بذاتها ، وهو فى نفس الوقت : محور كل قضايا الكون والحياة ، لأنه خليفة الله فى الأرض ، ولأن الكون مسخر له ، ولأن الحياة بدون الإنسان لا اعتبار لها ..

● والإنسان : برغم أنه قد حَظِيَ - ولا يزال يحظى - بأكبر كَمٍّ من شتى الدراسات .. إلا أن هذه الدراسات لم تتوقف ، ولن تتوقف ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن هنا تكون مهمته مضنية ذلك الذى يتصدى للكتابة عن الإنسان ، إذ يُفْرضُ عليه أن يأتى بجديد ..

● ولم يخالجنا أدنى شك فى أن المؤلف كان مدركاً لهذا - وهو أستاذ جامعى متخصص نال بهذا البحث - « درجة دكتوراة الدولة » فجاءت دراسته - من ناحية - مستوفاة شكلا وموضوعا ، فى أبواب خمسة ، عرض فى الثلاثة الأولى للتكوين وعناصره وخصائصه ، وفى الباب الرابع عرض للإنسان والدوافع ، وفى الخامس والأخير عرض للإنسان والخلافة ، - ومن ناحية أخرى : إذا كانت الدراسة فى ضوء القرآن الكريم ، فلم يفت المؤلف أن يعرض للعديد من القضايا الفكرية والعقائدية والعلمية ، تلك التى أثارت - ولا تزال - الجدل ، وشغلت - ولاتزال - أذهان المفكرين ، كما لم يفته أن يناقش التحديات قديما وحديثا ، كل ذلك بموضوعية ، وعلى أسس علمية ، وبروح رياضية بعيداً عن التعصب المذموم ..

● ومكتبة وهبة : يسعدها أن تقوم بنشر هذا الكتاب الذى يحوى دراسة جادة وجديدة ونافعة حتى تُعرف حقيقة « الإنسان .. وجوده وخلافته فى الأرض فى ضوء القرآن الكريم » .. وبالله التوفيق .

/ مكتبة وهبة